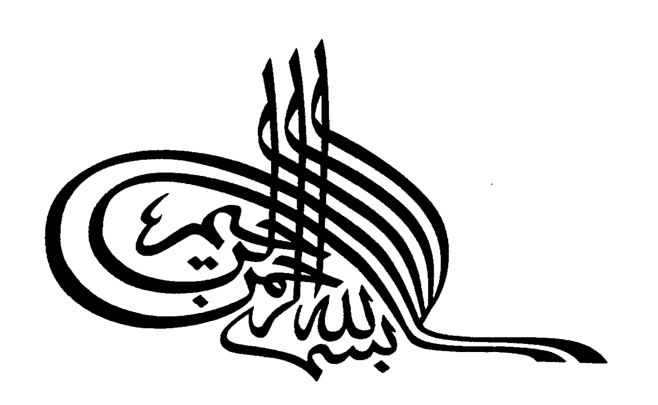
علم الاجتماع الريفى

دكتور
حسين عبد الحميد أحمد رشوان
دكتوراه فى علم الاجتماع
كبير مدرسى علم الاجتماع بدرجة مدير عام / أستاذ
جامعة الإسكندرية (سابقاً)

٢٠٠٣

الناشر
المكتب العربى الحديث
ت: ٤٨٤٦٤٨٩
اسكندرية





شكر وتقدير

أتقــدم بخــالص شكري وتقديري للزميل الأستاذ/ حسن علي حســن وكيل وزارة القوى العاملة بالإسكندرية (سابقاً)، وأستاذ علم الاجتماع الريفي بمعهد الخدمة الاجتماعية للفتيات بالإسكندرية؛ فقد أنارت مناقشاته معي الطريق في العديد من موضوعات علم الاجتماع الريفي، وعلى وجه الخصوص موضوع " التنمية الريفية " .

كمــا أتقدم بخالص شكري وتقديري للأستاذ/ عادل الزناري لاهتمامه بكتابة هذا الكتاب على الكمبيوتر وإخراجه بصورة جيدة .

وأخــص شكري وتقديري للحاج/ العربي يحي صاحب ومدير المكتب العربي الحديث لما قام به من جهد في الإشراف على كتابة هذا الكتاب، وتوزيعه على محافظات مصر، والبلدان العربية .

المؤلــــف

دكتور/ حسين عبدالحميد أحمد رشوان

محتويات الكتاب

الموضـــــــــوع	أرقام الصفحات من – إلى

الموضـــــــــــــوع	أرقام الصفحات من – إلى

المقدمـــة

يلقـــي هذا الكتاب الضوء على المجتمعات الريفية، ووظائفها، وخواصها . حيث يقوم علم الاجتماع الريفي وهو فرع من فروع علم الاجتماع العام بدراسة الحياة الاجتماعية الريفية، والظواهر والنظم الاجتماعية التي تنشأ عن معيشة الأفراد في البيـــئات الريفية، بما تشتمل عليه من معايير وعمليات، وجماعات، ومشكلات اجتماعية — أي دراسة القرية باعتبارها ظاهرة اجتماعية .

وفي الآونـــة الأخيرة زاد اهتمام علم الاجتماع بدراسة المجتمعات القروية، ولـــربما يـــرجع هذا إلى نقص التنمية في هذه المجتمعات، حيث تعرضت المجتمعات الريفـــية، وعـــلى وجه الخصوص في البلاد النامية إلى الإهمال الشديد، وعجز في الخدمـــات والمشروعات، سواء في مشروعات التعليم، أو الصحة، أو المياه الصالحة للشـــرب، أو الصـــرف الصـــحي . وارتبط ذلك بمناخ التخلف وظروف التبعية والاستعمار والاستغلال على مستوى الفكر والواقع .

وقد تطرق المؤلف إلى نشأة علم الاجتماع الريفي واتجاهاته النظرية . فقد أدرك الفلاسفة من قبل علماء الاجتماع الفروق الواضحة بين مجتمع القرية ومجتمع المديـــنة . وفي القرن الرابع عشر أخذ المفكر العربي عبدالرحمن بن خلدون بنظرية الأساس الاقتصادي للتفرقة بين المجتمعات الريفية والحضرية .

واســـتخدمت المقارنة بين الريف والحضر في دول أوربا . ويتمثل ذلك في نظـــريات **"هربرت سبنسر"** و **"هنري مين"** و **"بيكر"** و **"فرديناند دي تونيز"** و **"إمـــيل دوركـــايم"** و **"تشـــارلز كـــولي"** و**"سوروكن"** . وفي الولايات المتحدة

الأمريكـــية أهمـــل العـــلماء إبراز الفروق الريفية الحضرية، ولجأوا إلى تحليل البيئة الاجتماعية الريفية، ومعرفة الظروف الاجتماعية الاقتصادية التي يعيش فيها سكان الريف في محاولة للنهوض بمستوى الحياة الريفية .

وقد استعان المؤلف بعدد (١١٦) مرجعاً منها ثلاثة مصادر، أبرزها الجهاز المركـــزي للتعبئة والإحصاء، وثمانية وثمانين مرجعاً عربياً، يقف على قمتها كُتب الأستاذ الدكتور/ حسن همام، وهي مدونة عند نهاية الكتاب تحت عنوان المراجع، والدكـــتورة/ سوســـن عثمان "سياسات التنمية الريفية" . القاهرة، مكتبة النهضة المصـــرية، ١٩٨٨م، والدكتور/ عبدالهادي محمد والي "مجتمع القرية" — دراسة في عـــلم الاجتماع الريفي، كلية الآداب، جامعة طنطا، ٢٠٠٠م، والدكتور/ غريب ســـيد أحمد "علم الاجتماع الريفي"، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، والدكتور/ محمـــد فتح الله هلول "قراءات في علم المجتمع الريفي"، غير منشورة، الإسكندرية، كلية الزراعة، جامعة الإسكندرية، ١٩٦٦م، ١٩٨٩/١٩٩٠م .

ولجأ المؤلف إلى أربع مجلات، وأربعة كتب أجنبية مترجمة أبرزها كتاب "روبرت رد فيلد" . "المجتمع القروي وثقافته" . ترجمة د. فاروق العادلي . الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م . كما لجأ المؤلف إلى سبعة عشر مرجعاً أجنبياً يقف على رأسها Paradigms Falk, Theories and Methods in contemporary Rural Sociology, A Partial Replication and Extensions, Rural Sociology, Nol. 54, No, 4, 1989 .

وينقســـم الكـــتاب إلى ثلاثـــة أبواب، بها واحد وعشرون فصلاً، يُعرف الفصـــل الأول عـــلم الاجتماع الريفي، والذي هو فرع من فروع علم الاجتماع العـــام، يـــدرس المجـــتمع المحـــلي الريفي، والحياة الاجتماعية، والظواهر والنظم

الاجتماعيـة الـتي تنشأ عن معيشة الأفراد في البيئات الريفية، بما تشتمل عليه من معايير وعمليات وجماعات، ومشكلات اجتماعية، أي دراسة القرية باعتبارها ظاهرة اجتماعية .

ويطـرق الفصل الثاني أهمية علم الاجتماع الريفي وأهدافه، وتبدو أهمية علـم الاجتماع الريفي في أن من يعمل بالريف خاصة إذا كان من سكان الحضر ينـبغي أن يكون ملماً ببعض الحقائق والمعارف الريفية حتى لا يسلك سلوكاً منافياً للعـادات والتقاليد والقيم السائدة في المجتمع الريفي مما يعرضه للكراهية . كما أن دراسـة علـم الاجـتماع الريفي في مقابلة الحضر والريف يكشف عن أشكال العلاقات الاجتماعية وأسباب اختلافها .

ويهـدف علـم الاجتماع الريفي إلى التعرف على جميع الحقائق المتعلقة بالظواهر الاجتماعية الريفية . ولعلم الاجتماع الريفي أهداف اجتماعية، وإنسانية، واقتصادية، وثقافية .

ويحمـل الفصل الثالث عنواناً هو **"علاقة علم الاجتماع الريفي بالعلوم الاجتماعيـة الأخـرى"** . فهو ذو صلة بالأخلاق، إذ يكشف عن مظاهر أفراده الخلقية وأذواقهم . ويرتبط كذلك بالفلكلور، حيث يكشف الفلكلور عن شخصية الفـلاح المصري والثقافة الريفية . كما يستعين علم الفلكلور بنتائج دراسات علم الاجتماع الريفي .

ويستعين علم الاجتماع الريفي بالأديان في تحليله لحقائق الحياة الاجتماعية في المجتمع الريفي . كما أنه يرتبط بعلم الاجتماع العام . إذ يستفيد علم الاجتماع الـريفي بمـا يقدمـه علم الاجتماع العام من حقائق تفسر السلوك العام للظواهر

الاجتماعية . ويرتبط علم الاجتماع الريفي كذلك بعلم الاجتماع الحضري، فعلم الاجتماع الريفي وإطاره لا يتحدد إلا إذا قورن بالمجتمع الحضري .

ويتـــبين من هذا الفصل ارتباط علم الاجتماع الريفي بالتاريخ، فالظاهرة الاجتماعية ينبغي تناولها في ضوء الظروف التاريخية . وتبدو كذلك علاقة بين علم الاجتماع الريفي والجغرافيا . فعالم الجغرافيا يستعين بما يتوصل إليه عالم الاجتماع الريفي من نتائج علمية عند تناوله المجتمع القروي . ولعلم الاجتماع الريفي علاقة بعلم السكان، فيما يتعلق ببعض الأمور مثل : الزواج، الطلاق، والأسرة . وكثيراً مـــا يستعين علم السكان بدراسات علم الاجتماع الريفي، فالظواهر السكانية لا يمكن فهمها بعيداً عن السياق الاجتماعي الذي يشكلها ويفرزها .

أمـــا عـــلم الإحصاء فهو يقدم بيانات عن الإحصاءات الحيوية التي تتعلق بالموالـــيد والوفيات، مما يمكن من الاستفادة منها في مجال علم الاجتماع الريفي . ويهتم علم الاجتماع الريفي بدراسة كافة مكونات البناء الاجتماع الريفي، ومنها الظواهر والنظم السياسية . كما يستعين بعلم الاقتصاد ومفاهيمه وتفسيراته .

ويهتم علم الاجتماع الريفي بدراسة ذكاء الفرد الريفي وخياله وتصوراته ومدركاته الجسمية والعقلية، وهي مدركات فردية جمعية في نفس الوقت . ويهتم كذلـــك بأثر الأسس الحيوية للطبيعة الإنسانية في مظاهر السلوك الفردي والجمعي في المجتمعات الريفية . وتبدو علاقة بين علم الاجتماع الريفي والأنثروبولوجيا .

ويلقـــي الفصـــل الرابع الضوء على نشأة علم الاجتماع الريفي واتجاهاته النظرية . وقد أدرك الفلاسفة الفروق الواضحة بين مجتمع القرية والمدينة . وشغلت هذه الفروق الكثير من علماء الاجتماع . وفي الولايات المتحدة الأمريكية حقق في خلال فترة الاستغلال نشاطاً كبيراً في مجال التحضر والتصنيع، فتطورت وازدهرت

المـــدن الأمريكية . وأثر ذلك على القطاع الريفي فساءت أحواله . وفي ضوء هذا نشأ علم الاجتماع الريفي الذي يهتم بالبيئة الاجتماعية الريفية .

ويحمـــل الـــباب الثاني عنوان هو **"المجتمع المحلي الريفي"** . تناول الفصل الخامس "المجتمع المحلي" . وقد تعددت تعريفات المجتمع المحلي فمن العلماء من اتجه اتجاهـــاً سيكولوجيا إذ اعتبر المجتمع المحلي يرتكز على عناصر نفسية . ومن العلماء مـــن أكـــد على أهمية المكان أو البقعة الجغرافية. ومنهم من اعتبره وحدة سياسية، ومنهم من نظر إليه من منظور ثقافي . ومن العلماء من فسر المجتمع المحلي في ضوء عناصـــر سوســـيولوجية، وتشير إليه على أنه بناء أو نسق اجتماعي . ومنهم من يستخدمه لوصف ثقافة فرعية، أو هو نظام اجتماعي .

ويلقي الفصل السادس الضوء على المجتمع المحلي الريفي . ومن العلماء من نظر إليه نظرة إحصائية، وفي ضوء عدد السكان، ومنهم من عرفه في ضوء المهن .

ويشـــير الفصـــل السادس إلى خصائص المجتمع المحلي الريفي وهي البناء الاجـــتماعي والذي يبدو صغيراً بسيطاً، ويتسم بالتجانس، وصغر حجم السكان، وتقـــل كثافتهم . والأسرة في المجتمع الريفي مركبة وتتصف بكبر الحجم . ويعتمد المجـــتمع المحـــلي الريفي على الزراعة . وفي المجتمع الريفي تسود البيئة الطبيعية على البيـــئة الاجتماعية . وتظهر البطالة في المجتمع الريفي .. ويسيطر أبناء الطبقة العليا عـــلى المجتمعات الريفية . وتبدو فيه بدائية النظام الإداري . وترتفع في المجتمعات الريفية نسبة الأمية. ويعمل الفلاح في المجتمع الريفي في ظروف جو صحي . ويعتبر ســـكان الريف أكثر تديناً، واعتماداً على الله . ويحكم المجتمع الريفي مجموعة من المعايير الاجتماعية . ويسود التعاون بين سكان القرية، وهي لا تخلو من الطبقات،

ويتوارث الناس الطبقة التي ينتمون إليها . ويقل الحراك الاجتماعي، والتغير الاجتماعي في المجتمع الريفي يكون بطيئاً .

وينوه الفصل السابع إلى تطور المجتمعات الريفية، إذ قنع الإنسان الأول بما تجود به الطبيعة، فقام بقطف الثمار وجذور النباتات، وأوراق الشجر . كما قام الإنسان الأول بصيد الأسماك والحيوانات البرية . وانتقل الإنسان بعد ذلك إلى مرحلة الرعي، حيث استطاع الإنسان أن يربي الحيوانات . واستطاع الإنسان بعد ذلك أن يزرع . وبدأت المجتمعات الريفية في الظهور عند وديان الأنهار في مصر وبابل والشام وإيران، وأقام الإنسان بجوار الحقول يزرعها .

ويحمل الباب الثالث عنواناً هو **"البناء الاجتماعي للمجتمع المحلي الريفي"** . وفي الفصل الثامن طرقنا السكان في المجتمع الريفي . وقد فرق بعض العلماء بين الريف والحضر على أساس حجم السكان . والسكان الريفيون هم ذلك الشطر من السكان الذين يقيمون في المناطق الريفية من المجتمع . ويقل حجم السكان، وكثافتهم في المناطق الريفية، مما يعمل على أن يعرف كل فرد الآخر، ويلم بتحركاته وتنقلاته . وتعمل قلة السكان على صغر حجم المؤسسات والمنظمات الاجتماعية وعدد المشتركين فيها . كما تؤثر الكثافة السكانية المنخفضة على درجة التدرج الطبقي .

وقد دفعت ظروف حجم السكان، والتي لا تتناسب مع مساحة الأرض إلى الهجرة، والتي قد تكون خارجية، وقد تكون من الريف إلى الحضر .

وألمح الفصل التاسع إلى المعايير الاجتماعية في المجتمع الريفي، وهي تمثل قوة للتناسق في مجتمع القرية، أو المجتمعات الأخرى الصغرى . وتتمثل المعايير

الاجتماعـــية في العـــادات، والعـــرف، والتقاليد، والقيم، والقانون، والرأي العام، والرفاهية الاجتماعية، والضبط الاجتماعي .

وأشـــار الفصل العاشر إلى النظم الاجتماعية في المجتمع الريفي، والتي هي عبارة عن تنظيم التفاعل الاجتماعي الذي هو قاعدة العلاقات الاجتماعية، متضمناً ذلك مجموعة من المعايير والإجراءات تتفق عليها الجماعة، والتي تحدد أنماط السلوك والفعـــل الاجتماعي . وترمي إلى تحقيق هدف محدد بالذات، وتؤدي وظيفة ودوراً معيناً لتصون البناء الاجتماعي وتحافظ عليه .

ويلقـــي الفصل الحادي عشر الضوء على الأسرة في المجتمع الريفي . فقد حدثـــت تغيرات أثرت على الأسرة الريفية من حيث الحجم، والسلطة، والعلاقات الأسرية .

وتناول الفصل الثاني عشر الاقتصاد في المجتمع الريفي، حيث تبقى الزراعة هـــي المهـــنة السائدة . ويحتاج الفلاح إلى خبرة ومهارة، فيفهم خصائص أرضه، ويعـــي كل جوانب العمليات الزراعية، ويعرف الفلاح أمراض النبات والحيوان، ويعرف بعض الآلات الزراعية، وكيفية صيانتها . وفي القرى يتحدد برنامج العمل الزراعي سنوياً بتتابع فصول السنة .

وفي الفصل الثالث عشر عرضنا للنظام التربوي في الريف، حيث لا يمكن تصور حياة الناس في مجتمع من المجتمعات بدون تدخل النظام التربوي . وفي القرية ترتبط نظرة القروي إلى التعليم بعاملين، هما :-

١ - مجموعة القيم التي توجه حياته .

٢ - حاجاتــه الرئيســية على أساس أن الزراعة هي مهنته الأولى والأخيرة. ثم تغيرت نظرة القروي إلى التعليم نتيجة تغير النظرة إلى قيمة العمل الزراعي، وظهور مظاهر جديدة للثروة، كالتجارة، وتغير النظرة إلى المركز .

وتعــرض الفصل الرابع عشر للدين في المجتمع القروي، حيث أن له مكانة كبيرة . والريفيون أكثر تديناً لما يحيط العمل الزراعي من غموض، وتأثره بالظروف الطبيعية، التي تتحكم في عملية إنتاج المحاصيل رغم التقدم العلمي الحديث .

وألمــح الفصل الخامس عشر إلى النظام الترويحي في الريف، حيث قامت وزارة الشــئون الاجتماعــية بإنشـــاء المراكز الاجتماعية للنهوض بمستوى الحياة، وأنشئ في كل مركز نادي ريفي .

وطــرق الفصل السادس عشر موضوع الصحة في المجتمع الريفي . إذ لم تسمح إمكانيات الفلاح بتوفير المسكن الصحي والغذاء المتكامل والملبس المناسب، ممــا ترتــب علــيه مشــاكل صحية، فالمسكن الريفي يعرض الفلاح لمجموعة من الأمــراض. وفقره وجهله أصابه بأمراض التغذية، وشوارع القرى ضيقة، بها أكوام الســماد، ووجــود الــبرك والمستنقعات، وعدم مراعاة الاشتراطات الصحية في الأسواق ومذابح اللحوم، وارتفاع معدل الوفيات .

وأشار الفصل السابع عشر إلى البناء الطبقي في المجتمع الريفي حيث يندر وجود الطبقة العليا في المجتمع الريفي . وتعتبر الطبقة الوسطى أكبر الطبقات جميعاً، ويليها الطبقة بين الوسطى والعليا، وأخيراً الطبقة الدنيا .

وتناول الفصل الثامن عشر التغير الاجتماعي في المجتمع الريفي، فقد حدث الــتغير في المجــتمع الــريفي نتيجة عدة عوامل داخلية وخارجية . إذ أدت الثورة التكنولوجــية واخــتراع الآلات والماكينات، ودخول الكهرباء وأجهزة الاتصال

وتقــدم البحث العلمي في مجال الاستزراع، وتربية الحيوانات الزراعية، والتغيرات السكانية — أدت جميع هذه العوامل إلى التغير الاجتماعي .

وألقــى الفصل التاسع عشر الضوء على مشكلات المجتمع الريفي، والتي تتمــثل في المشـــكلات الاقتصــادية، ومشكلات الإسكان الريفي، ومشكلات اجتماعية، ومشكلات صحية ومشكلات عمرانية .

وألمــح الفصل العشرون إلى التنمية الريفية، وينبغي أن يتوافر فيها عدد من الأســـس والمبادئ . كما أنها تواجه بعدد من الصعوبات والمعوقات . ويبين الفصل كذلك مقاييس التنمية الريفية .

وطــرق الفصل الواحد والعشرون موضوع "المجتمع الريفي في مصر" . فلقــد ســاعدت مهــنة الزراعة على استقرار المجتمعات الريفية . وتناول الفصل مقومـــات المجتمع الريفي في مصر، وهي : مقومات اقتصادية، والإدارة والتنظيم، والمقومات العمرانية، الأسرة، السكان، التعليم، الدين، الخدمات الترفيهية .

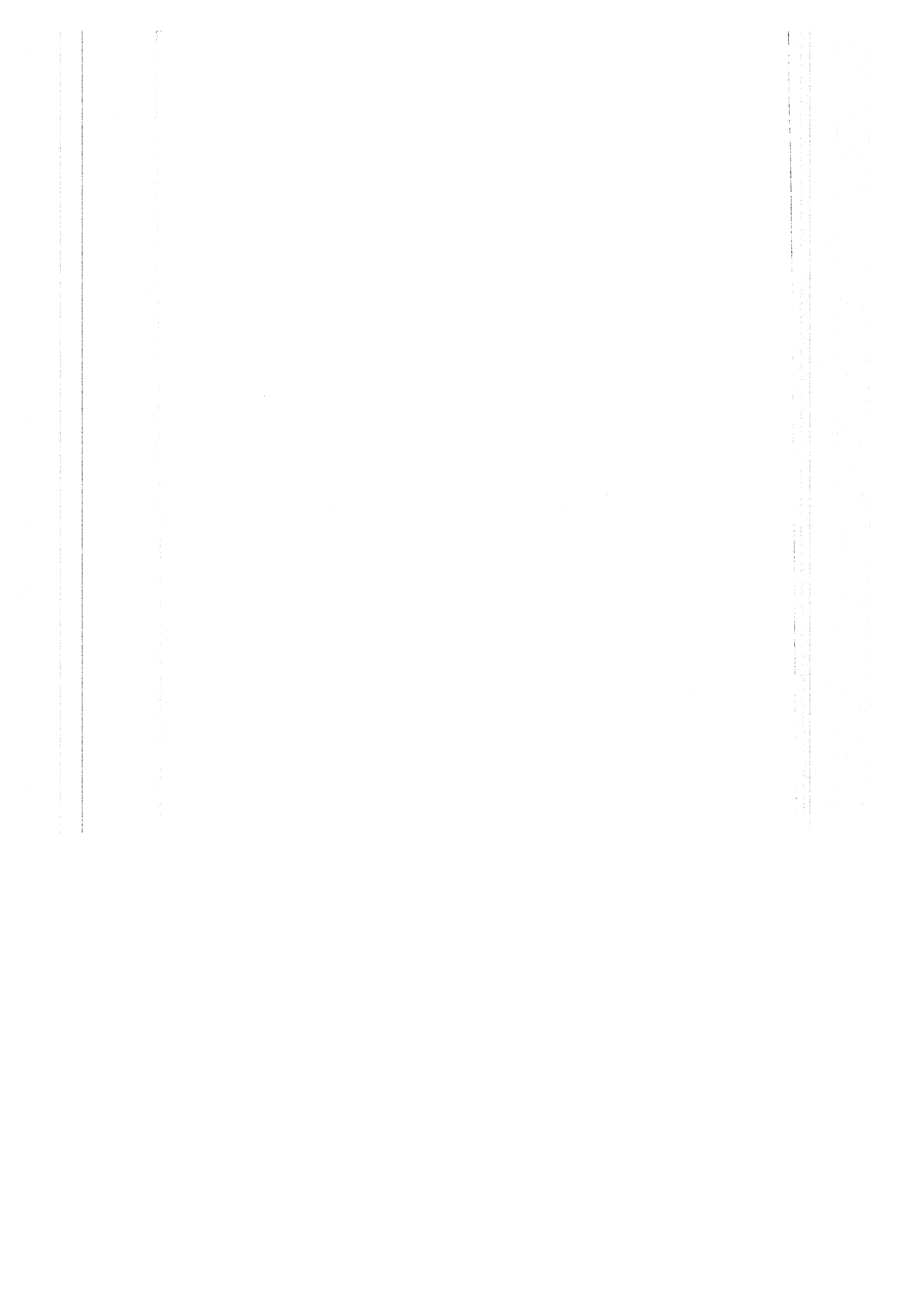
وعــرض الفصل الخصائص النفسية والاجتماعية لسكان الريف في مصر، وهــي الكــرم، واحترام السن، والتأثر بالعلاقات الشخصية، والنظرة غير المحددة للوقت والمسافات، واحترام القوة والشجاعة، والتأثر العاطفي، والمعتقدات .

وتــناول الفصــل مشــكلات المجــتمع الريفي في مصر وهي : المشكلة الاقتصــادية، انخفاض مستوى المعيشة، ومشكلات اجتماعية، المشكلة السكانية، انخفاض مستوى التعليم، والمشكلات الصحية . وأشار كذلك إلى معوقات التنمية في الريف المصري .

دكتور/ حسين عبدالحميد أحمد رشوان

الباب الأول

علم الاجتماع الريفي



الفصل الأول

علم الاجتماع الريفي وموضوعاته

التعريف بعلم الاجتماع الريفي

Rural Sociology

عـــلم الاجتماع الريفي هو فرع من فروع علم الاجتماع العام، بل ومن أقـــدم هـــذه الفروع . وهو علم وصفي تحليلي يدرس البناء الاجتماعي للمجتمع المحـــلي الـــريفي، والحياة الاجتماعية، والظواهر والنظم الاجتماعية التي تنشأ عن معيشـــة الأفراد في البيئات الريفية، بما تشتمل عليه من معايير وعمليات وجماعات، ومشكلات اجتماعية – أي دراسة القرية باعتبارها ظاهرة اجتماعية [1] .

وفي ضـــوء هذا فإذا كان علم الاجتماع يتعامل مع العمليات الاجتماعية عـــلى عمومها وإطلاقها، فإن علم الاجتماع الريفي يتعامل معها أيضاً، ولكن في مجال الريف والقرية . وإذا كان علم الاجتماع يعالج المشكلات الاجتماعية برمتها، فإن علم الاجتماع الريفي يركز على مشكلات المجتمع الريفي .

كذلك إذا أراد علم الاجتماع العام أن يضع و يتنبأ بخط سير المجتمع الكبير في المســـتقبل، فإن علم الاجتماع الريفي يأمل أن يصل إلى حكم العلاقات الريفية بقوانين وأن يكون التنبؤ بأحوال المجتمع الريفـــي ممكناً .

---

(١) أنظر د. جمال المحاسب – علم الاجتماع الريفي ص ١٦ .

وعـــلى ذلك ينبغي أن تقوم الدراسة حسب الطرائق العلمية المتبعة في علم الاجـــتماع العـــام، في محاولة للكشف عن القوانين التي تحكم الحياة في المجتمعات الريفية .

ولقـــد زاد اهتمام العلماء بدراسة المجتمعات القروية، وربما يرجع هذا إلى نقص التنمية في هذه المجتمعات .

وقد عرَّف **سند رسون** (١) علم الاجتماع الريفي بأنه يهتم بدراسة الحياة في البيـئة الريفـــية . ويشير هذا التعريف إلى العلاقات المختلفة السائدة في الريف، وكذلك العوامل التي تؤثر على التجمعات البشرية، وتقدمها، ووظيفتها .

ويضـــيف **لوري نيلسون L. Nelson** (٢) أنه يتركز في وصف وتحليل الجماعات الاجتماعية الموجودة في البيئة الريفية، وكذلك العلاقات القائمة بين هذه الجماعات، مع الاهتمام ببعد الرفاهية الاجتماعية في هذا المجتمع، وعلى ذلك تحتل الثقافة أهمية خاصة في تعريف **لـــــوري نيلســـــون L. Nelson** .

ويذهـــب العلامة **T. Lyn Simith** (٣) إلى أنه علم دراسة العلاقات الاجتماعية الريفية، والتي يمكن أن نطلق عليها علم اجتماع الحيـــاة الريفية.

وعـــرَّف **تـــايلور** (٤) هذا العلم بأنه يدرس السكان الريفيين، وعلاقاتهم الاجتماعـــية ســـواء أكانـــت هذه العلاقات بين الأفراد وبعضهم، أو بين الأفراد والجماعات التي ينتمون إليها، أو بين الجماعات وبعضها .

---

(١) أنظر د. حسن همام – مدخل علم الاجتماع الريفي ص ١٦ .
(٢) د. محمد الغريب عبدالكريم . سوسيولوجيا القرية ، ص. ص ١٤ – ١٥ .
(٣) د. كمال سعيد وآخرون – علم الاجتماع الريفي والحضري والصناعي ص ٨ .
(٤) د. أسامة أبو المكارم شاكر – مدخل لدراسة علم الاجتماع الريفي ص ٣١ .

ويـــرى **ألفن برتراند Alvin Bertrand** أن علم الاجتماع الريفي يهـــتم بدراســـة العلاقات الإنسانية في البيئة الريفية إلى جانب اهتمامه بالمشكلات الاجتماعـــية الـــتي توجـــد في هذه المجتمعات كالتعليم والصحة وما يشابهها من مشكلات .

وهناك من يري أن علم الاجتماع الريفي قد نشأ لمواجهة المشكلات التي يعـــاني مـــنها المجتمع الريفي . ثم اتسع نطاق هذا العلم فأصبح يتناول الإيكولوجيا الريفـــية متمـــثلة في البيـــئة والسكن ومواقع الإنتاج والخدمات وكذلك التركيب الديموجـــرافي وطبيعة الهجرة الريفية الحضرية وعوامل الجذب والطرد وما يصاحبها من مشكلات التكيف والتفاعل الاجتماعي . بالإضافة إلى الفروق الريفية الحضرية ومستويات المعيشة والنظم الاجتماعية الريفية مثل الأسرة والزواج والقرابة وغيرها.

وفي ضوء هذا يكون علم الاجتماع الريفي شأنه شأن أي فرع من فروع علم الاجتماع، كعلم الاجتماع العائلي، والسياســـــي، والديني [١] .

وقـــد تـــناول ســـلوكهم في كـــتابه بعنوان **"علم الاجتماع الزراعي" Agricultural Sociology** الـــثقافة والتنشـــئة الاجتماعية والعلاقات الشخصية بين الأفراد، إلا أنه خص الثقافة باهتمامه، واعتبرها هامة في فهم المجتمع الزراعي .

وفي الاتحـــاد الســـوفيتي أجـــرى **" ب . سيموس "** دراسة حول المزرعة الجماعـــية الســـوفيتية، واهتم بدراسة الحياة الاجتماعية في المزارع الجماعية، وما تحويـــه مـــن عناصـــر مثل : ميكانيزمات تغيير الحياة القديمة في الريف السوفيتي، والعلاقـــة بـــين القروي والبيئة المحيطة به، والأسس الاقتصادية للمزرعة الجماعية،

---

(١) د. غريب سيد أحمد ، ود. السيد عبد العاطي - علم الاجتماع الريفي والحضري ص ٧ .

والإنســـان في نطـــاق العمل، وتوزيع الدخل بين المزارعين، والنظام الديموقراطي للمزرعة، والأسرة والحياة اليومية المجتمعية، والعلاقات الاجتماعية بين الناس .

وهناك دراسات أخرى حول المزارع السوفيتية اهتمت بموضوعات الإدارة الذاتية في المزرعة، والمطامح المهنية والعملية لدى صغار الشيوعيين، والحياة الروحية في المزارع الجماعية .

ونتـــيجة لذلك، رأى بعض علماء الاجتماع أن علم الاجتماع الريفي لا يجـــب أن يلحق بعلم الاجتماع، وإنما الأصح أن يظل نوعاً من الدراسات المتعلقة بالزراعة والإنتاج الزراعي .

موضوعات الدراسة في علم الاجتماع الريفي

ينحصـــر مجـــال أو موضوع علم الاجتماعي الريفي في التجمع السكاني المعـــروف بالمجـــتمع الـــريفي أو القرية . ويهتم هذا العلم بالقرية باعتبارها ظاهرة اجتماعـــية، إذ تنطـــبق خصائص الظاهرة الاجتماعية على القرية، ويبدو ذلك في الآتي:

أ — القرية تلقائية النشأة :

بمعنى أن الإنسان البدائي بعد أن عرف استئناس الإنسان ثم الحيوان، اضطر إلى الاســـتقرار بدلاً من حياة التجول من أجل الجمع والالتقاط . ومن المرجح أن استقراره يرتبط بالكهوف، تلك التي أنشئت بجوار بعضها البعض استجابة للضرورة الاجتماعـــية الـــتي تقضى بالاستئناس بالغير . ثم بدأت هذه الكهوف تأخذ شكل مـــنازل صغيرة أكثر ارتفاعاً واتساعاً من الكهوف . وبمقتضى الضرورة الاجتماعية الـــتي تقضـــى بوجود " **سلطة اجتماعية** " لفض المنازعات وتنظيم المعاملات بين

الأفــراد أصبح لمجموعة المنازل الصغيرة هذه " رئيس " ومن ثم يمكن القول بظهور القــرية. وطالمــا أن هــذه القرية خالية من الخدمات الحضرية مثل الإنارة والمياه والمجــارى والطرق المرصوفة والمنازل المشيدة طبقاً لتخطيط معين بالإضافة إلى أن غالبــية سكانها يعملون بالزراعة، فإن صفة القرية تنطبق عليها، ومثل تلك القرية ليســت مــن صنع فرد أو أفراد، ولكنها من صنع المجتمع ومن خلقه. وتظهر على مســرحه بصورة طبيعية تلقائية، وبوحي من العقل الجمعي الذي ينشأ من اجتماع الأفــراد ومن تبادل آرائهم وتفاعل وجهات نظرهم حول شئون الحياة الاجتماعية وتلاقي وجداناتهم وانصهار رغباتهم وإرادتهم الخاصة .

ب – القرية تمتاز بأنها ذات طبيعة إنسانية :

فللإنســان ثلاثــة طــبائع : اجتماعية ونفسية وحيوية، وبمقتضى طبيعته الاجتماعية، يتعاون مع الآخرين ويخضع لما يخضعون له من قواعد وقوانين مكتوبة وغــير مكــتوبة، ويعــيش في مجتمع محلي . وهذا المجتمع المحلي قد يكون قرية أو مديــنة.. وبمقتضــى طبيعته النفسية، نجده يشعر ويتألم ويتلذذ ويفكر ويتخيــل ويفرح ... الخ . وهذا لا يتحقق إلا بمعيشته في مجتمع محلــي . وأخيراً فإنه بمقتضى طبيعته الحيوية، نجده يأكل ويشرب وينتقل في الزمــان والمكان ... الخ . وهذا لا يــتحقق أيضاً إلا بمعيشته في مجتمع محلي يوفر له ما يحتاج إليه من متطلبات الحياة . كما يساهم هو بجهوده فيما يؤدي إلى توفير متطلبات الحياة للآخرين . وعلى ذلك فإن القرية ليست مجموعة من المنازل فحسب، وإنما القرية " **اجتماع** " من الأفراد بمقتضــى طبيعــتهم الاجتماعية، ومن هنا اكتسبت القرية صفتها الإنسانية، **فهي** مسكن للإنسان وليست مسكناً لغيره من الكائنات الحية .

ج – القرية ظاهرة عامة ومنتشرة :

فهي موجودة في المجتمعات، ومن صفاتها العمومية والانتشار .

د – القرية تمتاز بموضوعيتها وشيئيتها وخارجيتها :

فهي ليست إحساساً أو شعوراً داخلياً، كما أنها ليست تصوراً أو خيالاً، وإنما هي حقيقة واقعية خارج ذواتنا وبعيدة عن تجسداتنا الفردية . ومن ثمن يمكن دراستها دراسة موضوعية باعتبارها شيئاً يشغل حيزاً في الزمان والمكان.

والمقصود بالشيء، هنا، هو ما يقابل " **الفكرة** " بمعنى أن معرفتنا لها تستمد من الواقع، فطالما أن القرية تشغل حيزاً في الزمان والمكان فهي تتضمن محتويات التراث التاريخي الذي ينطوي على السنن الاجتماعية والعادات والأعراف والتقاليد والقيم والمبادئ والمعايير التي تنظم بمقتضاها سلوكيات ومعاملات أفراد المجتمع، حيث يخضع الأفراد لأحكامها احتراماً لسلطانها الأدبي وقدسيتها الزمنية، ويكتسب الفرد هذا التراث الاجتماعي أثناء طفولته من خلال تنشئته الاجتماعية بواسطة أسرته، ومن ثم يصبح جزءاً أساسياً من حياتها .

هـ– القرية تمتاز بالترابط :

ذلك أن القرية تترابط بوسيلتين إحداهما مورفولوجية وهي الشوارع والطرقات التي تربط أجزائها ببعضها البعض، والثانية فسيولوجية وهي العلاقات الاجتماعية القائمة على القرابة أو المصاهرة أو الصداقة أو الجوار أو الاشتراك في المواطنة .. وهذه العلاقات تخضع لمقتضيات النظم الاجتماعية مثل النظام السياسي أو الاقتصادي أو الأخلاقي أو التربوي ..

و - القرية مزودة بصفة الجبر والإلزام :

لا شك أن الإنسان الفرد في الكون ليس له وجود، فهو لا يستطيع الحياة بمفـــرده وإنمـــا مـــن الضــــروري أن يشترك في " **الاجتماع** " مع الآخرين، وهذا الاجتماع لا يتحقق إلا في القرية أو المدينة . وبذلك اكتسبت القرية والمدينة صفة الجـــبر والإلزام، غير أن هذا الإلزام ليس فيه ضغط على حرية الأفراد، وإنما الأفراد يتمسكون بالحياة في القرية أو في المدينة أو في كلتيهما طوعاً، ذلك أن هذا الإلزام لا يشـــعر به الإنسان، كما لا يشعر تماماً بالضغط الجوي الذي اعتاد عليه الإنسان منذ نعومة أظافره .

ز - القرية تمتاز بصفة الجاذبية :

ذلـــك أن القـــرية التي يولد فيها الإنسان ويعيش فيها فترة طفولته وصدر شبابه تتكون له فيها ذكريات ترتبط بمراحل الطفولة وانطلاقها ومغامرات الشباب وبطولاتـــه الوهمـــية .. ومن ثم تصبح تلك القرية جزءاً من حياته، وبالتالي فإنه إذا أتيحت له فرصة الانتقال إلى مكان آخر داخل المجتمع أو الهجرة إلى خارج المجتمع فإن الحنين إلى قريته يدفعه إلى التردد عليها في مختلف المناسبات . ومن جهة أخرى فـــإن فكـــرة الضواحي المجاورة للمدن كانت نوعاً من الارتداد أو النكوص لدى أصـــحاب تلك الفكرة للحياة في القرية بعيداً عن ضوضاء المدينة وما تمتلئ به من أتربة متطايرة وغازات وأبخرة تملأ جو المدينة، مما يودي إلى صعوبة الشهيق والزفير، ومـــا يترتـــب على ذلك من أمراض نتيجة لاستنشاق هواء غير نقي . وكل ذلك يؤكد جاذبية القرية .

ح - القرية عبارة عن أساليب وقوالب وأوضاع للتفكير والعمل الإنساني :

ذلك أن الذي ينشأ في القرية من الفتية والفتيات في ظل سنن اجتماعية معينة تتصل بالزي والأفكار والمعتقدات وبمختلف الشئون المتعلقة بالأسرة والمعاملات الاقتصادية والأوضاع السياسية والفروض الدينية والمعايير الأخلاقية وما إليها من العلاقات التي تنشأ تلقائياً بين أفراد يضمهم مجتمع واحد .. يضطرون للخضوع لأساليب المعاملات السائدة في القرية وبنفس القوالب التي توجد بداخلها تلك الأساليب في التفكير وفي العمل وفي غير ذلك حتى لا تلفظهم القرية خارجها.

ومن هذا يتضح أن خصائص الظاهرة الاجتماعية تنطبق على القرية. وبالتالي فإن القرية تعتبر ظاهرة اجتماعية (١) .

ويهتم علم الاجتماع الريفي بالعديد من موضوعات الدراسة، فقد أقام دعائمه على كل ما استخلص من نتائج الأبحاث والدراسات التي آجراها في الريف على الريفيين . وهو يستقي مادته العلمية من الحياة الاجتماعية الريفية في حالة الاستقرار والتغير، ويتعرف على طبيعة العلاقات الاجتماعية التي تحدث بين الأفراد والجماعات، والجماعات بعضها بالبعض .

ويهتم علم الاجتماع الريفي بالثقافة السائدة في المناطق الريفية. فقد اهتم لوري نيلسون **L. Nelson** بالبيئة الطبيعية، والدور الذي تلعبه في الحياة الاجتماعية في الريف، والخصائص البيولوجية للسكان . وكيف ترتبط بالسمات

---

(١) د. زيدان عبد الباقي - علم الاجتماع الريفي ص. ص ١٩ - ٢٤ .

الاجتماعية عند القرويين . كما اهتمت بدراسة أنماط التفاعل الاجتماعي، وأعطى للثقافة أهميـــة كبيرة [١] .

وحَصَـر " والــتر سلوكم " **W. Slocim** مهام هذا العلم في نفس الموضـــوعات الـــتي أشار إليها " **نيلسون** " . ففي كتابة بعنوان "**المجتمع الزراعي**" **Agricultural Sociology** تناول الثقافة والتنشئة الاجتماعية والعلاقات الشخصـــية بين الأفراد . ويخضع علم الاجتماع الريفي هذه الموضوعات للدراسة والتجريب، ويستخلص منها قواعد مقننة .

ويهـــتم علم الاجتماع الريفي كذلك بدراسة النظم والمؤسسات الموجودة في الـــريف، وذلـــك مـــثل : النظام الأسرة، وذلك لمعرفة نوع الأسرة السائدة في الريف، وهل هي ممتدة أو نووية، وصفاتها، والعلاقة بين الأفراد والأقارب، وقضية تعدد الزوجات والمشاكل المختلفة التي تواجه الأسرة الريفية .

ويدرس علم الاجتماع الريفي كذلك النظم الاقتصادية السائدة في المجتمع والـــنظام التعليمي، والنظام الديني، والنظام الترفيهي، والنظام الحكومي . وتدرس هـــذه الـــنظم من حيث تركيبها وخصائصها ووظيفتها، والدور الذي تقوم به في المجتمع .

ويهـــتم عـــلم الاجتماع الريفي بالتغير الاجتماعي الذي يعتري المجتمعات الريفـــية، والاتجاهات الجديدة التي احتلت مكانها في العلاقات عند الشعوب الريفية نتـــيجة لتـــبنى نوع جديد من الآلات الزراعية، والتي أدت إلى توفير عدد كبير من الأيـــدي العاملة . وفي مثل هذه الحالة يعني علم الاجتماع الريفي بدراسة عمليات التوافق والتكيف الاجتماعي الذي يقوم به الريفيون في استجابتهم لهذه التغيرات .

---

(١) أنظر د. غريب سيد أحمد – علم الاجتماع الريفي ص ١٩ .

ويعنى علم الاجتماع الريفي كذلك بالتنمية الريفية، وما يتبعها من انتشار الأفكـــار والأســـاليب العلمية الحديثة التي تناسب الزراعة العصرية، ودور المرشد الـــزراعي، والمهندس الزراعي في تعليم المزارعين وتحسين الإنتاج، وذلك من أجل الـــنهوض بالمجـــتمع، ورفع مستوى معيشة كافة أفراده. ويتم ذلك في إطار محدد وخطوات منظمة بواسطة الأهالي أنفسهم، مع إشراف وتعاون المؤسسات المختلفة بالمجتمع .

ويـــدرس عـــلم الاجتماع الريفي كذلك الفروق الريفية الحضرية. ويهتم بدراســـة مســـتوى المعيشـــة داخل الطبقات التي يضمها نسق التدرج الاجتماعي والاقتصادي .

وقـــد حـــدد " **ألفين برتراند** " موضوع علم الاجتماع الريفي عن طريق أبعاد ثلاثة [١] .

١ - البعد الأول :

ويتضـــمن حـــدود المـــناطق المنعزلة إلى جانب الروابط المتعددة الموجودة بإطارهـــا المـــتعلق بالمكان . والباحث الذي يأخذ بهذا الاتجاه عليه أن يصف جميع الوظائف التي تظهر في الروابط الاجتماعية التي تظهر في حياة الرجل الريفي .

٢ - البعد الثاني :

وهو الذي يتعلق بالدراسة الطولية والعرضية للانساق **Systems** وفي هـــذه الحالة لا يكتفي بوصف المجتمع وتحليله كما هو ظاهر في الإقامة بمنطقة ما،

(١) د. محمـــد عـــاطف غيـــث، وآخرون - " **دراسة نظرية ومرجعية للمجتمع الريفي** " - المجلة الاجتماعية القومية، المجلد السادس، العدد الثالث، سبتمبر ١٩٦٩ ص. ص ١٨ - ١٩ .

وإنمـــا يجـــب أن يؤخذ في الاعتبار كل ما **يتعلق بالزمان والمكان** . وهذا يعني أن مجتمع اليوم ليس إلا نتاج فترة طويلة من **التغير والتراكم الثقافي** . وعلى ذلك يجب عـــلى الباحـــث في المجتمع الريفي أن يدخل **عامل الزمن في تقديره** . الأمر الذي يتعين معه **معرفة القوة الخارجية والداخلية التي ساعدت في الماضي على تشكيل الظاهرة الاجتماعية ووجودها** بالصورة التي هي عليها في الوقت الحاضر.

٣ – البعد الثالث :

وهـــو الـــذي يـــتعلق بالعمق، وذلك لأنه لكي نعرف الحياة الاجتماعية للإنسان فنحن في حاجة إلى معرفة أكثر وأدق بطبيعة الفرد ذاته من حيث حاجاته ودوافعه واتجاهاته، وكل ما يتعلق بأشكال السلوك الظاهر . ويهتم الباحث في هذه الحالـــة بمعرفة **الأساليب والعوامل التي تؤدي إلى وجود أنماط واستجابات مختلفة عـــند الأفراد والجماعات**، وكيف تختلف أيضاً في **الزمان والمكان** . ومثال ذلك يجب على الباحث أن يعرف كيف تتغير **الآداب الشعبية والعرف**، وكيف تتعدل أنساق القيم [(١)] .

ويهـــتم عـــلم الاجتماع الريفي بالمشكلات الاجتماعية، حيث ارتبط في نشـــأته في الولايات المتحدة الأمريكية بدراسة المشكلات الاجتماعية التي تقوم في الحـــياة الريفـــية القروية، وعلاجها . ويدل على هذا أن أول كتاب نشر في علم الاجتماع الريفي كان سنة ١٩١٣، وقد تركز موضوعه عن ظروف الحياة الريفية الأمريكية ومشكلاتها .

---

(١) نفس المرجع السابق – ص. ص ١٨ – ١٩ .

ويدرس علم الاجتماع الريفي السكان الريفيين من حيث الحجم، والتوزيع على المناطق المختلفة، وكثافتهم، والهجرة بأنواعها والعوامل المشجعة أو المعوقة لها، وصـــفات المهاجـــرين، واتجاهاتهم المختلفة داخل الريف، ومن الريف إلى المدينة، وكذلك الإطلاع على ظروفهم الاجتماعية، وانتقالهم إلى طبقات أحسن أو مستوى أعلى من الناحية الاقتصادية والاجتماعية .

ويـــدرس كذلـــك الإيكولوجـــيا، ويقسم السكان حسب فئات العمر، والجنس، والمهن، والحرف، وفئات الدخل، والأديان والحالة الاجتماعية .

ولقـــد أصـــبح علم الاجتماع الريفي في الوقت الراهن يهتم بموضوعات جديـــدة، مـــثل : الجماعـــات الريفية، والجماعات العنصرية، والصحة، والتعليم، والضمان الاجتماعي .

واهـــتم عـــلم الاجتماع الريفي أيضاً بدراسة المجتمعات الريفية في البلاد المتقدمة، ثم اتجهوا إلى دراسة المجتمعات الريفية في البلاد النامية والمتخلفة .

وهناك مجالات عمل عديدة يخوضها المتخصصون في علم الاجتماع الريفي غـــير التدريس والبحث، تتمثل في مجال الإرشاد الزراعي، وهيئات التنمية الزراعية عـــلى مخـــتلف مســـتوياتها الدولية، والقومية، والمحلية، وإدارات العلاقات العامة، والإعلام الريفي .

الفصل الثاني

أهمية علم الاجتماع الريفي وأهدافه

أهمية علم الاجتماع الريفي

علم الاجتماع الريفي أحد الفروع التي تفرعت عن علم الاجتماع، لمعالجة موضوعاً خاصاً به هو المجتمع الريفي . وتبدو أهمية دراسة علم الاجتماع الريفي في أن الكائـــنات البشـــرية أمضت حياتها الأولى في جماعات صغيرة . وكانت تقضى وقتها في صيد الحيوانات، وجمع الثمار، أو الزراعة .

أما المدن الحديثة فلم تظهر إلا من خلال القرنين الماضيين . ومع ذلك فثمة مدن كبرى كانت قد وجدت في كل عصور التاريخ الغابرة . إلا أن هذه المدن التي ظهرت قبل الثورة الصناعية كانت مدناً استهلاكية، حيث لم تكن تعتمد على ذاتها في إنتاج ما تستهلكه، وإنما كانت تحصل على احتياجاتها بفضل ما تقوم بدفعه من ضرائب وإيجارات، وما إلى ذلك، دون أن تضطر إلى رد المقابل .

ولقد ثبت أن كثيراً من سكان العالم ينتمون إلى المجتمع الريفي . ولا شك أن إغفـــال هـــذا الجانب الأكبر من المجتمع البشري من الدراسة الاجتماعية يجعل دراسة المجتمع ناقصة ويحيل دون تكوين صورة صادقة عن المجتمع .

هـــذا وينـــبغي أن يكون الإنسان المعاصر الحضري أو الريفي ملماً بطبيعة المجـــتمعات الحضرية والريفية على حد سواء، وذلك من حيث خصائص الحياة في

كـــل نـــوع منها، وطبيعة العلاقات المتبادلة بينهما والفروق بينها أو أوجه التماثل والتشابه .

ويعاني العالم في العصر الحاضر من هجرة كثير من سكان الريف إلى المدن. وتؤثـــر هـــذه الهجرة في القوى العاملة في المجتمعات الريفية، مما يؤثر في إنتاج هذه المجـــتمعات في الوقـــت الـــذي تشكو فيه الإنسانية من نقص في الموارد الضرورية للإنسان .

وتـــتجه كـــثير مـــن دول العالم خاصة النامية منها إلى إقامة مشروعات الإصـــلاح الاجتماعي في الريف . وتتطلب هذه المشروعات أن يَلُم من يعهد إليه بتنفـــيذها بقـــدر من المعلومات عن خصائص هذه المجتمعات حتى لا يصدموا بما ســـوف يقابلهم من مشكلات، فالطبيب الذي سوف يعمل بالوحدات الصحية في المناطق الريفية لابد وأن يتعرف على مشاكل الريف الصحية وأحوال المجتمع الريفي الاجتماعـــية والاقتصـــادية حتى يستطيع أن يساير هذه الأحوال بما يمكنه من تأدية رسالته على أكمـــل وجه .

ويجـــب على من يعمل في الريف أن يَلُم ببعض الحقائق والمعارف الريفية حتى لا يسلك سلوكاً منافياً للعادات والتقاليد والقيم السائدة في المجتمع الريفي، بما يعرضـــه للكراهـــية أو السخرية من الريفيين، وحتى لا تكون فترة عمله عصيبة في تقديره .

وإذا ما فهم الحضري الذي يعمل بالريف ما يحيط به من أحداث في المجتمع الـــريفي استطاع بذلك أن يتكيف اجتماعياً ونفسياً مع البيئة الريفية، كذلك الحال بالنســـبة للعاملين غير الريفيين، والذين عملوا طيلة حياتهم بالمناطق الحضرية، فإن عليهم أن يلموا بأحوال الريف، فالطبيب الذي يعمل في المدينة عليه أن يَلُم بعادات

وقـيم ومشـاكل أهل الريف، لأنه يتعامل مع السكان الحضريين والريفيين على السواء .

كذلـك فـإن خريجي الجامعات والمعاهد المتخصصين في مجالات متنوعة كالمهـندس، ورجـل القانون، والخدمة الاجتماعية، والتدريس، وهم من أصول حضرية، لكنهم يعملون ولفترة ليست بالقصيرة في مناطق ريفية، يحتاجون إلى دراية بعلم الاجتماع الريفي ليطلعهم على طبيعة الحياة الريفية، بما يهيئهم إلى التوافق مع تلك البيئة . كما أنه يمدهم بالتفكير في أساليب التغير الملائمة التي تمكنهم من رفع مستوى المعيشة في المجتمع المحلي الريفي، والإسهام بشكل فعال في حل مشكلاته .

وتشـير الإحصاءات إلى أن عدد المزارعين - في كثير من بلدان العالم - يتناقص، وفي نفس الوقت تزداد نوعيات أخرى من العاملين في الزراعة أو في مهن ريفـية أخـرى، كالأطباء البيطريين، والمتخصصين في الإرشاد الزراعي، ومسئولي تسـويق المحاصيل الزراعية، وغير ذلك من المتخصصين في خدمات المهن الزراعية . ومن ثم فإن الطلاب الذين يلتحقون بالتعليم في مختلف هذه التخصصات والفروع، يحتاجون إلى فهم المجتمع الريفي في شتى جوانبه .

كذلـك فإن علم الاجتماع الريفي ينمو ويتعاظم باستمرار في شتى أنحاء العالم بوصفه مهنة يتزايد الإقبال عليها .

وتسـعى الدولة إلى إنشاء مجتمعات ريفية جديدة ويتطلب هذا دراسات دقـيقة لمعرفة أفضل الظروف لتوطين المجتمعات الجديدة وتشجيع البدو العاملين في حرف غير منتجة بالحضر على الاستيطان الريفي حلاً لمشاكل ازدحام المدن ونقص مستوى معيشة البدو ورغبة في زيادة الإنتاج .

وتساعد دراسة علم الاجتماع الريفي في مقابلة الحضر والريف مما يكشف عـــن بعـــض أشـــكال العلاقـــات الاجتماعية وأسباب اختلافها وتطورها بتطور المجتمعات مما يعين على فهم الظواهر الاجتماعية ويوجه الدراسة الاجتماعية وجهة تثير الباحث في الوصول إلى القوانين السوسيولوجية .

أهداف الدراسة
في علم الاجتماع الريفي

يســـتهدف علم الاجتماع الريفي كعلم التعرف على جميع الحقائق المتعلقة بالظواهر الاجتماعية الريفية، واكتشاف الحقائق التي لا يراها الإنسان العادي بمجرد الملاحظـــة العابرة، ويحاول الربط بينها بشكل يمكن من فهم طبيعة هذه الظواهر، والتنبؤ بسلوكها تحت الظروف المعينة، وذلك بغرض السيطرة عليها للصالح العام .

وتـــبدو أهـــداف عـــلم الاجـــتماع الريفي في عدة أهداف مختلفة هي : اجتماعية، وقومية، وإنسانية، واقتصادية .

الأهداف الاجتماعية :

يهـــتم عـــلم الاجـــتماع الريفي بدراسة الحالة الاجتماعية لأهل الريف المرتبطين بزراعة الأرض، وتحقق الرضا لهم، وتوجيههم للحياة، وإثارة الوعي بينهم، ممـــا يجعـــلهم يلمسون واقع حياتهم ويقبلون على حل مشاكل مجتمعهم، وتحسين أوضـــاعه، والـــنهوض بمســـتواه، فهـــو يستهدف التغير نحو الأفضل والإصلاح

والاستقرار والتنمية والتقدم . ويتم ذلك من خلال أجهزة التنمية الريفية مثل جهاز بناء وتنمية القرية [١] .

ويســـعى عـــلم الاجتماع الريفي نحو تعويد الفرد احترامه لمبادئ مجتمعه الـــريفي الصالحة وسعيه الدائب - عن طريق التفاهم السلمي - نحو تعديل أو إلغاء المبادئ والعقائد الفاسدة .

وتهدف الدراسة في علم الاجتماع الريفي إلى إذكاء الشعور الداخلي للفرد بالاعتزاز والزهو والفخر والتقدير نتيجة شعور الفرد بانتمائه إلى هذا المجتمع الريفي الذي يعتبر الجزء الأكبر من هذا الوطن .

ويعمـــل علم الاجتماع الريفي على حث الفرد على تقديره لما يوفره هذا المجتمع لأبناء الوطن من سلع وخدمات بصورة تجعله يبذل الجهد من أجل تقدمه .

ويحـــث عـــلم الاجتماع الريفي الأفراد على الإيمان بالوحدة والتماسك والتعاون بين الأفراد من أجل تحقيق الأماني والآمال، والأهداف المشتركة، والنفور من الفرقة ودعاة التخريب .

الأهداف الإنسانية :

وعـــلم الاجـــتماع الريفي باعتباره علماً تطبيقياً يهتم باكتشاف الحقائق المـــتعلقة بالمشاكل الاجتماعية الريفية وتبصير سكان الريف بمشاكلهم ومساعدتهم عـــلى حـــلها، والعمل على أن يسايروا المجتمع الحضري، الأمر الذي تتحقق معه مبادئ تكافؤ الفرص والعدل الاجتماعي، وتتأكد الديموقراطية للمجتمع .

---

(١) أنظـــر د. غريب عبد السميع وآخرين - المجتمع الريفي والحضـــــري - (مدخل تنمـــــــوي) ص. ص ١٧ - ١٨ .

ويحث علم الاجتماع الريفي الأفراد على الإيمان بأن الحروب ولغة القوة لا تــزيد المشــكلات إلا تعقيداً، وأن التفاهم الودي خير لجميع الناس. ويعمل علم الاجــتماع الــريفي على مشاركة الأفراد غير بني قوميتهم في وجداناتهم والأخذ بــيدهم عند السعي لتحقيق الخير العام . كما يعمل على مناصرة المجتمعات الريفية المغلوبة على أمرها من أجل تحررها، فالعدل لا يتجزأ، والحق لا يتعدد .

ويحث علم الاجتماع الريفي الأفراد الريفيين على الإحساس بأن جميع بلاد العالم هي الوطن الثاني للفرد، فالأخوة الإنسانية هي دستور العلاقات بين الشعوب. كمـــا يحثهم على كراهية كل نظام يقوم على الطغيان والتنكر لإرادة أفراد المجتمع، والإيـــمان الكامل بالديموقراطيـــة والحرية الفردية المدركـــة لما لها وما عليها.

الأهداف الاقتصادية :

تهـــدف دراسة علم الاجتماع الريفي إلى تأكيد حق السكان الريفيين في الحياة الحرة الكريمة باعتباره ركيزة النشاط الاقتصادي . كما تهدف إلى الإيمان بحق الطبقات الفقيرة في العيش وبمستوى اجتماعي واقتصادي لائق . وتهدف كذلك إلى الــتعرف عـــلى الموارد الطبيعية ومنابع الثروة في الريف والإنتاج الزراعي والخبرة بطرق استغلالها . وكذلك المعرفة بالموارد البشرية.

وتعمل الدراسة في علم الاجتماع الريفي على تفهم أفضل طرق استغلالها ووضـــع السياسة الاقتصادية الخاصة بميكنة مهنة الزراعة وتصنيع الريف عن طريق تنفيذ مشروعات الصناعات الزراعية الريفية .

الأهداف الثقافية :

تهدف الدراسة في علم الاجتماع الريفي إلى الحصول على الحقائق والخبرات والمعارف الخاصة بالمجتمع الريفي، والتي يقدمها هذا العلم، ويؤدي ذلك إلى اكتساب الخبرات وتنمية القدرات المتعلقة بالملاحظة والمقارنة واستغلال ذلك في وضع سياسة الإصلاح الاجتماعي الريفي، والخطط المنفذة لهذه السياسة .

ويعمل علم الاجتماع الريفي على تدريب الأفراد على التحصيل البشري، وتكوين العادات والمهارات كالدقة والسرعة والنظافة والمثابرة والصبر والإيثار [١].

(١) أنظر حسن على حسن - الريف والحضر - دراسة مقارنة مبسطة، ص. ص ١٠ - ١١ .
وأنظر د. حسن همام - مدخل لعلم الاجتماع الريفي، ص ٢٣ .



الفصل الثالث

علاقة علم الاجتماع الريفي بالعلوم الاجتماعية الأخرى

تتـــنوع العلوم الاجتماعية، بحيث يتناول كل منها جانباً من جوانب الحياة الاجتماعـــية . فعـــلم الاقتصاد Economics يدرس عمليات الإنتاج والتوزيع والاســـتهلاك، وفاعلـــية الإنسان حين يمتلك أملاكا أو يقدم خدمات، ويبادلها، ويوزعهـــا عـــلى شكل نقود . ويدرس علم السياسة Political Science أشـــكال الحكومـــات ووظائفها . وتدرس الأنثروبولوجيا Anthropology الإنسان، وخاصة الإنسان البدائي . ويهتم علم التاريخ History بدراسة الماضي البشري .

وحيث أن علم الاجتماع الريفي يمثل فرعاً من فروع علم الاجتماع، فإنه يرتـــبط بالفروع الأخرى، بل ويرتبط كذلك بالعلوم الاجتماعية كلها، فهو يؤثر ويـــتأثر بكـــل منها، وكل منها يعكس نشاط العقل الإنساني، بل ومعاناته في فهم العلاقات الاجتماعية . فضلاً عن أن ثمة وحدة هدف تجمع بين هذه العلوم جميعاً، وكذلك وحدة منهجية متزايدة .

وسوف نبين في هذا الفصل مدى هذا الارتباط .

صلة علم الاجتماع الريفي بالأخلاق :

يتناول علم الأخلاق الوضعي الظواهر الخلقية في المجتمع تناولاً علمياً وصفياً تحليلياً في ضوء المنهاج العلمي الاجتماعي . ويمكن لعالم الاجتماع الريفي أن يعرض وصفاً تحليلياً لطبائع المجتمع الريفي الذي يدرسه، ومظاهر أفراده الخلقية، وأذواقهم، والتيارات الأخلاقية التي تسود في البيئة الريفية التي يدرسها .

علاقة علم الاجتماع الريفي بالفلكلور :

يساهم علم الفلكلور في دراسة الفلاحين بؤرة الدراسة في علم الاجتماع الريفي . وتتمثل هذه المساهمة في الكشف عن ملامح الشخصية للفلاح المصري، والثقافة الريفية، وتحليل بعض عمليات التغير الثقافي وعواملها، وسرعتها واتجاهاتها ونتائجها كما تتحدد هذه المساهمة في بعض الدراسات التي أجريت بقصد تلمس اتجاهات التغير وعوامله ونتائجه . هذا فضلاً عن الدراسات الخاصة بالفلكلور التي تهتم بتطوير ثقافة الفلاح ودراسة التاريخ الثقافي لمجتمع القرية المصرية التي تعتبر المدخل الأساسي والمقدمة التي لا غنى عنها لفهم الثقافة الحالية والبناء الاجتماعي القائم . ولا شك أن التاريخ هو بمثابة المعمل لرجل الاجتماع فيه يرى المراحل التي اجتازتها الأشكال الثقافية والاجتماعية الماثلة أمامه ومن خلاله لفهم مدلولات كثير من الممارسات والمواقف والعلاقات والعمليات وبذلك تكون دراسة الفلكلور خاصة في الجانب التاريخي منها هي أكبر عون يمكن أن يساعد رجل الاجتماع الريفي على فهم ثقافة الفلاح الذي يدرسه.

ولقد كانت النظرة التاريخية التي اقترنت الآن بالنظرة الجغرافية هي محور الارتكاز في دراسات الفلكلور هذا كله علاوة على مراعاة البعدين الاجتماعي

والنفسي للعنصر البشري المدروس وهذه كلها ضمانات لتقديم فهم أعمق وأكمل لثقافة الفلاح وللبناء الاجتماعي في القرية المصرية [١].

وإذا كـــان علم الفلكلور يساهم في مساعدة علم الاجتماع الريفي على فهـــم الثقافة الريفية فإن عالم الفلكلور يستعين أيضاً بنتائج دراسات علم الاجتماع الريفي في معالجته للثقافة الريفية .

صلة علم الاجتماع الريفي بعلم الأديان المقارن :

يستعين علم الاجتماع الريفي في دراسته للبيئة الريفية التي يدرسها بالأديان في تحليله لحقائق الحياة الاجتماعية في المجتمع الريفي .

علاقة علم الاجتماع الريفي بعلم الاجتماع العام :

يتناول علم الاجتماع العام دراسة كافة الظواهر الاجتماعية دون النظر إلى كونهـــا ريفـــية أم حضرية، ولا يستهدف هذا العلم بالضرورة الوصول إلى حلول معينة للمشاكل الاجتماعية .

أمـــا عـــلم الاجتماع الريفي فهو أحد فروع علم الاجتماع العام، يقوم بدراســـة الظواهر الاجتماعية الريفية، بالإضافة إلى دراسة المشاكل الاجتماعية في الـــريف، بهـــدف التوصل إلى الحقائق التي يهتدي بها في وضع حلول سليمة لهذه المشاكل .

وعـــلم الاجتماع الريفي يستفيد بما يقدمه علم الاجتماع العام من حقائق وقواعد ونظريات ودراسات تنشر السلوك العام للظواهر الاجتماعية. كما يستفيد

---

(١) د. محمد محمـــود الجوهري، ود. عليـــاء شكري - علم الاجتمـــاع الريفي والحضـــــري، ص. ص ٧٧ - ٨٢ .

عـــلم الاجتماع بما يقدمه علماء الاجتماع الريفي من دراسات نظرية وميدانية في محيط الريف .

علاقة علم الاجتماع الريفي بعلم الاجتماع الحضري :

يرتـــبط عـــلم الاجـــتماع الريفي بعلم الاجتماع الحضري، فبالرغم من اختلاف العلمين بعضهما عن بعض من حيث البناء الاجتماعي والنظم الاجتماعية السائدة والثقافة المتميزة لكل منهما، فضلاً عن اختلاف الحياة الاقتصادية والإدارية والاجتماعـــية، حيث أن علم الاجتماع الريفي علم أساسه المجتمع القروي البسيط وغير المعقد في تركيبه، فإن علم الاجتماع الحضري يهتم أساساً بالحياة المدنية ذات التركيب والبنيان الاجتمـــاعي المعقد .

إلاّ أن هـــذا الاخـــتلاف بين العَلمين لا يعني وجود اتصال بينهما، فعلم الاجتماع الريفي وإطاره لا يتحدد إلاّ إذا قورن بالمجتمع الحضري، كذلك فإن معالم علم الاجتماع الحضري وإطاره لا يتحدد إلاّ إذا قورن بالمجتمع الريفي . وكل علم من العلمين يستفيد من المعلومات والمعارف الذي يقدمه العلم الآخر .

والـــذي لا شك فيه أن الريف والحضر والقرية والمدينة يكمل كل منهما الآخر في الطريق إلى تكامل المجتمع الكبير، وأن المجتمعين ليسا منفصلان، وإنما يمثل كـــل مـــنهما أحد وجهي العملة للمجتمع الكبير، فالريفي والحضري متداخلان ومتشـــابكان، ويؤثـــر كـــل منهما في الآخر، ويتأثر به في نطاق الفائدة المشتركة للمجتمع الكبير .

والواقـــع أنـــه إذا كان للمدينة والمجتمع الحضري أهمية كبيرة في كثير من المجـــتمعات، فـــإن هـــذا لا يـــنفي حقيقة مؤداها أن المدينة قد نبعت من الريف، وازدهرت بازدهاره . كذلك فإن علم الاجتماع الريفي في المناطق المجاورة للمناطق

الريفـــية (المناطق نصف الريفية)، لمعرفة تأثيرها على الحياة في الريف . كما أن علم الاجـــتماع الحضري بدأ يزحف أيضاً لدراسة المجتمعات الريفية ليتعرف على مدى تـــأثير الحياة والتيارات المدنية في حياة الريف، مما يعني أن كلا العلمين يزحف تجاه الآخر .

علاقة علم الاجتماع الريفي بالتاريخ :

التاريخ هو سجل الماضي الحافل بمختلف مظاهر النشاط الإنساني. وليس هـــذا النشـــاط قاصـــراً على التاريخ العام فحسب، بل يمتد ليشمل تاريخ الفنون والآداب والفلسفة والقانون والعقائد، وكذلك تاريخ التراث الحضاري / الثقافي .

وينطـــبق نفـــس الحال على المظاهر الاجتماعية في المجتمعات الريفية، إذ ينـــبغي تـــناولها في ضـــوء الظروف التاريخية، وذلك انطلاقاً من واقع أن الظاهرة الاجتماعية في حاضرها هي امتداد لماضيها . فالماضي يلعب دوراً هاماً في تشكيلها وإفـــرازها . هـــذا فضلاً عن أن فهم ماضي الظاهرة وحاضرها يؤدى بنا إلى التنبؤ بمستقبل الظاهرة .

وهكذا يتبين أن الدراسة والمعطيات التاريخية ضرورية في دراسة المجتمعات الريفـــية، وفي فهم وتفسير الظواهر الاجتماعية الريفية حتى يمكننا من أن نقف على أهـــم الـــتغيرات والتحولات التي طرأت على البناء الاجتماعي الريفي . ومن ثم لا يمكن تجاهل الدراسة التاريخية والاستعانة بالتاريخ عندما نكون بصدد فهم التخلف والنمو والظواهر الاجتماعية الريفية .

كذلـــك فإن علم التاريخ يستعين بالدراسات السوسيولوجية الريفية التي تمكـــن مـــن فهم طبيعة السياق الاجتماعي الذي يشتمل على المتغيرات التي تمكن المؤرخ من فهم الظاهرة [١] .

علاقة علم الاجتماع الريفي بالجغرافيا :

أكد كثير من العلماء ومنهم عبدالرحمن بن خلدون تأثير البيئة الجغرافية في عادات الإنسان وعرفه وتقاليده . كذلك فإن الإنسان يؤثر بدوره بتقدمه الحضاري في بيئته الجغرافية .

وعـــلم الاجـــتماع الريفي يهتم بدراسة البيئة الإيكولوجية، وتأثيرها على البيـــئة الاجتماعية وهو في ذلك يستعين بعلم الجغرافيا ومفاهيمه . كذلك فإن علم الجغرافـــيا يستعين بما يتوصل إليه عالم الاجتماع الريفي من نتائج علمية عند تناوله المجتمع القروي، ولا سيما في مجال الجغرافيا البشرية، والتخطيط العمراني .

علاقة علم الاجتماع الريفي بعلم السكان :

يهتم علم السكان / الديموجرافيا بدراسة التركيب السكاني للمجتمع سواء كـــان ريفياً أم حضرياً . فهو يدرس حجم السكان، وكثافتهم، والنمو السكاني، وعواملـــه مـــثل المواليد والوفيات والهجرة، وتوزيعهم من حيث الحالة الاجتماعية والـــنوع، والديانـــة، والنشاطات الاقتصادية . بينما يدرس علم الاجتماع الريفي السكان الريفيين، باعتبارهم جزءاً من مباحث علم الاجتماع الريفي .

وهناك تداخل بين علم الاجتماع الريفي وعلم السكان فيما يتعلق ببعض الأمور مثل : الزواج والطلاق والأسرة . وكثيراً ما يستعين علم السكان بدراسات

(١) د. كمال التابعي – دراسات في علم الاجتماع الريفي، ص ٥١ .

عـــلم الاجتماع الريفي حتى يكون على بينة وفهم لطبيعة المجتمع الريفي وملامحه، لأن الظواهـــر السكانية لا يمكن فهمها بعيداً عن السياق الاجتماعي الذي يشكلها ويفرزها .

علاقة علم الاجتماع الريفي بالإحصاء :

يشير المنهج الإحصائي إلى استخدام الطرق الرياضية المستخدمة في معالجة البيانات المتحصل عليها بالعد والقياس . ويمكن الإحصاء من التعبير عن حجم هائل من الوقائع الكمية في صورة مختصرة وشاملة . والواقع أن المنهج الإحصائي اختصر كـــثيراً من الجهد لكل العلوم، ومن خلاله تصبح الأمور واقعية بعيدة عن التميز مما يمكن من وضع التقديرات على أسس سليمة.

ويقدم المنهج الإحصائي كثيراً من الإحصاءات الحيوية التي تتعلق بالمواليد والوفيات، مما يمكن من الاستفادة منها في مجال علم السكان، وعلم الاجتماع وعلم الاجـــتماع الـــريفي . ولهـــذا فإن البحث في ميدان علم الاجتماع الريفي يتطلب الاســـتعانة بالطـــرق الإحصائية في معالجة الحياة الاجتماعية الريفية، بعد أن رفض عـــلماء الاجـــتماع الريفي الاكتفاء بالوصف، والقوانين الكمية، وذلك من أجل الوصول إلى القوانين الكمية، والتي توضع في صور رياضية ورقمية ورسوم بيانية .

علاقة علم الاجتماع الريفي بعلم السياسة :

يتـــناول علم السياسة النظم السياسية وأشكالها، وما يتفرع عنها من نظم إدارية وتشريعية . وهذه النظم وليدة المجتمع، ومظهر من مظاهر سيادته على نفسه، ولا تدوم إلاّ بدوام المجتمع، وتتغير تحت وطأة قوى قومية، ودوافع اجتماعية. وقد أدى هـــذا الارتـــباط إلى نشـــأة علم الاجتماع السياسي، وهو أحد فروع علم

الاجـــتماع يهـــتم بدراســـة الـــنواحي السياســـية في علاقتها بالنظم الاقتصادية والاجتماعية.

وعـــلم الاجـــتماع الريفي يهتم بدراسة كافة مكونات البناء الاجتماعي الريفي، ومنها الظواهر والنظم السياسية . وعند دراسته لهذه الظواهر فانه لابد وأن يســـتعين بعـــلم السياسة ومفاهيمه، والتي تمكنه من فهم ودراسة الثقافة السياسية للفلاحين .

ومـــن ناحية أخرى فان عالم السياسة يهتم بما توصل إليه علم الاجتماع الريفي من نتائج ومعطيات ويوظفها لفهم الظاهرة السياسية في الريف، وذلك لأنه لا يمكن فهم الظواهر الاجتماعية السياسية في الريف بمنأى عن السياق الاجتماعي الريفي .

علاقة علم الاجتماع الريفي بعلم الاقتصاد :

عـــلم الاقتصاد هو علم دراسة الثروة في طبيعتها وفي إنتاجها وفي تداولها وتوزيعها وفي استهلاكها . ولما كانت الثروة من حيث هي لا توجد إلاّ في مجتمع، وهـــي في معظمها عبارة عن أشياء اجتماعية وإدارية، ولا تنتج إلاّ بواسطة الأيدي العاملـــة، ولا تدار إلاّ بواسطة أفراد منظمين تربطهم نظم وأوضاع اجتماعية، نشأ فـــرع من فروع علم الاجتماع العام يطلق عليه علم الاجتماع الاقتصادي، ومجاله دراسة الظاهرة الاقتصادية في علاقتها بالظواهر الاجتماعية الأخرى .

وعلم الاجتماع الريفي يهتم بدراسة الظواهر والنظم الاقتصادية الريفية . ويســـتعين عالم الاجتماع الريفي بعلم الاقتصاد ومفاهيمه وتفسيراته. ويمكن لعالم الاجتماع الريفي دراسة جوانب اجتماعية في الريف، وذلك مثل التركيب الطبيعي والمشـــاركة الاجتماعية والعمليات الاجتماعية كالتعاون والتنافس والصراع، كما

يستعين عالم الاقتصاد بمفاهيم علم الاجتماع الريفي وتفسيراته المتعددة للظواهر والنظم الاجتماعية الريفية حتى يمكن فهم الظواهر الاقتصادية فهماً متعمقاً .

علاقة علم الاجتماع الريفي بعلم النفس :

يتناول علم الاجتماع الإنسان من الخارج، بينما يتناول علم النفس الإنسان من الداخل، من حيث الغرائز، والملكات، والاستعدادات والعمليات العقلية ومظاهر السلوك الفردي .

وقد ظهر فرع من فروع علم النفس يطلق عليه علم النفس الاجتماعي . وهو ميدان متداخل بين علم النفس وعلم الاجتماع . يهتم بدراسة الفرد الذي يعيش في جماعة اجتماعية، ويصف تعديل الذات وتشكيلها من خلال علميات التفاعل مع الآخرين .

ويعتبر علم النفس الاجتماعي ذكاء الفرد وخياله وتصوراته ومدركاته الجسمية والعقلية لا يمكن أن تكون فردية خالصة، وإنما هي جماعية، على اعتبار أن الإنسان الفرد في الكون ليس له وجود . ومن هنا فان كل هذه المظاهر السيكولوجية إنما ترجع إلى دوافع وأسباب وعوامل اجتماعية .

علاقة علم الاجتماع بعلم الاتنولوجيا :

يهتم علم الاتنولوجيا بالأجناس في أصولها وفروعها، وعوامل اختلاطها وانتمائها والطرق التي تسلكها في هجراتها .

علاقة علم الاجتماع الريفي بعلم البيولوجيا والفسيولوجيا:

يتـــناول عـــلم البيولوجيا والفسيولوجيا الإنسان بوصفه كائناً حياً، فهي تبحـــث في الأسس الحيوية للطبيعة الإنسانية . وأثر هذه العوامل الحيوية في مختلف مظاهر سلوكه الفردي والجماعي .

وعـــلم الاجـــتماع وإن كان يهتم بهذه الدراسات، إلاّ أنه يرفض تفسير حقائقـــه في ضوء الظواهر الحيوية كالقول بأن وظائف المجتمع مثل ظواهر الكائن الحي، وأن الأسرة هي الخلية الأولي في المجتمع .

علاقة علم الاجتماع بعلم الأنثروبولوجيا :

تتناول الانثروبولوجيا أساساً الإنسان في نشأته الأولى ونشأة لغته وأساليبه في التفكير والعمل والحرف التي يمارسها وتطورها، وتقاليده ولغاته وعناصر ثقافته. وتهتم بالمجتمعات البدائية وتطور نظمها الاجتماعية منذ أصولها الأولى وحتى صورتها الحالية في المجتمع الإنساني .

وتفيد دراسة الأنثروبولوجيا علم الاجتماع الريفي في أنها تمده بالنتائج التي انتهى إليها علماء الأنثروبولوجيا على المجتمعات البدائية لإمكان معرفة الوصول إلى بعض النظم المختلفة أو التطور البطيء لبعضها الآخر، خاصة وأن هناك أوجه شبه بين المجتمع البدائي والمجتمع الريفي في أن كلاً منهما يعتمد على البيئة ويحافظ على ثقافته .

ويشـــبه المجتمع الريفي المجتمع البدائي في عدد من الخصائص مثل علاقات الأفراد داخل الأسرة الكبيرة، والاعتماد على التقاليد والعرف في سياسة هذا المجتمع وأخلاقه ونظامه البيئي .

ولذلـــك اتخـــذت الأنثروبولوجيا من المجتمع الريفي والقرية في مرحلة من مـــراحل تطورهـــا موضوعاً لدراستها، خاصة وأن الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع الريفي ينحصر اهتمامهما بالمجتمعات ذات التركيبات الأولية البسيطة، كذلك يتفق علم الاجتماع والأنثروبولوجيا على منهج الدراسة، حيث يعتمد كلا العلمين على الدراسات الحقلية الأقرب للواقع والتجريب والناحية التطبيقية (١) .

حـــدث هـــذا في إنجلترا وفرنسا، إذ أخذ أساتذة الأنثروبولوجيا يدرسون القـــرى في بلادهـــم، ويبعـــثون بتلاميذهم إلى النرويج وغينيا البريطانية . واتجه أنثروبولوجـــيون آخـــرون من تلاميذ **رد فيلد** لدراسة المجتمعات القروية في الهند والصين وفي الشرق الأوسط .

وبالـــرغم مـــن أن المجـــتمع القروي يمثل الوحدة الدراسية لكل من علم الاجتماع الريفي والأنثروبولوجيا القروية، إلاّ أن المجتمع الريفي يختلف عن المجتمع البدائي . فالمجتمع **الأول** مجتمع متطور أخذ كثيراً من النظام الحضاري الذي مر به المجـــتمع الكبير . كما أنه يتصل بالمجتمع الحضري، وباستمرار يتأثر به ويؤثر فيه . كذلـــك فإن المجتمع الريفي يتصل بالأحداث العالمية التي تحدث أثرها في تغير هذا المجتمع، وإن كان تقبله للتغير بطيئاً .

ويختلف العلمان من ناحية موضوعات البحث وطريقة جمع المادة وتحليلها. فعـــلم الاجتماع الريفي - مثلاً - يركز على المدينة، مما أدى إلى ظهور كثير من التصـــنيفات التابعة للمجتمعات، وافتراض الانتقال الحتمي من وضع إلى آخر تحت تأثير عمليات التحضر أو التصنيع . ويهتم كذلك بمسائل الهجرة الريفية أو السمات الديموجرافية، أو النظم الاجتماعية الريفية .

---

(١) أنظر د. محمد عاطف غيث - التغير الاجتماعي في المجتمع القروي، دراسة في محافظة الدقهلية : القيطون وهلا وكفر الشيخ، ص. ص ٢٦ - ٢٧ .

أما الأنثروبولوجيون فيتخذون من المجتمع البدائي المجال التطبيقي للدراسة الأنثروبولوجـــية أساساً لفهم ودراسة طبيعة المجتمع القروي . وتهتم الأنثروبولوجيا القروية بموضوعات تخص القرى الريفية ودرجة تكاملها من الداخل والخارج، إلى جانب التركيز على دراسة أوجه الثقافة الريفية وأبعادها .

ولذلـــك مـــن الخطأ أن تطبق الدراسة الأنثروبولوجية على المجتمع الريفي بدون تحفظ، لأن وجود الاختلافات بين المجتمعين كثيرة . وهذه الاختلافات تجعل مـــن الضـــروري الـــنظر إلى المجتمع الريفي نظرة خاصة تتقيد بظروفه الاجتماعية وتطوره التاريخي، وصلته بالمجتمعات الحضرية .

ويـــبدو التـــباين بـــين علم الاجتماع الريفي والأنثروبولوجيا في المناهج المســـتخدمة، فبينما يعتمد الباحث الاجتماعي على الوثائق والإحصائيات أو على الدراســـة الميدانـــية التي تقوم أساساً على ملء استمارات البحث والاستبيان، فإنه يتحـــتم عـــلى الأنثروبولوجي أن يذهب إلى مجتمع الدراسة ليقيم فترة من الوقت ليدرس البيئة العامة والنظم الاجتماعية [١] .

ومـــع ذلـــك فهناك الكثير من الموضوعات المشتركة بين العلمين، وذلك كالتي تختص بتحديد الخصائص الريفية، ومشاكل التغير الاجتماعي، وبرامج التنمية مـــا لا يمـــنع مـــن ظهور كثير من الدراسات التي زاوجت بين اهتمامات كل من العـــلمين. واستفادت أبحاث المجتمع الريفي من أبحاث الأنثروبولوجيا، وخاصة في مـــناهج البحـــث، ووضع عدم التعميم في الاعتبار، إذ تبين أن لكل مجتمع ريفي ظروفه الاجتماعية الخاصة التي تميزه عن المجتمعات الريفية الأخرى .

---

(١) د. فاروق مصطفى إسماعيل – الأنثروبولوجيا الثقافية، ص ٢٥ .

وتتطلب دراسة جوانب الحياة الاجتماعية القروية ركون الباحث إلى كبار السن والإخباريين عند البحث في تاريخ القرية، وتطوير الحياة الاجتماعية فيها . وهكذا يمكن أن تفيد الدراسات الأنثروبولوجية باستخدام أدوات جمع البيانات الأكثر شيوعاً فيها عند دراسة القرية . بل لقد أصبح من الممكن الاعتماد على الإحصاءات الرسمية والمصادر التاريخية في دراسة القرية، مما عمل على تقريب منهجية الأنثروبولوجيا من مناهج البحث السسيولوجي .

ولقد أصبحت أبحاث الأنثروبولوجيا الاجتماعية في الوقت الحاضر لا تقتصر على المجتمعات البدائية وحدها، نظراً لتقدم وسائل الاتصال بين الشعوب بصورة تساعد على تطور الشعوب البدائية، والمتخلفة ذات الطابع القبلي .

ويبدو هذا في تلك الدراسة التي قام بها " **ليرنر Lerner** " عن اضمحلال المجتمع التقليدي ومراحل تطوره . وطبق دراسته على ست من دول الشرق الأوسط هي : تركيا ولبنان ومصر وسوريا والأردن وإيران . واستخدم في دراسته مقياساً ذي مراتب ثلاث وهي **تقليدي Traditional**، **وتحولي Transitional**، **وحديث Modern** ؛ وطبقاً لهذا المقياس وضع تركيا ولبنان في المقدمة، ومصر وسوريا في الوسط، والأردن وإيران في المؤخرة .

وأبرز " **ليرنر Lerner** " الإطار الثقافي والقيمي والاجتماعي لهذه المجتمعات كل على حدة وعرض بعض المشكلات الطبيعية والاقتصادية والإدارية التي تجابه هذه المجتمعات [١] .

ومع ذلك يختلف علم الاجتماع الريفي، عن الأنثروبولوجيا الريفية في أن علم الاجتماع الريفي يهتم بدراسة المشكلات الاجتماعية بمعزل عن سياقها العام

(١) أنظر د. غريب سيد أحمد - علم الاجتماع الريفي، ص. ص ٤٦ - ٤٧ .

وبطريقة تجزئيه باستخدام أساليب علم الاجتماع العام بينما تتناول الأنثروبولوجيا الريفية المجتمع الريفي بوصفة كلاً متسانداً وتدرس الظواهر الجزئية في إطار سياقها العـــام وعلاقـــتها الوظيفـــية بالظواهـــر الأخرى ويستخدم هذه الاتجاه مداخل الأنثروبولوجـــيا الاجتماعـــية في الدراسة كالبناء الاجتماعي والنسق الإيكولوجي والـــنظرة إلى العالم . بينما تعتمد في الناحية المنهجية على الأساليب الأنثروبولوجية مثل الملاحظة بالمشاركة والاعتماد على (الإخباريين) المحليين[١] .

(١) أنظر د. محمود عودة – القرية المصرية بين التاريخ وعلم الاجتماع، ص. ص ٤ – ٦ .

الفصل الرابع

نشأة علم الاجتماع الريفي واتجاهاته النظرية

يعتـــبر علم الاجتماع الريفي من العلوم حديثة النشأة، حيث ترجع نشأته إلى أواخـــر القرن التاسع عشر . وهي الفترة من ١٨٩٠ - ١٩٢٠م ويطلق عليها فـــترة الاســـتغلال **Exploiter Period** وهي التي كان يعاني منها المجتمع الريفي الأمريكي من فساد واضح .

ومع ذلك فإن التفكير الفلسفي وإقامة تصورات عن الحياة الاجتماعية قديم قدم الفلسفة، حيث أدرك الفلاسفة من قبل علماء الاجتماع الفروق الواضحة بين مجـــتمع القرية ومجتمع المدينة . ولاحظوا أن المدينة تختلف عن الريف المحيط بها من حيـــث النشـــاط الاقتصادي وضرورياته الأساسية، وما يتبع ذلك من اختلاف في أشكال الحياة الاجتماعية .

ولقـــد شغلت الفروق الريفية الحضرية كثير من علماء الاجتماع . إذ تبين صـــعوبة تـــناول خصـــائص وسمات المجتمع المحلي الريفي دون أن تقابلها وتربطها بخصائص وسمات المجتمع المحلي الحضري . فبجانب علاقة القوة التاريخية التي تربط بـــين هذيـــن المجتمعين المحليين، فإن المقابلة بينهما دفعت عدداً من العلماء إلى تبني فكرة المتصل الريفي - الحضري .

لقـــد أصبح من الممكن وضع سمات وخصائص أي من المجتمع الريفي أو الحضـــري على أحد طرفي هذا المتصل، بحيث يترجم هذا الطرف أو ذات السمات والصفات المعينة لأي من هذين المجتمعين المحليين في صورته الفرضية البحتة، وبحيث

يأخذ كل مجتمع واقعي مكاناً على هذا المتصل قد يقترب من أي من الطرفين دون أن ينطبق على إحدى نهايتي هذا المتصل [1] .

ففي القرن الرابع عشر الميلادي أخذ المفكر العربي عبد الرحمن بن خلدون (١٣٣٢- ١٤٠٦م) بـــنظرية الأســـاس الاقتصادي للتفرقة بين المجتمعات الريفية والحضرية .

ففـــي مقدمته الشهيرة بعنوان " **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العــرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر** " ذكر ابن خلدون في الـــباب الثاني بعنوان " **في العمران البدوي والأمم الوحشية والقبائل** " أن مصادر الإنتاج هي التي ميزت بين كل من البدو والحضر .

وفـــيما يـــرى ابن خلدون فإن البدو أكثر جدية من أهل الحضر في سد احتـــياجات الحياة الأساسية، وهم أكثر عملاً، وأقوى صحة، وأكثر ولاء، وانتماء لذوي قرباهم . كما أنهم يتمسكون بتقاليدهم ومعتقداتهم المكتسبة من أهلهم [2]. وذلك على عكس ما يسلكه سكان الحضر .

وفي دول أوروبـــا استخدم منهج المقارنة بين الريف والحضر . **فهربرت سبنســـر (١٨٢٠ – ١٩٠٣م)** استخدم كلمتي التجانس واللاتجانس للتمييز بين البدو والحضر، باعتبار المجتمع البدوي متجانس والحضري غير متجانس .

وطوَّر " **هنري مين Maine** " في كتابة " القديم **Ancient Law** " ثنائـــية تقـــابل بين مجتمع يقوم على المكانة **Status**، وآخر يقوم على التعاقد **Contract** . وأسس " **بيكر Becker** " ثنائية تقابل بين مجتمع بدوي تقوم

---

(١) د. سوسن عثمان – سياسات التنمية الريفية، ص. ص ٣٥٥ – ٣٥٦ .

(٢) عبدالرحمن بن خلدون – مقدمة ابن خلدون، ص. ص ١١٢ – ١١٤ .

ثقافـــته على ما هو مقدس **Sacred** ، وآخر حضري يقوم على ما هو علماني **Secular .**

وأوضـــح العـــالم الألماني " **فيرديناند تونيز Tonnies** " (**١٨٥٥ – ١٩٣٩م**) في مؤلفـــه المشهور " **المجتمع المحلي** " (**١٨٨٧**) مقابلة بين مجتمع تشيع فـــيه روابـــط القـــرابة والعلاقـــات الأولـــية **Gemeinschaft** ، وآخـــر **Gesellschaft** تســـود فـــيه علاقات المصلحة والتعاقد . وهو هنا يشير إلى طـــابعين مـــن المجتمعات أحدها يتسم بالجو العائلي (الريفي)، والثاني يتسم بالجو الرسمي العقدي الحضري .

وعـــرض " **إميل دوركايم Durkheim** (**١٨٥٨ – ١٩١٧**) **ثنائية تقـــابل بـــين مجـــتمع يسود فيه التضامن العضوي Organic** ، وهو المجتمع الحضـــري والمعقـــد والأحدث، والذي تعتمد فيه العلاقات على تبادل المنفعة، أما المجتمع الآخر فيشيع فيه **التضامن الآلي Mechanical Solidarity** وهو المجتمع الريفي (**الأبسط والأقدم**)، ويتسم بعلاقة تماسك ميكانيكية، حيث يتعامل الأفراد تلقائياً، ويستجيبون لبعضهم ميكانيكياً [(١)].

وميز " **روبرت ردفيلد** " بين خصائص المجتمع القروي، والذي أطلق عليه مصـــطلح **المجـــتمع الشـــعبي Folk Society** لـــيقابل به **المجتمع الحضري Urban Society** . ويقـــوم هذا التميز على نتائج دراساته لأربعة مجتمعات محلـــية مكسيكية استخلص منها بعض النتائج التي تساعده على تحديد الفروق بين المجتمعات الريفية والحضرية على النحو التالي :-

---

(١) أنظر د. محمد محمود الجوهري وآخرين – ميادين علم الاجتماع، ص ٦١ .
وأنظر د. محمد محمود الجوهري – المدخل إلى علم الاجتماع، ص ص٢٧٧ – ٢٧٨ .

١ - يتميز تقسيم العمل بالاتجاه نحو التعقيد كلما اتجه الأفراد للعمل في الحرف والمهن فهذه المهن ضرورية في المجتمع من أجل استمرار وجوده .

٢ - يقوم العمل في المجتمعات القروية على المجهود الجمعي . وبالتالي فإن تفسير تقسيم العمل يتم في حدود .

٣ - لكـــل مـــن المجتمعات الأربعة التي درسها " **ردفيلد** " خصائص وأوضاع تختلف عن خصائص وأوضاع غيرها من المجتمعات. وعلى ذلك فإن تفسير التباين الاجتماعي في هذه المجتمعات لا يمكن التعبير عنه في صيغة عامة .

ومـــن المعروف أن المجتمعات الأربعة التي درسها " **ردفيلد** " في المكسيك كانـــت عبارة عن قبيلة هندية، وقرية ريفية . ومدينة صغيرة، ومدينة كبيرة، وقد كان موجهاً في هذه الدراسة بأربعة فروض هي :-

أولاً : المجـــتمعات البدائية والريفية لها خصائص تماثل خصائص النمط الأول من المجتمعات عند "**تونيز** " وهو المجتمعات المحلية .

ثانياً : عـــندما تتصل المجتمعات القروية ببعضها من ناحية، وبالمجتمع المتحضر من ناحية أخرى عن طريق المواصلات والاتصالات فإنها تبدأ في الاتجاه اتجاهاً عكسياً يغاير خصائصها المميزة لها .

ثالثاً : هـــناك علاقة طبيعية أو تداخليه بين هذه الخصائص أو بينها جميعاً في حالة التغير .

رابعاً : مـــن المحـــتمل وجود علاقات اجتماعية عارضة بين الحياة الحضرية وسوء التنظيم المجتمعي، أو بين الفردية وسوء التنظيم .

وقـــد توصل " **ردفيلد** " من ذلك إلى خصائص المجتمع الشعبي على النحو التالي : -

١ - صغر الحجم .

٢ - العزلة .

٣ - انخفاض مستوى التعليم .

٤ - تضامن الجماعة وتماسكها .

٥ - بساطة تقسيم العمل .

٦ - العادات والتقاليد أساس الثقافة .

٧ - العلاقات التلقائية .

٨ - نسق المعرفة غير المنظم .

٩ - التجانس .

١٠ - بساطة التكنولوجيا .

١١ - المكانة الاجتماعية تقوم على الانتماء أو النسب أو الوراثة .

١٢ - وضوح تأثير العاطفة على العقل .

١٣ - سيادة الجوانب المقدسة في المجتمع .

١٤ - استقلال الاقتصاد .

١٥ - السلوك شخصي تلقائي .

وأوضـــح " **ردفيلد** " أن المجتمعات المحلية الأربعة التي درسها تختلف فيما بيـــنهما اخـــتلافاً واضـــحاً لتعطى - في النهاية - انطباعاً بالتنوع أو الاختلاف الـــتدريجي والمنتظم وكان ذلك الانطباع هو أساس فكرته عن **متصل الفولك - حضـــري Folk- Urban Continuum** . وتفسير ذلك أن المجتمعات الأربعة تمثل - على حد تعبير " **ردفيلد** " - عملية واقعة ومستمرة للتغير . كما أنها تمثل في الوقت نفسه تدرجاً لمراحل التطور الحضري . ولذلك تكشف المقارنة بينها عـــن عـــدد مـــن المتغيرات التي تشكل في النهاية خصائص مميزة لكل منها ولكن

بدرجـــات مختلفة، وفي هذا الصدد يتوصل "**ردفيلد** " إلى عشرة متغيرات أساسية . يمكـــن مـــن خلالها ترتيب المجتمعات الأربعة كما لو كانت تمثل تزايداً أو نقصاناً تدريجياً ومتعاقباً في كل منها . لذلك فإن كل مجتمع من المجتمعات الأربعة يكشف عـــن عـــدد من الخصائص المميزة بالمقارنة بغيره من المجتمعات الأخرى على النحو التالي : -

١ - إنه أقل - أو أكثر - ارتباطاً بالعالم الخارجي .
٢ - إنه أقل - أو أكثر - تغايراً .
٣ - إنه أقل - أو أكثر - تقسيماً للعمل .
٤ - إنه أقل - أو أكثر - تطويراً لاقتصاد السوق والمال .
٥ - إنه أقل - أو أكثر - احتواء على تخصصات مهنية أكثر علمانية.
٦ - إنه أقل - أو أكثر - بُعداً عن الاعتماد على الروابط والنظم القرابية .
٧ - إنـــه أقـــل - أو أكثر - اعتماداً على مؤسسات ذات طابع غير شخصي للضبط .
٨ - إنه أقل - أو أكثر - تمسكاً بالعقيدة الكاثوليكية (أو بالأصل الهندي) .
٩ - إنه أقل - أو أكثر - بُعداً عن التمسك بالعادات والأعراف التقليدية .
١٠ - إنـــه أقـــل - أو أكـــثر - تسامحاً وتأكيداً للحرية الفردية في الفعـــل أو الاختيار .

وهكـــذا تقيس المتغيرات السابقة **درجة تحضر مجتمع الفولك** (حيث يشير تناقص درجة المتغير إلى القرب من النموذج **الفولكي** . وتشير زيادته الاقتراب من الـــنموذج الحضري) . كما يتيح الاختلاف النسبي لمدى تمثل كل متغير في أي من المجتمعات إمكانية وضعه على إحدى نقاط **المتصل الريفي - الحضري** .

وفي محاولـــته تحلـــيل الـــتغيرات التي يمر بها المجتمع حال انتقاله من **نموذج الفولـــك إلى النموذج الحضري** - كهدف أساسي لدراسته . وحدد " **ردفيلد** " هـــذه المتغيرات (أو الخصائص) العشرة في ثلاث مقولات أساسية للتغير أو التحول الحضـــري هي : زيادة التفكك الثقافي، وتزايد العلمانية، وزيادة انتشار الفردية . ولذلـــك كانت هذه الخصائص أهم ما يتسم به المجتمع الحضري في نظره . وجاء تبريره لذلك من خلال تفسيره لخصائص المجتمعات الأربعة التي قام بدراستها .

ولعـــل من أهم الانتقادات التي وجهت لمدخل مثل الفولك - حضري . كأداة تصورية لتحليل المجتمع المحلي الحضري . تلك التي ساقها "**أوسكار لويس**"، الـــذي حاول اختبار صدق وثبات ما قدمه " **ردفيلد** " من نتائج عن طريق العودة إلى دراسة إحدى القرى التي قام " **ردفيلد** " بدراستها واستند على نتائج دراستها في تصـــوره لفكـــرة المتصل .وقد أسلمت دراسة " **أوسكار لويس** " هذه لبعض الانتقادات الهامة لأفكار " **ردفيلد** " ونتائجه وأهمها :-

أ - تتضمن فكرة المتصل - كما عرضها " **ردفيلد** " - نظرية للتغير مفادها أن الحضـــرية تطـــيح وبالضرورة بمجتمع الفولك . غير أنه من الخطأ في نظر "**أوســـكار لويـــس**" - أن نرجع كل التغيرات التي تطرأ على مجتمعات الفولك إلى عامل واحد بعينة وهو التحضر، فالثورة الزراعية في المكسيك، ليســـت على حد تعبيره حركة حضرية، ولكنها مع ذلك أحدثت تغيرات واسعة المدى في الحياة القروية المكسيكية .

ب - إن الـــثقافات دائماً في حالة من التغير المستمر، ومع ذلك ليس شرطاً أن تكـــون هذه التغيرات ذات طابع أو تجاه ثوري للإنتقال من مجتمع الفولك إلى مجتمع حضري .

ج - إن النموذج الذي حدده " **ردفيلد** "، لم يبرز على حد تعبـــير "**أوسكار لويـــس**"، الاخـــتلافات والتمايزات الواسعة المدى بين مجتمعات الفولك ذاتها، كذلك فقد ركز متصل " **ردفيلد** " على الجوانب الرسمية للمجتمع وهذه لا تمثل أهمية كبيرة في التحليل الثقافي للمجتمع .

د - إن كـــثيراً من نتائج التحضر التي ساقها " **ردفيلد** " - كالتفكك الثقافي والاتجاه نحو العلمانية والفردية تفتقر لشواهد إمبريقية مؤكدة . إذ لا يوجد أي دلـــيل في نظر " **أوسكار لويس** " على حدوث تفكك ثقافي في مجتمع الفولك الذي درسه كل منهما، فلا تزال الوحدة الأسرية قوية ومتماسكة، ولم تضـــعف السلطة الأبوية، كما لم تضعف مسئوليات الفرد نحو جماعته ومجـــتمعه، وما يقال عن التفكك الثقافي - كنتيجة للتحضر ينسحب في نظر "**أوسكار لويس**" على الاتجاه نحو العلمانية . إذ كان هذا الاتجاه على الأقل في تلك المجالات التي ذكرها " **ردفيلد** " . أما الاتجاه نحو الفردية فلا يمـــثل تغيراً حضرياً في نظر "**أوسكار لويس**" . ذلك أن مجتمع الدراسة لم يكن موجهاً قبل مؤثرات الحضرية - توجيهاً جمعياً كما أشار "**ردفيلد**"، حـــتى يمكـــن أن نقرر أن الفردية كانت مظهراً من مظاهر التأثير والتغير الحضري [١] .

وعـــرض "**تشالز كولي Charles Cooley**" (١٨٦٤ - ١٩٢٩م) لاصـــطلاحية "**الجماعة الأولية Primary Group**"، والتي تتصف بسيادة الوجه للوجه، وذلك في مقابل الجماعة الثانوية التي تتميز بالعلاقـــة الرسمية [٢] .

---

(١) د. عبد الهادي محمد والي - القرية - دراسة في علم الاجتماع الريفي، ص. ص ٤٦ - ٥٢ .

(٢) د. علي فؤاد أحمد - علم الاجتماع الريفي، ص ٣٨ .

واعتبر "سوروكن **Sorokin**"، و"زمرمان **Zimmerman**" المهنة المعـــيار الرئيســـي للفـــروق الريفية الحضرية . وينبثق عن هذا المعيار سلسلة من الاختلافات تتبلور في ثمانية خصائص تستخدم للمقارنة الريفية/ الحضرية، هي :-

١ - الفروق المهنية Occupational Differences .
٢ - الفروق البيئية Environment .
٣ - حجم المجتمع Community Size .
٤ - كثافة السكان Density of Population .
٥ - تجـــانس الســـكان Population Homogeneity or Heterogeneity . وذلك من حيث الخصائص النفسية والاجتماعية واللغة، والمعتقدات وأنماط السلوك .
٦ - الفروق في شدة الحراك الاجتماعي Social Mobility .
٧ - الفروق في اتجاه الهجرة Direction of Immigration .
٨ - شكل التباين Social Differentiation .
٩ - أنساق التفاعل System of Interaction .

ويؤخذ على الاتجاه نحو تقسيم المجتمعات إلى ريف وحضر أن الاختلافات بـــين كل من الريف والحضر بدأت في الزوال خاصة في الدول المتقدمة وإن كانت قد بدأت تخف حدة هذه الاختلافات والفروق أيضاً في الدول النامية، ويرجع ذلك إلى انعـــدام عزلة الريف الجغرافية والاجتماعية وزيادة الاتصال بين القرية والمدينة حيـــث أخذت المدينة تؤثر تأثيراً ملموساً في القرية التي أصبحت تأخذ شيئاً فشيئاً بالأنمـــاط الحضـــرية الخاصة بالحياة والقيم وغيرها من العناصر الثقافية والحضارية، وحيـــث ارتبطت القرية بالمدينة بالطرق السهلة الممهدة ووسائل الانتقال السريعة، وتمتعـــت القـــرية بمرافق المياه والكهرباء، وأنشأت المدارس والمستشفيات والأندية

والأسواق التجارية، كما ارتبط الريفيون بعلاقات الصداقة والمصاهرة والقرابة بأهل المدينة، كما أخذوا منهم أساليب كثيرة في حياتهم اليومية كاستعمال السلع المصنعة وأدوات المترل الحديثة والأثاث، والزي، والملبس خاصة بين الشباب من الجنسين . فضـــلاً عن ارتفاع نسبة المتعلمين من الريفيين، مما كان له أثره في أخذهم بوسائل الحـــياة الحضرية الحديثة، وتمتعهم بوسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، مما خفف من حدة الفروق بين الريف والحضر .

ويتضح ذلك بصورة واضحة في الولايات المتحدة الأمريكية، وفي فرنسا، وفي الاتحـــاد الســـوفيتي (سابقاً) . كما عمد كثير من الدول الاشتراكية لأسباب أيديولوجية إلى إلغاء الفروق بين الريف والحضر .

كذلـــك فـــإن الاختلافات التي أبرزها علماء الاجتماع للتفرقة بين مجتمع القرية ومجتمع المدينة ليست عامة أو عالمية . فقد أفترض **"سميث"** أن الأسر الكبيرة أو الممتدة ظاهرة ريفية أكثر منها حضرية . ولكن الحال لم يكن كذلك في عصر ما قبل التصنيع . وهم يفترضون كذلك أن المدينة أكثر علمانية من القرية . وقد يكون الأمر ليس كذلك في كثير من المجتمعات .

وترجع صعوبة إبراز الفروق الريفية الحضرية إلى أربعة عوامل هي:-

العـــامل الريفي، والعامل الحضري، والماضي، والحاضر، إذ كيف نقارن بين الريف والحضر دون أن نضع في اعتبارنا عامل الزمن الذي حدثت فيه المقارنة . فكيف يمكن لعالم مقارنة قرية في العصر الحالي بقرية في عصر مضى، بينما يستطيع آخر أن يقارن قرية في عصر مضى بمدينة في العصر الحالي .

وتتضـــح المقارنة باستخدام هذه المتغيرات الأربعة طالما كان البعد الزمني واضحاً .

كذلـــك فإنـــه مـــن الصعوبة بمكان تحديد مصطلح **"مجتمع ريفي"** فهذا المصطلح يمكن أن يطلق على قرية بدائية في إفريقيا وعلى قرية في الولايات المتحدة الأمريكـــية من الأثرياء . ومن ناحية أخرى فإن معظم المجتمعات الريفية المعاصرة ليســـت بقـــرى تعتمد على الزراعة اعتماداً كاملاً، فهي مناطق زراعية وتجارية في نفس الوقت، وهي تتكامل بدرجة معينة مع الاقتصاد القومي (١).

وثبـــت كذلـــك أن التحضر لا يصاحبه بالضرورة التنظيم، والافتقار إلى الجماعـــات الأولـــية وغـــير الرسمية، فقد تأثر علماء الاجتماع فيما مضى بمظاهر التحضر في عهدهم . أما الدراسات الحديثة فقد تبين منها عدم وجود الاغتراب في المناطق الحضرية، وأثبتت وجود الجماعات الأولية، فحين يهاجر سكان الريف إلى المدن فهم لا يندمجون في المجتمع الكبير وإنما يعتمدون على أقاربهم (٢) .

هذا ويمكن النظر للعلاقات الاجتماعية في الريف باعتبارها علاقات ثانوية ففـــي ريـــف المجتمع الأمريكي تظهر العلاقات الثانوية بين الزوجة وحارس القرية ورجل الشرطة، ورب البيت والمدرس والتلميذ والطبيب .

وبالـــرغم من الاعتراضات على مبدأ المقابلة الريفية / الحضرية فإن التمييز بـــين الريف والحضر مازال واضحاً في معظم المجتمعات . ففي مركز المدينة يختلف أسلوب الحياة عن المناطق الريفية والضواحي، حيث تعتبر المناطق المتروبوليتانية بؤرة التوسع الاقتصادي والاختراعات (٣) .

ولقد حقق المجتمع الأمريكي في خلال فترة الاستغلال السابق الإشارة إليها نشـــاطاً كـــبيراً في مجـــال التحضر والتصنيع، فتطورت وازدهرت المدن الأمريكية

---

(1) Raymond W. Mack, Principles of Sociology, P. 48 .

(2) David Hear. Society and Population Foundation of Moden Society, P. 33.

(3) Arnold, W. Green, Sociology, An Analysis of Life in Modern Society, P. 287.

وتنوعت منظماتها ومؤسساتها . وأثر هذا التحضر الصناعي على القطاع الريفي فساءت أحواله، وتعثرت منظماته ومؤسساته، وواجه الكثير من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية، وقضايا الرفاهية، وهاجر بعض سكانه إلى المدن .

في ضوء هذه الظروف نشأ علم الاجتماع الريفي في الولايات المتحدة الأمريكية كفرع من فروع علم الاجتماع، وأهمل علماء الاجتماع التركيز على الفوارق الريفية الحضرية، واتجهوا نحو دراسة وتحليل البيئة الاجتماعية الريفية، ومعرفة الظروف الاجتماعية الاقتصادية التي يعيش فيها سكان الريف، في محاولة للنهوض بمستوى الحياة الريفية .

وفي ضوء هذه المتغيرات ظهر تقرير "ثيودور روزفلت **Theodore Rossevelt**" عام (١٩٠٧) عن الحياة الزراعية . ثم ظهرت مجموعة من الأعمال أشارت إلى المجتمع الريفي، ومشكلاته، وسوء التكيف في الحياة الريفية[1]. ففي عام ١٩١٢م نشر أول كتاب في علم الاجتماع الريفي ركز على دراسة ظروف الحياة الاجتماعية في المناطق الريفية وما تعانيه من مشكلات . وارتبط العلم في أمريكا بالكليات الزراعية أكثر من ارتباطه بكليات الآداب، مما جعله مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بمشكلات الزراعيين وسكان الريف .

وبحكم تعدد المهتمين بالنواحي الريفية من سياسيين وإداريين وعلماء اجتماع وغيرهم، نظر كل منهم إلى المسائل الريفية من زوايا اهتماماته الخاصة . وقد مهّد ذلك إلى ظهور علم الاجتماع الريفي .

وتنوعت كذلك دراسة الريف من دولة إلى أخرى . إذ ارتبطت نشأة العلم وتطوره في كل بلد حسب ظروف وحاجات كل منها . فإذا كانت المشاكل في المجتمع الأمريكي هي التي أدت إلى بداية الاهتمام بعلم الاجتماع الريفي، فقد

---

(١) أنظر د. محمود عودة – القرية المصرية بين التاريخ وعلم الاجتماع، ص ١٠ .

أثـرى علم الاجتماع الحضري في المملكة المتحدة (إنجلترا)، وذلك بسبب مشاكل وآثار التصنيع على حياة المدينة، والنظرة إلى الحياة الريفية نظرة رومانسية .

ومـع ذلك فقد أجريت في بريطانيا والنرويج بعض الدراسات والبحوث الميدانية للمجتمعات الريفية . وفي فرنسا درست الحياة الريفية في نطاق علم الجغرافيا البشرية . وفي ألمانيا درست تحت نطاق من السياسة الزراعية التي كانت ضمن البرامج التي تدرس للطلاب في الكليات والجامعات .

وفي هولندا أجريت عدة دراسات عن المناطق الريفية للحصول على درجة الدكتوراه بإشراف "شتينميتز **Stenmetz**" جامعة امستردام، حيث أدخل هذا العالم ما أسماه "بالسسيوجرافيا **Sociography**" حينما كان عليه وهو سوسيولوجي أن يقوم بتدريس مادة الجغرافيا البشرية، وحينئذ حاول أن يشيد الجغرافيا البشرية على أسس سوسيولوجية .

وفي الاتحاد السوفيتي (سابقاً) اتجهت اهتمامات هذا العلم إلى دراسة الحياة الاجتماعية في المزارع الجماعية، بما يعني ارتباط البحوث في مجال هذا العلم بالأهداف التي تحددها الدولة ممثلة في الحزب الحاكم . وتحوى دراسة الحياة الاجتماعية عناصر تتمثل في :-

١ - العلاقة بين القروي وبيئته .
٢ - الأسس الاقتصادية للمزرعة الجماعية .
٣ - الإنسان في نطاق العمل .
٤ - توزيع الدخل بين المزارعين .
٥ - الأسرة والحياة اليومية .
٦ - العلاقات الاجتماعية بين الناس .
٧ - الإدارة الذاتية في المزارع الجماعية .

وقــد حــدث اتصال وثيق بين العلماء الأوربيين والأمريكيين . وأحاط الأوربيون بهذا الوضع الجديد لعلم الاجتماع، وساعد التكامل بين التصور الأوربي لعلم الاجتماع، والتصور الأمريكي له على نمو **"علم الاجتماع الريفي"** . وظهرت مشـــكلات جديـــدة، مما ترتب عليه أهمية الوعي بهذه المشكلات ومعالجتها. وبدأ المتخصصـــون يدركون أن مشكلات الفلاح الاقتصادية لا تحل بواسطة الأساليب الاقتصـــادية والفنية الخالصة، وإنما بواسطة الإرشاد والخدمات الإرشادية التي تقوم أساســاً عـــلى المعرفة المستمدة من علم الاجتماع وعلم النفس، وغيرها من العلوم الاجتماعية .

وفي الثلاثينات والأربعينات من القرن العشرين اتسع مجال علم الاجتماع الريفي، واهتم العلماء بموضوعات مثل : سكان الريف وتركيبهم، والهجرة الريفية الحضـــرية وأساليبها ونتائجها، وإيكولوجيا القرية، والشباب، والجماعات الريفية، والجماعـــات العنصـــرية، والمشـــاركة الاجتماعية، ومستويات المعيشة، وبرامج المســاعدات العامـــة، والقوى العاملة، والمجتمع المحلي، والتعليم والصحة، والدين، والسياســة، والضمان الاجتماعي، والإقامة في الضواحي، والسكان، وكبار السن، والإســكان، والتدرج الاجتماعي، والاتجاهات الريفية، والعلاقات الريفية الحضرية وتأثير زيادة تحضر المجتمع الريفي على مكوناته .

وكان علماء الاجتماع الريفي يهتمون بدراسة المجتمعات الريفية في البلاد المـــتقدمة ثم اتجهوا إلى دراسة المجتمعات الريفية في البلاد النامية للوصول إلى أفضل طـــرق الدراسة ووضع القضايا العامة والتعميمات . وفي الواقع نجد فروق واضحة بـــين هذين النمطين من المجتمعات، من ناحية طبيعة الحياة الريفية، والمشكلات التي يواجههـــا هؤلاء السكان الريفيون في كل مجتمع، الأمر الذي يفرض على الباحث استخدام طرائق في البحث الاجتماعي تناسب المجتمع الذي يعكف على دراسته .

الباب الثاني

المجتمع المحلي الريفي



الفصل الخامس

المجتمع المحلي

تعـــددت تعريفات علماء الاجتماع لمصطلح المجتمع المحلي . وقد استخدم العـــلماء في تعـــريفه مصـــطلحات مـــثل : "**الوحـــدة**" و "**الكيان**" و"**الشكل**" و"**الصـــورة الأساســـية**"، قاصدين بذلك أن المجتمع المحلي هو شيء يوجد حقيقة ككيان قائم بذاته في العالم الواقعي .

وكلمة "**مجتمع محلي**" تشير إلى جماعة من الناس يصنفون طبقاً لمعيار معين. فقد اتجه بعض العلماء اتجاها سيكولوجيا، إذ نظر إلى المجتمع المحلي على أنه يرتكز عـــلى عناصر نفسية قوامها "**الإحساس بالتشابه Sense of likeness**" بين مجموعـــة من الأفراد يشعرون بوجود رابطة فعلية أو روحية تؤلف بينهم . فها هو "**نســـيبت R. Nisbet**" و"**براونل B. Brownell**" تصوروا المجتمع المحلي عـــلى أنـــه وحـــدة نفسية يكتسب الأفراد من خلال توحدهم بها شعوراً بالأمن والانتماء والاستقرار النفسي.

ومـــن العـــلماء من أكد أهمية المكان أو البقعة الجغرافية كأساس لتحديد مكان المجتمع المحلي . وهو ما يطلق عليه "**الاتجاه الايكولوجي**"، وهو الذي يبحث في العلاقة بين "**السكان**" و"**الأرض**" (البيئة الفيزيقية)، وتكيف الإنسان مع البيئة، باعتبار المجتمع المحلي وحدة إقليمية محلية مكانية وزمانية .

وفي ضـــوء هـــذا التعريف يعرف المجتمع المحلي في ضوء عنصر واحد هو الإقلـــيم المشترك أو البيئة الجغرافية التي يعيش فيها الأفراد . فالقرية، والمدينة، كل مـــنها يحتل مكاناً محدوداً على سطح الأرض . والمدينة تنقسم أرضها إلى : مركز

المدينـــة، وحـــي العمـــل الرئيسي، ومنطقة المصانع، وأخرى للمسارح، وحي للفقـــراء، وحـــي للأغنـــياء، وحي للزنوج، وحي لليهود . وهناك أراضي غير مســـكونة، وخالية من السكان، ولكل من هذه المناطق وظائف تختلف عن وظيفة المنطقة الأخرى .

ويُعد "**أموس هاولي A. Hawley**" أحد أقطاب المدخل الإيكولوجي، فقـــد عرف المجتمع المحلي بأنه : تلك الرقعة المكانية التي يرتبط بها، وفيها السكان، والـــتي تتم من خلالها تكامل الأفراد مع بعضهم البعض استجابة لمتطلباتهم اليومية وخصائصها .

غـــير أن الـــتجاور المكاني وحده لا يكفي بطريقة تلقائية إلى خلق مجتمع محلي. بالإضافة إلى أنه لو حدث وهاجر الناس من المنطقة التي يقيمون فيها لاختفى المجتمع المحلي بالرغم من استمرار المكان أو الإقليم .

ولهـــذا يضـــيف بعض العلماء إلى الإقليم المشترك عنصر أو أكثر لتحقيق شـــرط المجتمع المحلي . فمنهم من ذكر أن المجتمع المحلي وحدة سياسية محلية (قرية، مركز، أو مدينة) . ويؤخذ على هذا التعريف أن المدينة الكبيرة المترو بوليس ليست مجـــتمعاً محلياً واحداً . فالناس يتكدسون في منطقة جغرافية ضيقة، ويتخلخلون في مـــنطقة أخـــرى . وينقص هذا التعريف المشاركة الاجتماعية . وفي معظم المدن الكبـــرى فـــإن الـــناس يسكنون في منطقة، ويعملون في منطقة أخرى، ويشترون احتـــياجاتهم مـــن منطقة ثالثة، ويذهبون إلى المسارح والسينما في منطقة رابعة . وهناك من يسكن في الضواحي على حافة المدن الكبرى .

ومن العلماء من تبنوا منظوراً ثقافياً في تحليلهم للمجتمع المحلي، فذهبوا إلى أن العلاقات الاجتماعية بين الأفراد وتوحدهم بمجتمعاتهم يترتب عليها مشاركتهم

في عدد من القيم والمعايير والأهداف المشتركة والمعتقدات . وبالتالي يصبح المجتمع المحلي في نظرهم وحدة ثقافية في المقام الأول .

ويتمثل هذا في رأي خبراء الشئون الاجتماعية للدول العربية الذين عقدوا مؤتمـــراً في القاهرة عام ١٩٥٥م، فقد رأوا أن المجتمع المحلي هو مجموعة من الأفراد يتميزون بطابع ثقافي مشترك . ويتميز بكل أو بعض الخصائص الآتية :-

١ - بقعة جغرافية محددة ثابتة إلى حد كبير .
٢ - مصالح اجتماعية واقتصادية مشتركة .
٣ - مجموعـــة من العادات والتقاليد والروابط والقيم الاجتماعية، تستثير فيهم الشعور والإحساس بالانتماء لمجتمعهم .

ويؤخـــذ على هذا التعريف أنه أغفل أهمية وجود مؤسسة أو بناء تنظيمي يمكن عن طريقه أن يحقق أفراد المجتمع أهدافهم . كما أنه وإن كان قد عرض لبعض خصائص المجتمع المحلي، فإنه قد جانبه الصواب في تحديد جوانب أخرى تشكل في مجموعها محور المضمون في عملية تنمية المجتمع [١] .

ولهـــذا نرى "**لويد كوك Loyed Cook**" يعرف المجتمع المحلي بأنه: جمع من الناس يعيشون في حيز ما يجعلهم في اتصال مستمر، ولهم خبرات متصلة، وعندهم عدد من المؤسسات والنظم التي تعمل متعاونة على تنشيط الحياة بالمجتمع، وتماسكه، ووحدته . وقد وافق "**زيمرمان Zimmerman**" على هذا التعريف

---

(١) أنظر د. محمد كامل البطريق، د. محمد جمال شديد – تنمية المجتمع المحلي – دراسة تحليلية للأساس النظري لمنهج تنمية المجتمع,والأبعاد الرئيسية لمدى تطبيقه بفاعلية في المجتمعات الريفية، ص ٢٩ .
وأنظر د. حسين عبد الحميد أحمد رشوان – المجتمع – دراســــــة في علم الاجتمـــــــاع ص. ص ١٠٩ – ١١١ .

وأضاف إليه أن هذه المجتمعات تضع بصفة دائمة برامج لها لكي تحي، كما تتكون لكل مجتمع محلي شخصيته التي تدفع أفراده إلى العمل المستمر لرفاهيته [١] .

ومن العلماء من فسر المجتمع المحلي في ضوء عناصر سوسيولوجية، فاعتبره "شـــبكة مـــن الـــتفاعلات Network of Interaction"، أو ما يُعرف بالعلاقات المباشرة، أو علاقات الوجه للوجه، والتي تحدث بين فردين أو أكثر بحيث يـــراعى كـــل منها الآخر . ويحدث هذا التفاوت بدرجات متفاوتة بين الجماعات المختلفة .

ويعتبر **"جورج لندبرج ور.م. ماكيفر"** من أنصار هذا الاتجاه . فقد عرف **"جـــورج لندبرج"** المجتمع المحلي بأنه : تجمع من الناس يتوفر فيهم أدنى درجة من التجانس الجغرافي والتفاعل .

أمـــا **"ماكـــيفر"** ، فقد عرف المجتمع المحلي في كتـــــابة **"المجتمع المحلي Community"** بأنـــه حيز للحياة المشتركة والعامة، قد يكون قريـــــة، أو مركـــز Town أو مقاطعة District، أو الريف، أو محافظـــــة، أو دولة ، أو أوسع من ذلك . وهذا الحيز بما يتوافر فيه من عوامل فيزيائية أو بيولوجية أو نفسية يـــؤدى إلى وجـــود تشابه بين الأفراد الذين يعيشون داخل هذا الحيز مع بعضهم الـــبعض، ومن اجتماع هؤلاء الأفراد، ومعايشتهم لبعضهم البعض يشكلون طريقة للحـــياة، وخصـــائص مشـــتركة، وسمـــات للحـــياة العامة تميزها عن غيرها من المجـــتمعـــــــات المحلـــية الصـــغيرة الأخرى، كحدود المنطقة، وأنماط الأخلاق، والتقاليد، وأسلوب الحياة . وتلك هي مظاهر الحياة العامة [٢] .

---

(١) د. صلاح العبد – مبادئ علم الاجتماع، ص ٢٠٣ .

(2) See Maciver, R. M., Community, A Sociological Study, P. 2 .

ويرى "**ماكيفر وربيج**" أن السمة المميزة للمجتمـــــع المحلي هي أن المرء يمكـــنه أن يحيا حياته كلهـــــا في داخله . فالإنسان - مثلاً - لا يستطيع أن يحيا حياته كاملة في مؤسسة تجارية أو في داخل كنيسة، بينما يستطيع أن يفعل ذلك في داخل قبيلة، أو مدينة .

وعلى ذلك فالصفة الأساسية للمجتمع المحلي هي أن كل علاقـــات الفرد الاجتماعية يمكن أن توجد في داخله . ويضيف "**ماكيفر**" أنه يمكن النظر إلى المجتمع المحلي باعتباره جزءاً من مجتمع أكبر .

ويتبين من ذلك أن كلا من "**لندبرج وماكيفر**" قد تناول مصطلح "**المجتمع المحلي**" من منظور مختلف، ومع ذلك فقد اتفقا على الأسس الآتية :-

١ - أن المجتمع المحلي يرتبط بمنطقة جغرافية .

٢ - تشير كلمة "**مجتمع محلي**" إلى تجمع من الناس يتميزون بطابعهم الخاص في حـــياتهم العامة، أو أشكال التفاعل التي تميزهم عن غيرهم من التجمعات الإنسانية الأخرى .

٣ - إن المجـــتمع المحلي مصطلح نسبي، إذ ينظر إليه باعتبـــاره مجتمعاً يتميز عن المجتمعات الأخرى، وهكذا فالمجتمع المحلي يعتبر مسألة درجة.

وفي ضـــوء هـــذا فإن مصر - مثلاً - تُعد مجتمعاً **Society**، ومدينـــة القاهـــرة تُعـــد مجـــتمعاً محلياً **Community** . وبالقياس تعتبر كل محافظة من محافظات مصر، بل وكل قرية أو مجموعة قرى تتشابه مصالحها باعتبارها وحدات إدارية هي أيضاً مجتمعاً محلياً .

والتفريق بين المجتمعات المحلية يشبه التفريق بين المجتمعات، فهو يقوم على أســـاس تقدمهـــا الاجتماعي، وحجمها السكاني، ومساحتها الجغرافية، والمهنة أو المهن السائدة فيها .

ويشير المجتمع المحلي كذلك إلى بناء أو نسق اجتماعي؛ وينظر إليه باعتباره بناء وديناميكية . ويشير البناء الاجتماعي إلى تضمنه عدداً من الأنظمـــة التي تنظم العلاقـــات بـــين الناس بهدف إشباع حاجاتهم؛ وهي تشـــتمل على مجموعة من التقاليد والقيم المحلية وأساليب الضبط غير الرسمية . وتختلف المجتمعات المحلية بعضها عن بعض من حيث الشكل والحجم . وعلى ذلك فالمجتمع المحلي هو أصغر وحدة للبناء الاجتماعي داخل أي مجتمع، وتستطيع أن تعتمد على نفسها [١] .

أمـــا الديناميكـــية، فتشير إلى التفاعل وأنماط التغير وتعتبر التربة الأساس البنائي للمجتمع المحلي . فهي تمد الإنسان بالغذاء والماء [٢] .

ويـــرى "كوننج **Koning**" أن المجتمع المحلي شكل أساسي لم يختفى أو يتلاشـــى كلـــية بظهـــور الـــثورات الصناعية والحضرية . واعتـــــبر "**شنور Schnore**" المجتمع المحلي وحدة أساسية للبناء الاجتماعي . وتتمثل عناصره في مظاهر ثلاثة هي : المظهر الديموجرافي، والإيكولوجي، والبنائي . ويؤخذ على هذا التعريف أنه استخدم ألفاظاً غامضة مثل : "**الوحدة**" و"**الكيان**" [٣] .

---

(١) أنظر د. ماهر عبد الوهاب الملاح – تنمية المجتمعات المحلية، ص ٩٣ .
وأنظر د. نبيل محمد سالم – تنمية المجتمعات المحلية، ص ٤٥ .

(2) Southwick, Charlis H., Ecology and the Quality of our Environment, P. P. 321 - 322 .

(٣) د. حسين عبد الحميد أحمد رشوان – المدينة – دراســـة في علم الاجتمـــاع الحضـــري، ص. ص ٣١ – ٣٢ .

وذكر "**ردفيلد**" في كتابة "**المجتمع لمحلي الصغير**" أن المجتمع المحلي هو أحد الكـــيانات الـــتي تكون المجتمع . ويتكون المجتمع المحلي الصغير من عناصر، هي : الأفراد، والقومية، والحضارة . وكل منها يدرس كوحدة مستقلة .

ويحظـــى المجـــتمع المحلي الصغير في نظر "**ردفيلد**" بخصائص أو مقومات محددة، هي :-

- التمييز **Distinctiveness**
- صغر الحجم **Small Size**
- الاكتفاء الذاتي **Self - Sufficiency**
- التجانس السكاني **Homogeneity**

ويؤخـــذ عـــلى فكرة "**ردفيلد**" أن خاصتي التجانس والاكتفاء الذاتي التي أوردهمـــا "**ردفـــيلد**"، خاصتان نسبيتان . فكل قرية تضم أناسا ذوي مهن مختلفة، ومن طبقات اجتماعية مختلفة كذلك . كما أن انتماءاتهم الدينية والسياسية يمكن أن تـــتفاوت كـــثيراً . كما أنه عادة ما ترتبط القرى بنسق دولي أو عالمي للتسويق أو بنظام للسوق العالمي .

وتصور "**ردفيلد**" المجتمع المحلي الصغير كلاً متكاملاً ومتجانساً، خال من الـــتوترات، ويتميز بأنه أكثر انسجاماً ومتوحداً من أي مجتمع محلي كبير، كما أنه يتسم بالاكتفاء الذاتي . وهذه كلها مسائل نسبية تضم عدداً من الخصائص، فالقرية تشـــتمل عـــدداً مـــن المهن والطبقات الاجتماعية، وفيها يتنوع الانتساب الديني والسياســـي . كذلـــك فإن هذا التصور محل شك، فالصراعات الداخلية قد تكون أكـــثر عـــنفاً وضـــــراوة في المجتمع المحلي الصغير، وذلك لارتباط الأعضاء فيما بينهم، واقتراب كل منهم للآخر .

ويســـتخدم هذا المصطلح لوصف ثقافة فرعية أو فئة من الناس سواء من الناحية الجغرافية، كما فعل "هيكوري كورنرز **Hickory Korners**" في كـتابة "**مدينـــة نـــيويورك**"، أو مـــن الناحـــية الســـيولوجية كدراسة مجتمع **Scholars** ، ومجتمع الزنوج [١] .

وذهـــب "**E. T. Hiller**" إلى اعتـــبار المجتمع المحلي أحد الجماعات الاجتماعـــية وتـــتألف الجماعة الاجتماعية - كما يرى **هيللر** - من مجموعة من الأعضاء يخضعون لمؤثرات وشروط يكتسبون من خلالها عضـــوية تلك الجماعات. كما يلتزمون بمجموعة من الأدوار، ويخضعـــون لسلسلة من المعايير .

ويتوفر في المجتمع المحلي بعض الخصائص، فهو يضم مجموعة من الأعضاء - أي السكان - وهو له شروط أو متطلبات خاصة لعضويـــــة أعضائه . وهو يحدد مجموعـــة من الأدوار المختلفة لأعضائه، وهو يضع لهم سلسلة من المعايير التي يتوقع امتثالهم لها .

وأعتبر "**رولاند وارين Roland L. Warren**" المجتمع المحلي نظاماً اجتماعياً يتألف من مجموعة نظم فرعية أصغر . وتؤدى تلك النظم الفرعية وظائف معينة في إقليم أو منطقة جغرافية، محددة بالذات . وتتمثل تلك الوظائف في التنشئة الاجتماعية والضبط الاجتماعي والمساعدة المتبادلة، والإنتاج والتوزيع والاستهلاك.

والمجـــتمع المحلي كنظام اجتماعي يشبه إلى حد ما الجماعات الاجتماعية، فهـــو يتضـــمن مجموعـــة مـــن الأعضـــاء، "**وبـــناءً معيارياً Normative Structure**" ، وشـــروطاً محددة للعضوية، وبواعث سيكولوجية واجتماعية، فضلاً عن الحدود الجغرافية .

---

(1) Horton, Paul B. Hunt, L., Sociology, P. 416 .

والواقـــع أن كبر حجم أعضاء المجتمع، إلى جانب الافتقار إلى الاهتمامات المشـــتركة الـــتي تـــربط بـــين هؤلاء الأعضاء كثيراً ما يحول دون حدوث هذه التفاعلات.

وجملـــة القول فإن مصطلح "المجتمع المحلي **Community**" تشير من وجهـــة النظر السسيولوجية إلى جماعات من الناس، أو مجتمع ما داخل مجتمع أكثر اتســـاعاً . فـــإذا قلـــنا – مـــثلاً – المجـــتمع المحـــلي الشيكاغي **Chicago Community**" ، فإننا نشير إلى هذا المجتمع بالنسبة إلى مجتمع أكثر اتساعاً هو المجتمع الأمريكي **American Society** .

وتعـــيش هذه الجماعات في مساحة صغيرة من الأرض تجعلهم في اتصال مســـتمر، وينتج عنه التفاعل بين أعضائها، ويعدهم هذا التفاعل على وحدة المجتمع الـــذي يعيشون فيه وعلى تماسكه . ويتميزون بثقـــافة عامة ونسق اجتماعي ينظم نشاطاتهم، وخبرات مشتركة، ومؤسسات خاصة تنظم العلاقات بينهم . وكلما نما هذا المجتمع وكبر حجمـــه، كلما ازداد عدد أفراده، وتعقدت نظمه الاجتماعية . وهكذا فالمجتمع المحلي هو جماعة إقليمية محلية .

ويستبين من ذلك أن وجود عدد قليل من المساكن مثل كفر أو مزرعة لا يشكل مجتمعاً محلياً . فالأفراد في هذه الكفور أو المزارع ينتقلون من مكان إلى آخر سعياً وراء سد حاجاتهم .

وفي ضوء ما سبق يتضح أن المجتمع المحلي لابد أن يتوافر فيه شروط، وأن أبعاده وخصائصه تتلخص في الآتي :-

المكان أو الموقع :

ويقصد به وجود قطعة من الأرض ذات طبيعة ومساحة معينة وخصائص مثل : الحجم، وخصوبة التربة، والمناخ، والمصادر، والطبوغرافيا . وقد تكون قطعة الأرض هـــذه قـــرية أو بلدة أو منطقة أو إقليم، أو حتى أي مساحة أكبر من ذلك يعيش أفرادها داخل منطقة جغرافية ذات خصائص فريدة ومتميزة، طبيعية كانت أم صـــناعية . وتتمـــيز هـــذه الخصائص على نحو ما يميزها عن غيرها، مما ينجم عنه الإحساس بالمكان والمحل (١) .

ويطلـــق عـــلماء الاجتماع على هذه القطعة من الأرض **"مجتمع الإقامة Residential Community"** أو **المجتمع الإيكولوجي أو إقليم المجتمع "Community Area, Ecological Community"** . فالقـــرية تحـــتل مكاناً محدود النطاق والمعالم . كما يمثل النجع والكفر وغيرها من الوحدات أيضـــاً مكاناً محدوداً يمكن أن نطلق عليها جميعاً مجتمعات محلية . كذلك فإن كل حي من أحياء المدينة يمثل موقعاً معيناً داخل المدينة .

ولكـــل قـــرية أو مدينة حدود تفصلها عن القرى والمدن المجاورة . وهي حدود معترف بها من سكان المجتمع المحلي، وسكان المجتمعات المحلية المجاورة .

الســـــكان :

يشـــكل خصائص السكان وهي الحجم والتوزيع والكثافة والجنس والعمر عنصراً أساسياً لقيام المجتمع المحلي .

---

(١) أنظر د. عبد المنعم شوقي – تنمية المجتمع وتنظيمه، ص ١٤ .
وأنظر د. محمد عاطف غيث – علم الاجتماع، الجزء الأول، ص. ص ١٩٨ – ١٩٩ .

العلاقة الاجتماعية والأدوار :

تقوم بين السكان الذين يعيشون في إطار سكني معين مجموعة من العلاقات الاجتماعـــية . وتختلف طبيعة هذه العلاقات من مجتمـــع محلي إلى مجتمع محلي آخر وفقـــاً لنوعـــية هذا المجتمع المحلي . وتقوم عملية التربية والتنشئة الاجتماعية بتنشئة الأجيال الجديدة، مما يعكس آثاره على العلاقات الاجتماعية في ذلك المجتمع الريفي المحلي من حيث طبيعة هذه العلاقات ونوع التضامن السائد .

التفاعل الاجتماعي :

يتفاعل أفراد المجتمع تفاعلاً مستمراً حتى يتمكن الأفراد والمجتمع من تحقيق المصـــالح المشتركة . وهنا تتجلى عاطفة "نحن" التي تقود إلى الوعي الذاتي أو الوعي بالذات، وإلى الانتماء، والتميز عن مجتمع محلي آخر . وفي العادة يترجم هذا الوعي إلى اتجاهـــات لـــدى الأفراد كالاعتزاز والمباهاة بالمجتمع المحلي، والولاء له والدفاع عنه. وكثيراً ما تخلق مثل هذه الاتجاهات النفسية والاجتماعية حواجز نفسية ذات أهمية قصوى بين المجتمعات المحلية المتجاورة .

وينجم عن التفاعل قيم وسلوكيات ونظم مشتركة وثابتة . كما يتوفر في المجـــتمع المحـــلي عـــدد من المؤسسات الاجتماعية كالأسرة والمؤسسة الاقتصادية والمؤسســـة التعليمية والمؤسسة الدينية والإدارة الحاكمة . فوجود هذه المؤسسات ضـــرورة لتحقـــيق أهـــداف المجـــتمع المحلي . وجدير بالذكر أنه يوجد بين هذه المؤسسات الاجتماعية ترابط وتكامل في خدمتها للمجتمع المحلي .

ثقافة المجتمع المحلي :

إن ثقافـــة المجتمع المحلي هي **ثقافة فرعية Sub- Culture** - أي نسقاً ثقافـــياً خاصـــاً سائداً بين السكان المكونين للمجتمع المحلي، وباعتبارهم يعيشون بثقافتهم في إطار نسق ثقافي أكبر . فالريفيون - مثلاً - يشتركون جميعاً في الثقافة العامة للدولة التي يعيشون فيها، ويعيشون في إطار هذه الثقافة العامة مقارنة بغيرها مـــن ثقافات الدول والمجتمعات، إلاّ أن لهؤلاء السكان الريفيين ثقافة فرعية خاصة بهم، ومميزة لهم داخل إطار هذه الثقافة الفرعية .

الاكتفاء الذاتي :

المجتمع المحلي عبارة عن جماعة من الأفراد مكتفية بذاتها . ففي إطار المجتمع المحلي وحدوده يعتمد الأفراد على بعضهم البعض للقيام بالوظائف الأساسية. كما ترتـــبط الأهداف الجمعية والنشاطات الفردية بتنوع واسع النطاق من الاحتياجات والمصالح والاهتمامات التي لا يمكن لمؤسسة أو تنظيم بعينه مهما كبر أن يواجهها . ففـــي الوقت الذي لا يستطيع الفرد فيه أن يقضي حياته داخل مصنع أو تنظيم أو كنيسة، يستطيع أن يفعل ذلك في قبيلة من القبائل أو إحدى المدن (١) .

وقد قسم علماء الاجتماع المجتمع المحلي إلى قسمين متميزين هما : المجتمع المحلي الريفي، والمجتمع المحلي الحضري . ووضع كل عالم معايير تفرق بين الحياتين الريفية والحضرية . وسوف نستعرض المجتمع المحلي الريفي في الصفحات التالية .

---

(١) د. السيد عبد العاطي السيد - علم الاجتماع الحضري - مداخل نظرية، ص. ص ٥١ - ٥٢ .

الفصل السادس
المجتمع المحلي الريفي

تعريف المجتمع المحلي الريفي

من الصعوبة بمكان تعريف المجتمع المحلي الريفي بطريقة قاطعة لا لبس فيها، ويـــرجع هذا إلى عامل الزمان والمكان . فليس المجتمع الريفي الذي يوجد الآن في أمريكا أو إنجلترا أو فرنسا ينطبق عليه نفس التعريف الذي يطلق على المجتمع الريفي الذي يوجد الآن في بعض مناطق آسيا أو إفريقيا .

وعليه اختلفت وتعددت تعريفات علماء الاجتماع لمصطلح المجتمع المحلي الـــريفي طـــبقاً لوجهـــات نظر كل منهم . وصار كل تعريف يركز على الغرض المســـتخدم من أجله . فضـــلاً عن أن تعريف المجتمع المحلي الريفي يدخل فيه عدداً مـــن المـــتغيرات حيـــث يمكن تقسيم المجتمع المحلي إلى ريفي وحضري طبقاً لعدد الســـــكان، وكثافتهم، والخصائص الإيكولوجية، والوضع الإداري، والخصائص الاجتماعية والثقافية، والنشاط الاقتصادي السائد .

وتـــزداد صـــعوبة تعريف المجتمع الريفي إذا ما أعتبر أحد المجتمعات المحلية ريفـــياً وفقـــاً لأحد المتغيرات، وحضرياً بالنسبة لمجتمع آخر . فضلاً عن أن زيادة الاتصال والاحتكاك الثقافي بين القرية والعالم الخارجي أدى إلى حدوث تغير نسبي في طبيعة وخصائص المجتمع الريفي .

وبالإضـــافة إلى ذلك فإن القرية أو المجتمع الريفي الذي يعيش في عصور قديمـــة، لا يشبه المجتمع الريفي الحديث الذي يوجد في الدول المتقدمة من حيث أنه يستعمل أحدث الآلات في كل العمليات الزراعية .

ولهذا انتقد **"بيترمان"** تعريف **"توماس شارب Thomas Sharp"** مـــن أن القـــرية الزراعية هي على أقل تقدير بناء اجتماعي بسيط نسبياً، إذ يقول **"بيـــترمان"** أن هذا التعريف يتجاهل عامل الزمان، لأن بساطة القرية قد يجعل هذا التعريف لا ينطبق إلاّ على مجتمعات ريفية قديمة أو متخلفة .

ومن هنا يرى **"بيترمان"** أن تعريف **"توماس شارب"**يشمل عدداً كبيراً من المجـــتمعات الريفـــية ابـــتداء من قرية على حدود نيويورك يقيم فيها كبار الأثرياء الأمريكـــيين للترويج عن أنفسهم في عطلة آخر الأسبوع، أو مفضلين الإقامة فيها على تجنب المدينة وزحامها، على نحو ما يميل إليه الأثرياء في الوقت الحاضر، وانتهاء إلى ريفية يعيش فيها الزنوج معيشة مختلفة في وسط إفريقيا .

وقـــد عُرف المجتمع الريفي في الولايات المتحدة الأمريكية تعريفاً إحصائياً، وحسب حجم السكان؛ مما يمكن من تحديد المناطق الريفية . وحجم السكان غالباً مـــا تكـــون المعـــرفة به متاحة في كثير من البلدان . كما أن لحجم السكان تأثيراً ملحوظاً على أوجه الحياة الأخرى في المجتمع المحلي .

فقد ذكر علماء الاجتماع الريفي في الولايات المتحدة الأمريكية أن المجتمع الذي يقل عدد سكانه عن ألفين وخمسمائة نسمة قبل تعداد ١٩٥٠م، وما يقل عن خمســة آلاف نســـمة حسب تعداد ١٩٥٠م، هو مجتمع ريفي . أما إذا زاد عدد السـكان عن هذه الأرقام فهو مجتمع غير ريفي . حتى ولو كان يعمل بالزراعة .

والريف طبقاً لهذا التعريف لا علاقة له بالمهنة، بل هو اصطلاح ذو مدلول إحصائي تبعاً لعدد التجمع السكاني .

ولقـــد اقتضى هذا التعريف استخدام عدة تسميات للمجتمعات، فهناك الـــريفي غير الزراعي، وهناك الريفي الزراعي، كما أن هناك الزراعي غير الريفي . فالريف هنا لا علاقة له بالمهنة، بل هو مجرد اصطلاح له مدلول إحصائي تبعاً لعدد السكان، وإن كان الغالب أن المجتمعات التي يقل عدد سكانها عن ألفين وخمسمائة نسمة، أو خمسة آلاف نسمة - هي مجتمعات تغلب عليها مهنة الزراعة (١) .

ومـــن العـــلماء من عرف المجتمع الريفي على أساس التقسيم الاقتصادي للمهن، حيث يقسمون الأعمال الاقتصادية إلى ثلاثة أقسام هي :-

أ - الصناعات الأولية :

وهي الصناعات التي تعمل على استخراج المادة الخام مثل الزراعة والصيد والمناجم واستخراج الإسفنج .

ب - الصناعات التحويلية أو الثانوية :

وهـــي الصـــناعات التي تقوم على تحويل المادة الخام إلى أشكال صناعية أخـــرى . فمـــثلاً إذا كانت زراعة القطن صناعة أولية، فإن غزل ونسيج القطـــن صناعة تحويلية أو ثانوية . كذلك إذا كان استخراج الحديد الخام مـــن المناجم صناعة أولية، فإن صناعة الصلب والآلات صناعة تحويلية أو ثانوية .

---

(1) Desai. A. R., Rural Sociology in India, P. 9 .
وأنظر د. علي فؤاد أحمد - علم الاجتماع الريفي، ص ٣٩ .
وأنظر د. سامية محمد جابر، وآخرين - دراسات في علم الاجتماع الريفي، ص ١١ .

ج - المهـــــــن :

وهي الخدمات التي ليست إنتاجية في حد ذاتها وإن كانت لازمة وضرورية للإنـــتاج، ومـــثل هـــذه المهن عمل المدرس والطبيب والجندي والحلاق وغيرهم.

بـــناء عـــلى هذا التقسيم للمهن فالتعريف السائد في هذه البلاد هو اعتبار المجـــتمعات الـــتي يعتمد غالبية سكانها على الصناعات الأولية في حياتهم مجتمعات ريفـــية .. على أنه من الملاحظ بطبيعة الحال أن المجتمعات التي يعيش غالبية سكانها على مثل هذه الأعمال كالزراعة والتعدين والصيد غالباً ما تكون مجتمعات قليلة في عدد سكانها حيث لا تستوعب هذه المهن أعداداً كبيرة من العاملين شأن الصناعات التحويلـــية . هـــذا إلى أن تركز أصحاب المهن يكون في التجمعات كبيرة العدد وليســـت التجمعات الصغيرة . وعليه فبالرغم من أن هذا التعريف لا يستند على عدد السكان في ذاته إلاّ أن المجتمعات الريفية طبقاً له تكون قليلة السكان نسبياً .

وهـــناك كـــثير من البلدان الإفريقية والأسيوية تعتبر المجتمعات الريفية هي المجـــتمعات الـــتي يعمل غالبية سكانها في مهنة الزراعة وحدها مستبعدين من ذلك مجـــتمعات الأسمـــاك ومجتمعات استخراج المعادن . هذا وهناك مجتمعات ريفية في إفريقـــيا وآســـيا يزيد حجمها وعدد سكانها عن غيرها من المجتمعات الحضرية في الولايات المتحدة الأمريكية طبقاً لتعريفها الإحصائي .

وقـــد ذهب "ريموند فيرث **Raymond Firth**" إلى أن اصطلاح المجتمع القروي **Peasant Society** ينطبق على كل مجتمع يتكون من عدد من المنتجين الصغار بغرض الاستهلاك الخاص . ولكن تعريـــف "فيرث **Firth**" هذا يخرج المزارعين الذين يزرعون الأرض عن طريق الغير لغرض الاستغلال، وهم

بالضـــرورة موجـــودون في أغلب القرى نتيجة لعدم وجود نظام معين في توزيع الملكـــية. وقـــد ينطـــبق هذا التعريف على بعض المجتمعات التي تساوى في الملكية الزراعـــية بـــين ســـكان القـــرية الواحدة، ولا ينطبق على المجتمعات ذات النظام الاشتراكي أو الشيوعي .

وفي مصـــر اعتبرت محكات السكان والمهنة هي الأساس في تحديد المجتمع القـــروي . ثم اتفق على أن يستند تعريف المجتمع الريفي على الجانب الإداري، إذ اعتـــبرت المجتمعات الريفية هي التجمعات السكانية التي ليست عاصمة لمحافظة أو مقراً لمركز من المراكز الإدارية، بعد استبعاد المحافظات الصحراوية [١] .

وخلاصة القول فالمجتمع الريفي هو ذلك الشطر من المجتمع الذي يقيم فيه الســـكان في مـــنطقة جغرافية محددة، والتي تتحدد على أنها مناطق ريفية . وهؤلاء الســـكان نشـــأت بيـــنهم علاقـــات اجتماعية، والتي من خلالها أقاموا جماعات ومـــنظمات ومؤسسات اجتماعية ريفية، ومرافق مختلفة، والتي عن طريقها يشبعون احتياجاتهم الاجتماعية والاقتصادية والنفسية . وقد أصبحوا بحكم الجيرة السكانية والمصالح والأماني ثقافة وحضارة ريفية.

ويلعـــب المجـــتمع الريفي دوراً هاماً في الاقتصاد الزراعي للدولة . ويعمل معظـــم سكانه في الدول النامية في الزراعة، والمهن المرتبطة بها . وهو يضم حوالي ثلثي أفقر الفئات في الدولة ككل .. وهو مصدر الموارد الأولية كالمنتجات الزراعية والمعـــادن اللازمـــة للتصدير إلى الدول الصناعية المتقدمة . كما أنه مصدر للمواد الغذائية والعمالة اللازمة للمراكز القومية الحضرية والصناعية [٢] .

---

(١) د. علي فؤاد حمد – علم الاجتماع الريفي، ص. ص ٤٦ – ٤٨ .

(٢) لونج / نورمان – المدخل إلى علم اجتماع التنمية الريفية، ص ٢ .

والفلاح هو الدعامة الأساسية لهذا الاقتصاد، فهو يؤثر ويتأثر تأثيراً كبيراً في ارتفاع وانخفاض مستوى هذا الاقتصاد . ويتوقف ذلك على الخدمات التي تقدم له، والتي تمكنه من أداء دوره في هذا الاقتصاد وعلى الوجه الأكمل [1] .

وتعتـــبر القـــرية الوحدة المكونة للمجتمع الريفي . وينظر للقرية على أنها مجتمع صغير . وقد ذهب البعض إلى تعريف القرية بأنها تجمع سكاني دائم في منطقة محددة حيث يقيم السكان في مساكن متجاورة، وتربطهم ببعض علاقات اجتماعية قويـــة . ويعمـــل نسبة كبيرة منهم بالزراعة .. حيث يوجد عدد من المؤسسات والمنظمات الاقتصادية والاجتماعية التي تعمل على خدمتهم وخدمة غيرهم بالبلدان المحيطة [2] .

أما العزب فغالباً ما يكون نظامها مصاحباً لنظام الإقامة في الريف أو نظام الإقامـــة عـــلى مزارع متناثرة . وتعرف العزب بأنها : وحدات إقليمية متناثرة في الريف على مسافات متباعدة بين القرى [3] .

خصائص المجتمع المحلي الريفي

يصـــعب تحديد معنى الريفي، خاصة إذا ما تساءلنا أين ينتهي الريفي ليبدأ الحضـــري . وهـــل هناك حدود فاصلة واضحة بين الريفي والمدني ؟ وهل تشمل المجموعة الريفية أناساً غير الفلاحين ؟ وهل المزارعون كلهم ريفيون ؟

---

(١) د. مســـعد الفاروق حموده – تنمية المجتمـــع الريفي والحضـــري، دور الخدمة الاجتماعيـــــة، ص. ص ١ – ٧ .

(٢) د. محمد نبيل سالم – تنمية المجتمعات المحلية، ص. ص ٤٥ – ٤٦ .

(٣) د. محمد فتح الله هلول – قراءات في المجتمع الريفي، ص ٢٢ .

هذه الأسئلة من الصعب الإجابة عليها قبل أن ندرس خصائص الحياة الريفية . ويؤكد معظم علماء الاجتماع على وجود عناصر مشتركة بين الثقافات الحضرية والريفية للمجتمع الواحد وتتمثل في اللغة، والتراث، والدين، والقيم العامة، والنظم الاجتماعية كنظام الأسرة. والسياسة والتعليم . ومع ذلك فإن المجتمع الريفي يتميز بخصائص تفرقها عن تلك التي تتسم بها الحياة الاجتماعية في الحضر .

والحقيقة أن هناك ثمة عوامل، وليس عامل واحد، هي التي تكمن وراء هذا الاختلاف، وهي لا توجد فرادى، وإنما تتشابك في كل متكامل متميز بنموه التاريخي الذي يتخذ طابعاً خاصاً .

ولقد كانت المجتمعات البدائية أو الأولى مجتمعات ريفية . وكانت معظم أعمالها تتعلق بالزراعة، وقطع الأشجار، والصناعات الزراعية [1] .

وسنحاول هنا أن نستعرض أهم خصائص المجتمعات الريفية على وجه العموم وهي :-

- البناء الاجتماعي :

يقوم الريف على أساس الحجم الصغير . فالمجتمع الريفي صغير وبسيط في بنائه الاجتماعي والقرية صغيرة في مساحتها وحجم مبانيها . كذلك فإن المباني والمنشآت العامة والخاصة أقل عدداً وأصغر حجماً في القرية . ويتوفر في المجتمع الريفي عدداً من المساكن بنيت بصورة عشوائية، وغير منتظمة، وبدون تخطيط .

---

(١) أنظر د. سامية محمد جابر وآخرين - دراسات في علم الاجتماع الريفي، ص ٣٥ .

ويقـــوم الـــريف على علاقات الدم والقرابة والمعيشة المشتركة والتجاور المكـــاني في حيز ضيق . وهو يتكون من أسرة واحدة كبيرة أو عدة أسرات ترجع إلى أصل واحد . وهو مجتمع بسيط في معالجته لشئونه الحيوية والاجتماعية . فهو لا يعرف التعقيد في أموره، إذ قد وجد من تجاربه حلولاً بسيطة لمشاكله، وقنع بهذه الحلول .

ونظـــراً لصغر حجم المجتمع الريفي، فإن معظم الأشخاص معروفين تماماً فـــيما بيـــنهم، وكـــل فرد يعرف الآخر، ويعلم كل شيء عن مسئوليات الآخر وكفاءاته، ومستوى معيشته، ودخله، وذلك من خلال ظروف محاصيله، ومسكنه، وحظائره، وثروته الحيوانية .

ويتمـــيز المجـــتمع الـــريفي بالعزلة، وأفراده بالأمية، وعدم معرفة القراءة والكتابة، والتجانس، أو التشابه الثقافي، والبيولوجي . كما يتميز أفراده بالتضامن والتماسك .

- التجانـــــس :

يتســـم سكان المجتمع الريفي بالتجانس والاستقرار، والعزلة النسبية. وهي عـــزلة لا تتصل بالفرد، وإنما تنصب على الجماعة، ذلك أن العائلة في القرية تتكفل بدرجة ما بإشباع الحاجات الاقتصادية والاجتماعية لأعضائها، وتؤلف داخل القرية وحـــدة مستقلة ذات اكتفاء ذاتي . وعلى ذلك فسكان المجتمع الريفي متشابهون في سماتهم الفيزيقية، وأقل تفاوتاً فيما بينهم، والتشابه بينهم كبير .

- الســـــكان :

يصـــغر حجـــم الســـكان في المجتمع الريفي، وتقل كثافة السكان وعدد الســـكان في الكـــيلو متر / الميل المربع . وعلى ذلك فالعلاقة بين الكثافة السكانية والحـــياة الريفـــية علاقة سلبية . ونظراً لقلة عدد السكان في الريف تنشأ علاقات شخصية قوية وجهاً لوجه بين الأفراد .

ويتمـــيز البناء الاجتماعي في البيئة الريفية بارتفاع كبير في معدل المواليد، وارتفاع كذلك في معدلات الوفيات .

- الأســـــرة :

غالباً ما تكون الأسر الريفية مركبة تتصف بكبر الحجم وتشعب الروابط . ويرتـــبط بكبر حجم الأسرة التخلف، واعتماد الأسرة على أدوات بدائية، وانتشار الأمية، وانخفاض مستوى الدخل .

ومن ناحية أخرى هناك نوع من الضبط الداخلي الاجتماعي على أفرادها؛ مما يؤدى إلى انخفاض نسبة الانحراف والجريمة .

ونظراً لصغر حجم الأسرة الريفية، وقلة عدد السكان، تزداد فيها العلاقات الاجتماعية، مما يعمل على التماسك بين الأسر والعائلات .

- النسق الاقتصادي :

يعتمد المجتمع الريفي على الزراعة Farming في أساسه، وما يتصل بها مـــن أنشـــطة أخرى . وقيمة العمل الزراعي هي القيمة العليا، وتصبح أي حرفة أخـــرى أدنى قـــيمة منه . ولا يوجد في المجتمع الريفي مجال للتخصص . فالفلاح

يطحن قمحه ويقوم بخبزه، ويأكل الخضراوات من حقله، وينتقل من مكان إلى آخر على دابته، ويمارس جميع العمليات الزراعية في كافة مراحلها .

وقـــد يقوم بعض أفراد المجتمع الريفي بالصيد أو الرعي، وبعض الصناعات المعـــروفة باسم الصناعات الريفية، وهي صناعات يدوية تقوم على المواد الخام التي ينـــتجها الوســـط الريفي، ولا تستورد من الخارج مع استخدام آلات يدوية قليلة التكالـــيف لصـــناعة الخـــيزران والكراسي القش والحصر وغزل الصوف والقطن بواسطة الغزل اليدوي ونسجها بالأنوال اليدوية .

ومهـــنة الزراعة متكاملة تتطلب خبرات ومهارة ومعلومات بجميع مراحل العمـــل، مثل معرفة طبيعة التربة من حيث تركيبها وخصوبتها، ومتى تكون صالحة للزراعة، وما هي احتياجاتها المختلفة إلى الري، أو إلى إضافة مواد أخرى لتحسينها أو تقويـــتها، وما هي أنواع المسمدات والمخصبات التي تحتاجها التربة في حقله أو مزرعـــته، وأي كمـــيات يمكن إضافتها . وما هي أنواع التربة التي تصلح لزراعة محاصيل معينة أكثر من صلاحيتها لمحاصيل أخرى، ومتى ينبغي أن تمنح التربة فرصة للراحة واستعادة الخصوبة، وكيف يمكن القيام بذلك، وما هو افضل أسلوب لتنفيذ الدورة الزراعية .

ويـــتعين عـــلى المزارع كذلك أن يكون على خبرة ودراية بأنواع البذور والـــتقاوي الملائمة عن غيرها بالنسبة لأرضه . وينبغي عليه كذلك أن يكون على دراية بطرق مقاومة الآفات، والتسميد، والحصاد، وتسويق المنتجات . وهو يتعلم ذلـــك بالخـــبرة أي بالممارسة التي تنطوي على المحاولة والخطأ، كما يكتسبها من جيرانه، ومن المرشدين الزراعيين المسئولين عن تنمية منطقته .

ويتميز العمل الزراعي بأن المزارع يعيش عادة قريباً من مكان عمله، فإذا كان المزارعون يقطنون في حقولهم أو مزارعهم، أصبح البيت قريباً من موقع العمل اليومي .

ويعمـــل جـــيران المزارع في نوع مهنته . حيث يقضى المزارع حياته مع جـــيران مـــزارعين أيضـــاً مثله، لهم نفس أسلوب حياته اليومية تقريباً، في العمل، والطعام، وقضاء وقت الفراغ، مما يجعل جماعة الجوار لدى المزارعين متجانسة .

وقد أعتبر "ردفيلد **Redfield**" الزراعة هي المهنة الأساسية للفلاح، إذ كتـــب يقول : أن القروي نموذج يمثل طريقة في الحياة تعتمد على الزراعة . ويرى "**إريك وولف E. Wolf**" أن القرويين مزارعون ريفيون يقومون بإنتاج المحاصيل في القـــرية . وهم يشكلون جزءاً من مجتمع مركب، وأن القرية بالتالي هي أسلوب في الحياة يعتمد على الزراعة لتحقيق الاكتفاء الذاتي من أجل الاستثمار والربح (١).

وتســـود الأدوات البدائية اليدوية في الإنتاج الزراعي . وهي أساس العمل الزراعي . وينبغي على المزارع أن يكون على دراية تامة بطريقة استخدامها والعناية بهـــا، وصـــيانتها . وهي تشمل الجرارات، وأدوات الحصاد، والمولدات الكهربائية وآلات الحليب (٢) .

وتشمل الزراعة بمعناها الواسع زراعة المحصولات الزراعية إلى جانب تربية الحـــيوانات بغـــرض الاســـتهلاك الإنساني - أي(استعمالها في الطعام، وفي تصنيع الملابس، إلى جانب التسويق . وفي هذا المعنى يركز "**ريموند فيرث Raymond**

---

(١) أنظر د. عبد الهادي محمد والي - المرجع السابق، ص. ص ٧٤ - ٨٢ .

(٢) أعضاء هيئة التدريس . قسم الاجتماع - قطاعات العمل الاجتماعي - مداخل نظرية ودراسات ميدانية - الجزء الأول، ص ١٧٤ .

Firth" عـــلى الـــزراعة كمهـــنة أساسية للفلاحين . إلاّ أنه يستخدم المصطلح للإشارة إلى صغار المنتجين كصيادي السمك وأصحاب الحرف اليدوية الريفية .

هذا ويتعين على المزارع أن يكون على دراية باستخدام حيواناته وماشيته، ورعايـــتها والاهـــتمام بها، ويستشير الأطباء البيطريين وغيرهم من المتخصصين في العناية العملية بالحيوانات والدواجن .

ونظـــراً لعدم تمكن المزارع من استغلال الموارد الطبيعية الاستغلال الأمثل، تســـود المجـــتمعات الريفية البطالة الموسمية، والبطالة المقنعة، ويمارس الفلاح عدداً متنوعاً من الأعمال، فقد اكتسب خبرة في أعمال البناء والنجارة والنقل والحراسة .

- البيئة الطبيعية :

تســـود البيئة الطبيعية على البيئة الاجتماعية التي هي من صنع الإنسان في المجـــتمع الريفي . ويظهر بوضوح مدى تأثير البيئة الطبيعية في الريف وما يشتملها من الأرض، والشمس، والهواء، والمطر، والحرارة، والبرودة، والجفاف، على سلوك الإنسان . فالقروي يصعب عليه التحكم في البيئة الطبيعية، بل هي التي تتحكم فيه.

ومـــن الضـــروري أن يتم العمل الزراعي أو الرعي أو الصيد في الخلاء. ويتطلب ذلك مساحات كبيرة من الأرض . ويترتب على ذلك أن الفلاحين قريبين من الأرض الزراعية ومن الحيوانات، فتتأثر حياتهم بالظروف الجغرافية [١] .

---

(١) د. غريـــب سيد أحمد، ود. عبد الباسط محمد عبد المعطي - مجتمع القرية - دراسات وبحـــوث، ص. ص ٣ - ٤ .

- البطـــــالة :

تسود في المجتمعات الريفية مهنة الزراعة، وهي تتسم بعدم انتظام ساعات العمل . فهناك مواسم يعمل فيها المزارع ليلاً وظهراً، بينما توجد مواسم أخرى لا يـــزيد عمـــل المـــزارع فيها عن مجرد الإشراف على بعض العمليات البسيطة، أو الانتظار دون عمل .

وللـــنظام الـــزراعي أنـــواع من المحاصيل، وهي تتبع دورة زراعية محددة، وتـــزرع في مواسم معينة، وبعد الحصاد والتسويق يبقى الفلاح بلا عمل، مما ينجم عـــنه أن الطلـــب على العمل يكـــون متغيراً، وموسمياً حسب توقيت القيام بكل عملية من العمليات الزراعية .

ونتـــيجة لذلـــك تظهـــر الـــبطالة في الريف وهي نوعان : بطالة موسمية Seasonal Unemployment تنشـــأ عن عدم انتظام العمل الزراعي، مما يعنى أن البطالة تكون في مواسم يقل أو ينعدم فيها العمل الزراعي . إلاّ أن هذا لا يمنع من وجود البطالة الموسمية في المدن، فعلى سبيل المثال - يزيد العمل في مواسم الصيف ويقل في مواسم الشتاء . وعلى ذلك تسود البطالة الموسمية المصانع الغازية .

أمـــا الـــنوع الثاني من البطالة، فهو البطالة المقنعة أو الخفية Hidden Unemployment ، وتعـــنى بذلـــك العمل الزراعي الذي يقوم به عدد من العاملين أكثر مما يحتاجه العمل . وتعمل البطالة المقنعة على هجرة الكثير من سكان الريف إلى المدن .

- الشئون السياسية :

غالباً ما يسيطر أبناء الطبقة العليا في تلك المجتمعات على جهاز الحكم .

- النظام الإداري :

لا يــزال الــنظام الإداري في الريف بدائياً، ويسيطر عليه النزعات القبلية والأسرية .

- النسق التعليمي :

يتصف النسق التعليمي في المجتمعات الريفية بارتفاع نسبة الأمية، والتسرب بــين تلامــيذ المرحلة الابتدائية، ووجود تفاوت في التعليم بين الذكور والإناث، علاوة على نقص كبير في عدد المدرسين (١) .

- النسق الصحي :

ويتوفر في العمل الزراعي ظروف الجو الصحي . فالفلاح يعمل في الحقل والهــواء الطلق والشمس . وهو عادة - إذا استثنينا بعض المناطق حيث الأمراض المتوطــنة المنتشــرة عن طريق مياه الري وغيرها - يتمتع بصحة أوفر من عمله مما يتمتع به العمال الآخرون في الصناعات الأخرى.

- الديــــن :

يعتــبر ســكان الــريف أكثر تديناً، واعتماداً على الله في حياقم اليومية ونشــاطهم الــزراعي . فالــزراعة تجعلهم أكثر قرباً من الشعور بقوة الله سبحانه وتعالى. فتلك البذرة تتحول إلى نبات . وهذه الكائنات من حشرات ونباتات التي تعيش حولهم يعرفون دورة حياتها . والجو والشمس والقمر والكواكب، كل هذه الأشياء المحيطة بهم تذكرهم بقدرة الله سبحانه وتعالى على الخلق والإبداع .

(١) أنظر د. ماهر عبد الوهاب الملاح - تنمية المجتمعات المحلية، ص. ص ٩٨ - ١٠٠ .

ويشعر المزارع بأنه في حاجة إلى الله كي يساعده في إنتاجية الزراعة فكمية الإنــتاج الــزراعي تتأثر بعوامل طبيعية كالمطر والصقيع والرياح والآفات، وهذه خارجــة عــن إرادة المزارع . والفلاح يقوم بواجبه، ولكنه لا يستطيع أن يضمن محصوله، فلربما أصابته حشرة أو مرض، أو ربما أصابه الجفاف والصقيع . كل هذا جعل سكان الريف أكثر تديناً .

ولكن هذا التدين القوي قد يؤدى إلى الإيمان بالقضاء والقدر، حيث يعزو الأمور إلى قدرة الخالق، فهو لا يذهب بعيداً وراء دراسة الأسباب التي كانت سبباً في ظواهــر معينة، حتى لو عادت إليه بالنفع ليستغلها في حياته، أو إذا كانت ذات نــتائج ضـــارة ليبتعد عنها . وعلى ذلك تنتشر الاتكالية بين المزارعين، ولا يتوافر التخطيط للمشاكل والكوارث التي تصيبهم .

– المعايير الاجتماعية Norms :

وهي القواعد التي تحدد ماذا يجب على الفرد أن يفعل، وتحدد كذلك ما لا يجــب أن يفعله أو يفكر فيه أو يقوله في المواقف الاجتماعية المختلفة . وتتمثل في العادات والعرف والتقاليد والقيم والأفكار والمعتقدات . وهي تحكم المجتمع الريفي، حيث يعيش أهله حياهم الخاصة متأثرين بها وهم يحافظون عليها أثناء حياهم .

فــالفلاحون يحكمهم قيم الكرم والشهامة . والفلاح يكرم ضيفه ويحتفي بـــه، ويساعد الغريب، والشخص الطارئ الذي لا حول له .. وهذه القيم هي قيم ســكان الصــحاري، وبــلاد الإسكيمو . وهناك عقوبات تنتظر من يخالف هذه العادات والتقاليد . وتختلف العقوبة حسب اختلاف قوة التقاليد .

ويسود المجتمع الريفي قيمة القناعة، من حيث الرضا بالأمر الواقع وبساطة الحياة وبساطة المطالب . وترتبط هذه القيمة ببعض القيم والعقائد الدينية (١) .

والريف جماعة أولية تنتشر بين أفرادها علاقات الوجه للوجه، فكل فرد في المجتمع الريفي يعرف الآخر معرفة شخصية . لذلك فإن أساليب الضبط الاجتماعي غير الرسمية أكثر كفاءة ومقدرة .

والواقع أن أساليب الضبط الاجتماعي غير الرسمي أكثر كفاءة ومقدرة في الرقابة على سلوك الأفراد من الأساليب الرسمية . وهي بجانب ذلك غير مكلفة من الناحية المادية، وذلك بعكس أساليب الضبط الرسمي التي تكلف أموالاً .

وتسود المجتمعات الريفية بعض القيم السلبية مثل القدرية والتعصب والإتكالية وعدم الاهتمام بعنصر الزمن، وتدور القيم الأساسية لدى الفلاحين حول الأرض والأولاد . فالأرض لها قيمة عظمى لأنها مصدر الدخل . أما الأولاد فهم يمثلون القوة الإنتاجية والقوة الاجتماعية. ولهذا يحرص الفلاح على أن يكون له أكبر عدد من الأولاد خاصة الذكور .

وتظهر المسئولية الجمعية في المجتمع القروي، فالجريمة لا يحاسب مرتكبها وإنما تحاسب العائلة أو الجماعة التي ينتمي إليها الجاني .

- العمليات الاجتماعية :

تتميز العلاقات الاجتماعية بأنها علاقات مباشرة وقوية تقوم على أساس معرفة وثيقة وتشابه المهنة والمسئوليات والتعاون والصراع يحدث بين أطراف

(١) د. إيمان شومان - دراسات في علم الاجتماع الريفي، ص. ص ٣٩٨ - ٣٩٩ .

مـــتفاعلة يعرفون بعضهم بعضاً . والتعاون تلقائي يحدث في دائرة القرابة، ثم على مستوى القرية، وذلك في مختلف المناسبات الزراعية والاجتماعية .

وفي القرية يتبادل الأهالي الآلات ويستعيرونها من بعضهم . ويتضح مدى التعاون في المناسبات كحلول ضيوف على الأسرة أو في الأفراح، وفي المآتم .

ومـــن المعـــروف أن هذا التعاون المتبادل لا يتوافر في المدينة إلاّ في بعض الأحـــياء الشـــعبية ذات الطابع الريفي أو بين أسر محدودة أتاحت لها الظروف أن تتعارف معرفة وثيقة ببعضها لفترة طويلة من الوقت . أما فيما عدا ذلك فإن الأسر في المدينة تكاد لا تتعارف على جيرانها إن لم تكن لا تتعارف فعلاً .

– البناء الطبقي :

لا يخلـــو المجـــتمعي الريفي من الطبقات . والمركز الاجتماعي في الريف مـــتوارث ويمثل الطبقات الاجتماعية في الريف إلى أن تكون محددة وواضحة وهي تتجه إلى الوسط، أو تكون طبقات متوسطة . وقل أن تجد في المجتمع القروي أمثلة للثراء الفاحش، أو الفقر المدقع .

والطـــبقات في الريف غير متداخلة، وتوجد بينها فروق اجتماعية كبيرة، فالفرق واضح بين الطبقة العليا الغنية، والطبقة الدنيا الفقيرة .

والحراك الاجتماعي أقل حدوثاً في المجتمع الريفي، حيث لا يعرف المجتمع الريفي الحراك الاجتماعي إلاّ نادراً .

– التغير الاجتماعي :

مـــن المعـــروف أن أهل الريف محافظون بطبيعتهم ولا يقبلون الجديد من أساليب بسهولة، ولذلك يعتبر التغير الاجتماعي في المناطق الريفية بطيئا .

ويتمتع أهل الريف بسمات نفسية، نذكر بعضها على النحو التالي:-

- الذكـــــاء :

الذكاء هو عبارة عن العمليات العقلية التي يحسب أن يستخدمها الفرد في الوصول إلى أهدافه في الحياة . وللذكاء جانبان جانب فطري وجانب مكتسب، أما الجانب الفطري فيتكون عن طريق الوراثة وأما الجانب المكتسب فيتكون عن طريق الخبرات التي يكتسبها الفرد من بيئته ونهج الحياة الذي يعيشون فيه .

ويذهـــب بعض علماء النفس إلى أن أهل الريف أقل ذكاء من أهل المدن ويستدلون على ذلك بالنتائج التي يحصلون عليها من استعمال مقاييس الذكاء .

- الإنطواء :

تتجلى صفة الانطواء في المجتمع الريفي حيث تتسم الصفات النفسية للفرد والجماعة بالانطواء لأن الفرد والجماعة كل منهم يعيش في حدود شعوره وتفكيره الخـــاص بالـــرغم من وجود روابط اجتماعية قوية في المجتمع بين الفرد وغيره من الأفـــراد وتحملـــه مسئوليات في حياته الاجتماعية . ولكن مع ذلك نجد أن الفلاح مـــنطوي عـــلى نفسه ويعيش في عزلة عقلية . لهذا يمكن القول بأن المجتمع المحلي الـــريفي مغلق على ذاته والعائلة هي نقطة الارتكاز في القرية فهي تعتبر كوحدة لها تفكيرهـــا الخاص أي تفكر بعقل واحد ثم تسعى إلى حل مشاكلها عن طريق رب أسرتها أو المسئولون فيها . وفيما بين أفرادها تميل إلى التعـــــاون والتشاور [١].

---

(١) أنظر د. إيمان شومان – المرجع السابق، ص ١٦٢ .
وأنظر د. حسن همام – علم الاجتماع الريفي والحضري، ص. ص ٤٨ – ٥٢ .

الفصل السابع

تطور المجتمعات الريفية

كانـــت الحياة الريفية حقيقة واقعة مستمرة قبل العصر الذي صيغ فيه هذا المصـــطلح . وقـــد استطاع علماء الاجتماع أن يحددوا خطوات التطور في الحياة الإنســـانية على ضوء الوسائل التي تتبع من أجل إشباع الاحتياجات الإنسانية .. ففي المجتمعات الأولى والمجتمعات البدائية كان الإنسان يقوم بالعمل والسوط يلهب ظهـــره، وتحمـــل ضـــغط الحياة، وأذل نفسه لصاحب العمل للحصول على لقمة العـــيش، وظل يتطور إلى أعقد صورة في المجتمعات الحديثة، حيث اصطبغ العمل بصبغة إنسانية عندما تكونت النقابات المهنية لتدافع عن حقوق العمال .

– مرحلة جمع الثمار وصيد الحيوانات :

قنع الإنسان الأول منذ العصر القديم، وفي قديم الزمان بما تجود به الطبيعة . فقـــام بقطـــف الثمار، وجذور النباتات وأوراق الشجر والقواقع والحشرات لسد حاجاتـــه الغذائية . وقام الإنسان كذلك بصيد الأسماك والحيوانات البرية . وكان أفراد المجتمع ينتقلون من مكان إلى آخر بحثاً عن موارد الرزق .

وفي هـــذه المرحلة لم يكن لدى الفرد من الآلات اللازمة للصيد أو الجمع ســـوى مـــا تجـــود بـــه الطبيعة عليه من فروع الأشجار وقرون الحيوانات وقطع الأحجار.

وإذا مـــا استطاع الإنسان أن يصطاد الحيوانات، أكلها نيئة هو وأولاده، وإذا لم يجدها لا يذوق طعم اللحم .

وكـــان ســـلوك الفرد في هذه المرحلة فطرياً، واستجابة للدوافع الفطرية، وذلـــك بالإضافة إلى التجارب التي تنتقل من جيل إلى آخر، ويتوارثها الأبناء عن الآباء، كطريقة الصيد أو تربية الأطفال، ويتراوح عدد أفراد الجماعة في هذه المرحلة بين عشرة أفراد ومائة يعيشون معاً في صعيد واحد .

ويوجد في هذه المجتمعات نوع من تقسيم العمل . وهذا التقسيم لا يتصل بـــالقدرات والمواهـــب، ولا بما يتصف به كل جنس من صفات، وإنما يرجع إلى الاصـــطلاح والعرف . فهناك تقسيم عمل بين الرجال والنساء . فقد كان الرجال يتركون زوجاتهم في الكهوف، ويذهبون باحثين عن حيوان يصطادونه مثل الماعز . أما النساء فكن يقمن بقطف الثمار .

وكـــان هـــناك حرف يقوم بها الرجال، وأخرى يتولاها النساء . فصناعة الجلود ودبغها ليست من الحرف التي تلائم المرأة، ومع ذلك يتخصص النساء فيها عـــند معظم قبائل الهنود في أمريكا الشمالية . وعلى العكس من ذلك نجد أن هذه الحرفة نفسها يمارسها رجال في الجنوب الغربي من هذه القارة .

وعـــند قبائل الهوبي في الأريزونا يقوم الرجال بالغزل والنسيج، بينما يقوم النســـاء بهـــذه الحرفة في القبائل المجاورة . وعلى وجه العموم يقوم الرجال بأعمال الحفـــر وصناعة المعادن والأسلحة، بينما يقوم النساء بأعمال صناعة الخزف . كما يوجـــد في هـــذه القبائل البدائية رجال حدادون وبناءون للقوارب . وفي بوليتريا متخصصون في الوشم وأعمال الحفر والنقش .

ويتميز الشكل الاقتصادي في هذه المرحلة بالاكتفاء الذاتي، وما يتبقى من الإنتاج يتم تبادله عن طريق المقايضة . وكانت الملكية جماعية .

ونظراً لقلة حيوانات الصيد، كانت المجاعات تنتشر بين الجماعات، وتزداد تبعاً لذلك نسبة الوفيات .

وفي هذه المرحلة تعلم الإنسان كيف يقيم مأوى أو مسكن داخل الكهوف أو في حفـــرة في باطن الأرض، أو في جذع شجرة كبيرة، أو خلف بعض النباتات الكثيفة لتحميه من حيوانات الغابة أثناء نومه (١) .

وجديـــر بالذكـــر أن هناك بعض المجتمعات لا تزال تعيش على نفس هذا الـــنظام، وذلك كقبائل الأندمان الواقعة في خليج البنغاب بين الهند والهند الصينية، وقبائل الهنود الحمر (الشوشون) في أمريكا الشمالية، فقد كانوا ينتقلون من مكان إلى آخـــر أثناء فصول السنة بحثاً عن الجذور والنباتات والثمار، وقبائل الأقزام في إفريقيا، وبعض قبائل جنوب إفريقيا.

- مرحلة الرعي :

انتقل الإنسان إلى هذه المرحلة عقب مرحلة الصيد، فبعد أن تمكن الإنسان من استئناس الحيوانات التي كانت تساعده في أغراض الصيد والقنص، مثل الكلاب والخـــيول، تمكن من أن يربي الحيوانات ويعتني بها، وأصبح يعيش من نتاج ماشيته، وتقدمت الجماعات الإنسانية خطوة كبيرة نحو التنظيم والخضوع لرئيس واحد، هو رئـــيس القبيلة . وفي هذه المرحلة أصبح الإنسان منتجاً ومستهلكاً بتربيته للماشية، يزيد من عددها وإنتاجها .

ومـــارس الإنســـان في هـــذه المرحلة بعض الصناعات الخفيفة مثل غزل الصـــوف ونسجه، واتسعت حضارته، وأصبح يلبس المنسوجات الصوفية بدلاً من جلود الحيوانات .

---

(١) أنظر د. عبد المنعم شوقي – محاضرات في التنمية الريفية، ص. ص ٣٠ – ٣٣ .

وتعلم الإنسان في هذه المرحلة أن يبنى الأكواخ لحماية الحيوان من أعدائه، ويعـــيش بداخـــلها بدلاً من عيشته داخل الكهوف والخيام . وتتميز هذه المرحلة بالتـــنقل، فكانت الجماعة تنتقل وراء المرعى، حيث تعيش على المراعى الطبيعية، وبذلك ينتفع الناس بمنتجات الحيوان نتيجة الرعي المنتظم واستئناس الحيوان .

- مرحلة الزراعة :

نشـــأت الزراعة في منطقة الشرق الأوسط، وبدأت المجتمعات الريفية في الظهور عند وديان الأنهار في مصر وبابل والشام وإيران، إذ تمثل هذه البلدان أقدم مراكـــز اكتشاف الزراعة . فقد اخترعت فيها الزراعة منذ فترة تتراوح بين (٢٠ ألف)، (١٠ آلاف سنة) ماضية .

فلقـــد تتبع أحد المصريين في هذه الفترة نباتاً ينمو طبيعياً ويخرج سنابله، وأدرك أنـــه إذا رمـــى حـــبة من السنبلة إلى الأرض تنتج نباتاً ينمو ويخرج سنابل جديدة.. ومن هنا عرف المصريون الزراعة وانتقلوا إلى أماكن قريبة من النيل يبنون القرى ويزرعون الأرض ويروونها من ماء النيل . وبعد ذلك أخذت أساليب الزراعة وفنونها تتقدم وتنتشر في أنحاء العالم [(١)] .

وقد عرف الإنسان خلال هذه المرحلة كيفية التحكم في إنتاجه، كما تعلم فكرة التخزين لأول مرة خاصة بعد أن زادت حاصلاته عن استهلاكه .

وفي هـــذه المرحلة ارتبطت حياة الإنسان بالأرض واستقرت حياته فيها، ومارس التعاون مع أفراد قبيلته في بناء السدود وحرث الأرض . وظهر أول تقسيم للعمل بين المزارعين واتسعت حضارة المجتمع .

---

(١) د. محمد عاطف غيث - أسس وموضوعات علم الاجتماع، ص ٣٩٨ .

و لم تكن عملية اكتشاف الزراعة واستئناس الحيوان سهلة، بل اقتضت من الإنســـان جهداً حتى تمكن من التعرف على عمليات الحرث والبذر والري وجني المحصـــول والـــدراس والطحـــن . كما اقتضت منه المثابرة والصيد حتى تمكن من استئناس بعض الحيوانات .

وقـــد أدت مهنة الزراعة، واعتدال المناخ، وتوافر مياه الأنهار إلى أن يقيم الإنسان بجوار الحقول التي يزرعها . وأقام القرويـــــون في بيوت من التبن والطين، أو الفـــروع الصـــغيرة من الأشجار . ومن هنا نشأت القرية، وكانت تضم عدداً ضـــئيلاً مـــن الأفراد، ما بين (٢٠٠ - ٣٠٠) فرد . وكانوا يستخدمون أدوات وأســـاليب بدائية . وبفضل إدخال بعض التحسينات في الزراعة كبر حجم بعض القرى .

وأخـــذ الإنسان خلال هذه المرحلة يتدرج في مدارج الحضارة، وتعددت اختراعاته . وابتدأ الإنسان في هذه المرحلة في أن يستخدم الحيوان في حرث الأرض وريها، وحمل الأثقال . كما بدأ في استخدام قوى الماء والرياح في عملياته الإنتاجية مثل الطحن ونقل الحاصلات، وتخزينها، وطرق التسويق .

وعرفت تلك المجتمعات التعاون في العمل، واتسم إنتاجها بالاكتفاء الذاتي، فهـــي تنـــتج عـــلى قدر ما تستهلكه، ولا تعرف البيع ولا الشراء . وقد تستخدم المقايضـــة والهدايا كوسيلة للتبادل . وقد نجم عن هذا الأسلوب الإنتاجي بعد أن ضاقت السوق المحلية وضاق نطاق المعاملات التجارية وأساليب التداول .

وكانـــت الملكـــية في هـــذه المرحلة عامة - إذ كانت الأرض مشاعاً بين الجمـــيع. فلم يكن لأحد أن يقول هذه الأرض ارضي أو تلك الشجرة شجرتي . وقـــد تكون ملكية الأرض مشاركة بين القبيلة والعشيرة والأسرة، ويقسم المحصول

بينها تبعاً للعرف، وإن كانت القسمة ليست متساوية . ومع ذلك فإن الملكية لا تصل إلى الصورة الفردية الخالصة للأرض .

أما الملكية الخاصة فكانت تتعلق بالأشياء الخاصة كالملبس والكوخ أو جزء منه، أو أدوات العمل .

وقد عرفت اليونان عصراً زراعياً ذهبياً من عصور الزراعة وكانت الأرض يملكها ويزرعها فلاحون أحراراً . وعندما اتجهت الحكومة في استنباط نظام اقتصادي عادل يضمن مصالح الفلاحين تدهورت حالة هؤلاء، وغرقوا في الديون وتحولت الأرض إلى أيدي الممولين، وأصبح أصحابها القدماء يعملون فيها كعبيد مسخرين، وانحدر الكثير منهم إلى المدن فانحطت الزراعة .

وفي العصر الروماني تحسنت الحالة الزراعية، ويقال أن جميع الحيوانات المستأنسة التي عرفت في أوربا قبل اكتشاف أمريكا قد استأنست في ذلك العصر، كما عرفت أيضاً معظم الحاصلات والفاكهة . وقد عرف الرومان وسائل الري والصرف وانتقاء البذرة والدورة الزراعية حسب الفصول .

ولكن انتشار الروح الحربية والفتوحات واستخدام أسرى الحرب في خدمة الأرض، ومصادرة الأراضي لأتفه الأسباب، كل هذه العوامل أدت بالزراعة إلى الانحطاط، وأصابت صغار المزارعين بالخراب، وكان هذه السياسة الزراعية الخاطئة سبباً في هجرة الفلاحين إلى المدن .

- المجتمعات الريفية في العصور الوسطى (القرن ٨م - ١٥م) :

مرت المجتمعات الريفية في العصور الوسطى بفترتين متباينتين :

الأولى : الفترة التي سبقت ظهور النظام الإقطاعي **Feudalism**

والثانية: هي التي ترتبت على هذا النظام .

أمـــا الفـــترة الأولى فقـــد ساد فيها نظام قرية المزرعة **The Farm Village System** . وكانـــت القـــرية بهـــذا المعـــنى تشتمل على عدد من الأكـــــواخ تتراوح بين (١٠ و ٥٠) يخترقها شارع أو شارعان، وكان يختار موقع بـــناء القرية عادة بجانب أحد الأنهار أو القنوات، وكانت المنازل عبارة عن أكواخ مـــن حجرة واحدة تبنى من جذوع الشجر وتغطى بالطين . وكانت أرض الكوخ من التراب لا نوافذ لها ولا مداخل .

أمـــا الأرض الزراعية فقد كانت بطبيعة الحال خارج هذه القرية الصغيرة وعـــلى مقـــربة منها، ولم يكن يعرف في كثير من المجتمعات حتى ذلك الحين نظام الملكـــية الخاصـــة بالنسبة للأرض، فكان سكان القرية يزرعون الأرض التي تخص قريـــتهم لحســـاب المجموعة كلها، وكانت كذلك أراضى المرعى والغابات حيث يذهـــب الأفـــراد لجمـــع الأخشاب اللازمة للتدفئة والوقود، وكانت هذه المراعى والغابـــات ملكـــاً للجميع . على أن ذلك لم يمنع من تقسيم الأراضي للزراعة بين الأســـر والأشـــخاص، وكان هذا التقسيم يتفق عليه ودياً بين أهل القرية جميعاً، وتراعى فيه المساواة والعدالة ما أمكن، بحيث يتساوى الجميع على قدر الإمكان في مســـاحة الأرض التي يزرعونها وفي جودتها أيضاً . ولهذا كانت تقسم الأرض إلى قطـــع كـــبيرة، ثم تقسم كل قطعة بدورها إلى عدد من الأحواض المستطيلة تبلغ مساحة كل منها نصف هكتار . ولم يكن الفلاح يأخذ ما يخصه قطعة واحدة، بل كـــان يـــأخذ أرضـــه موزعة . وكان الغرض من ذلك هو توزيع الأراضي الجيدة والفقيرة بين الجميع بالتساوي، وكان نظام الزراعة هو النظام الثنائي **Tous Les**

Deuxans Dysteme Biennial بحيـــث تزرع نصف الأرض فقط كل عـــام بالتـــبادل ويترك النصف الآخر للمرعى حتى لا تجهد الأرض وتظل محتفظة بخصوبتها .

وكانت تقام في القرية دورة اجتماعية لتصريف شئونها، وكانت الأحكام الـــتي تصـــدر كلها أحكام محلية خاصة بنظام الزراعة أو إصلاح بعض المرافق أو تسوية التراع بين الفريقين المتخاصمين .

وعـــلى ذلك يمكن القول : أن القرية في ذلك الوقت كانت وحدة تتمتع بقـــدر من الحكم الذاتي، ولكن هذا النظام ما لبث أن قضي عليه النظام الإقطاعي الـــذي ظهر في أوربا في القرن العاشر تقريباً . ويرجع أصل النظـــام الإقطاعي إلى ظهـــور نـــوع مـــن العلاقة الشخصية يتعاقد عليها رجلان : من الأحرار السيد Seigneur أو Suzerain والـــتابع Vassal . إذ يتعهد الأول بحماية الثاني نظـــير أن يتـــنازل له الثاني عن بعض الامتيازات التي تتعلق بالأرض . وما لبث أن أصـــبحت هذه الامتيـــازات التي كانت تقوم في بادئ الأمر على نوع من التعاقد، وراثـــية، واســـتقل كل سيد بإقطاعية كبيرة وأصبح فيها الحاكم المطلق، ويصرف شئونها كيفما أراد . وقد ترتب على النظام الإقطاعي نوعان من الحقوق يتمتع بها الإشراف .

١ - حقوق إقطاعية ناتجة عن تنازل الفلاحين عن حقوقهم في أراضيهم .

٢ - وحقوق سياسية حيث استولى الإشراف على كل مصادر السلطة، و لم تبق لـــلملاك إلاّ نوع من السلطة النظرية، أما السلطة الفعلية فكانت في أيدي الإشـــراف أو أصحاب الإقطاعيات . وأصبح الفلاحون أرقاء يعملون في الأرض ولا يستطيعون التحرر من عبوديتهـــم وكانوا في حالة يرثى لها من

الجهل حيث لم يكن هناك تعليم ولا مدارس، وكانت حياتهم تخضع للكثير مـــن الخرافات التي كانت تقيد عقليتهم وتمنعهم من التقدم . وقد كانت الحيـــاة المادية ومصالحهم الشخصية تقضى في بعض الأحيان أن يتخلصوا مـــن الجمود في تصرفاتهم، ولكنهم لم يكونوا ميالين إلى التغيير في أساليب معيشـــتهم . من ذلك أن الانتقال من نظام الثنائية إلى نظام الثـــلاثية في الـــزراعة قد أستغرق أجيالاً عديدة قبل الأخذ به نهائياً مع ما فيه من فائدة واضـــحة للفـــلاح، إذ أن النظام الثنائي كان يعطل نصف الأرض سنوياً، عـــلى أن الـــنظام الثلاثي كان يعطل ثلث الأرض فقط، وهذا الانحطاط المـــادي والعقلي مرجعه إلى حرمان الفلاح من الاشتراك في إدارة شئونه الخاصة فقتل في نفسه كل نزعة إلى الابتكار .

— الحياة الريفية في العصور الحديثة :

تطـــورت الحياة الريفية في العصور الحديثة تطوراً عظيماً . ولكنها لم تكن قـــبل اخـــتراع الآلات البخارية والسكك الحديدية، أي حتى أواسط القرن التاسع عشر، على ما هي عليه الآن .

وقـــد وصـــف الكاتـــب الأمـــريكي **"جون موريس جيليت John Morris Gilette"** بمـــا تعانـــيه ربة المترل في المزرعة الأمريكية حتى أواسط القرن التاسع عشر من مشقة في الحصول على ملابس أفراد الأسرة، فكانت معظم الثـــياب تغـــزل وتنسج باليد و**"بالنول"** وتقوم بتفصيلها بيدها. أما الطعام فكانت المدفأة الوسيلة الوحيدة لطهيه أو المكان المعد للوقود **"موقد"** أو **"كانون"** . وفوق ذلـــك فقـــد كانت ربة المترل تقوم أيضاً بحفـــظ اللحوم والأطعمة للاستهلاك في

فصـــل الشـــتاء . وعلى العموم فإن النســـاء والرجال جميعاً كانوا دائماً في عمل مستمر لأن معظم الحاجيات التي تصنع اليوم في المصانع كان الفلاح يصنعها بيده .

أمـــا التعلـــيم فقد كانت نسبته ضئيلة جداً، وكان الأولاد يعلمون خلال نصف شهور السنة، والمدرسون كانوا يقومون غالباً بتعليم الأطفال نظير أن تتكفل الأسرة بإيوائهم وإطعامهم كل بدوره .

هذا وقد قضت الحرية السياسية على الفوارق الشاسعة بين الطبقات وعلى اســـتعباد الإشـــراف للفلاحين . أما العامل الثاني وهو الملكية الخاصة، فقد حقق العدالة الاجتماعية ورفع مستوى الفلاح [1] .

— عوامل تغير الحياة الريفية :

وفي العصـــور الحديـــثة أدت عوامل التكنولوجيا، والتغيرات السكانية إلى تغيرات في الحياة الريفية نوجزها في الآتي :-

— **أدت الـــثورة التكنولوجية** التي تتمثل في اختراع الآلات ذات الاحتراق الداخلي، واستخدامها في العربات، والجرارات، والطائرات - إلى تغيرات عميقة في المجـــتمعات الـــتي استخدمتها . وبعد أن كانت المجتمعات الريفية تعيش في عزلة، أصبحت في أغلب المجتمعات على اتصال دائم وسريع ببقية أنحاء المجامع .

— **وأدى اختراع الآلات والماكينات الزراعية الحديثة** إلى تقليل الحاجة إلى العمـــل الإنساني في إنتاج المحاصيل مما دفع بالبعض إلى الاتجاه نحو ممارسة مهن غير زراعية، ومهد الطريق أمام الهجرة المتزايدة لعمال الزراعة .

(١) أنظر د. على فواد أحمد - المرجع السابق، ص. ص ٤٨ - ٥١ .

- **ومـــن أهم التغيرات التكنولوجية** التي كان لها تأثيرها الواضح على الحياة الريفـــية إدخـــال الكهرباء وأجهزة الاتصال الحديثة، ومع كهربة الريف، أدخلت الأجهزة والماكينات التي غيرت شكل الحياة الريفية، ومن أهمها استخدام الكهرباء في الإضاءة، وفي تشغيل الثلاجات وأجهزة التبريد، والغسالات الكهربائية .

- **ولعـــب دخول الكهرباء وما نجم عنها** دخول التلفزيون لحياة القرية دوراً سلبياً في تغير طبيعة ممارســـة العمل الزراعي، إذ اعتاد الكثير من الفلاحين الســـهر أمام التلفزيون حتى وقت متأخر من الليل لمشـــاهدة برامجه المختلفة، مما ترتب عليه استيقاظ الفلاح من نومه متأخراً، وذهابه إلى أرضه بكسل وتراخ، على عكس ما كـــان يحدث من قبل . حيث كان من المألوف أن يستيقظ الفلاح في الفجر ليقبل على عمله مبـــكراً في نشاط وحيوية، ويظل في أرضه يرعى زرعه وماشـــيته حتى وقـــت متأخر من اليوم، حيث يعود بعده يتناول عشاءه ويقيم صلاته وينام مبكراً ليســـتيقظ في فجر اليوم التالي وهكذا .. وهذا عكس ما يحدث اليوم، بل إننا نجد الـــيوم بعض الفلاحين يحرصون على العودة إلى بيوتهم وقت الظهيرة لمتابعة بعض الـــبرامج الـــتي اعتادوا عليها في التلفزيون، أو لقضاء بعض ساعات الراحة نتيجة للشـــعور بالإجهـــاد من تأثير السهر أمام التلفزيون، وعلى هذا نستطيع القول أن التلفزيون قد أثر على أسلوب الحياة برمته وعلى طبيعة العمل الزراعي، الأمر الذي ترتب عليه اختصار ساعات العمل المخصصة للزراعة .

- **وأدى تقـــدم البحـــث العـــلمي في مجال الاستزراع وتربية الحيوانات الزراعـــية** إلى استحداث أساليب جديدة لتلقيح الصناعي للنبات والحيوان، وتقدم الاقتصـــاديات الزراعية، وتطور أساليب معالجة أمراض النبات والحيوان، ونمو علم الحشرات، وما إلى ذلك مما كان له أثر في زيادة كفاءة المنتجين الزراعيين .

وقد حدث توسع في أنماط الاستهلاك في القرية - فقد اتسعت قائمة غذاء الريفي اليومي لتشمل أنماط أخرى مثل الجبن واللحوم المصنفة والفاكهة والحلويات والمربى .

- **الملكية والأرض الزراعية :** يذهب معظم العلماء إلى أن الملكية تعتبر أحد الأنمــاط الثقافية العامة التي عرفتها كل المجتمعات البشرية في مختلف مراحل التطور الاجــتماعي والثقافي، وإن اختلفت نظم الملكية من مكان إلى آخر في التفاصيل .. ولكن الملكية كنظام لم تظهر إلاّ في مرحلة متأخرة نسبياً من تاريخ الإنســانية .. وتعتبر ملكية الأرض أهم شكل من أشكال الملكية في المجتمع الزراعي .

الباب الثالث

البناء الاجتماعي
للمجتمع المحلي الريفي

الفصل الثامن

السكان في المجتمع الريفي

السكان هم كتلة بشرية، وجسم بشري . إنه بناء ليس ثابت، ولكنه يتسم بالـــتغير الديناميكي . فهو ينمو ويتحرك عبر الزمن، وذلك بالزيادة الطبيعية، وهي الفارق بين عدد المواليد والوفيات، وكذلك الهجرة من مكان إلى آخر .

هـــذا هـــو مجـــال الدراســـة في علم السكان The Science of Population ، ويعـــرفه البعض بأنه الدراسة العلمية للسكان من حيث الحجم والبناء والنمو [١] .

والسكان هم عصب الدولة، ودعامتها الرئيسية، وأهم عناصر مكوناتها . والسكان هم المبدعون لهذه الحياة، حيث تتأثر الحياة الاجتماعية بخصائص السكان مـــن حيث عددهم وجنسهم وحالتهم الزوجية والتعليمية والدينية والمهنية إلى غير ذلـــك مـــن الخواص . كما أن هذه الخواص لها آثارها المباشرة على نوع وطبيعة العلاقـــات الإنسانية السائدة، ونشاط السكان في المجتمع . كما أنها تؤثر في جميع مـــنظمات المجـــتمع الاقتصادية والاجتماعية والإدارية والتعليمية والترفيهية والبيئية والصحية [٢] .

---

(١) د. حسين عبد الحميد أحمد رشوان - السكان من منظور علم الاجتماع، ص ٤ .

(٢) أنظر حسن علي حسن - الريف والحضر، ص ٧٥ .

والـــنمو الســـكاني مجال اهتمام كبير اليوم، خاصة في العالم الثالث، وهو أحـــياناً يُعـــد مؤشـــراً، وعاملاً هاماً مشجعاً على النمو الاقتصادي . وينتج النمو الســـكاني مـــن زيادة عدد المواليد عن الوفيات، ومن هجرة أو حركة الناس بين الأقالـــيم، أو بـــين الـــدول . فالزيادة الطبيعية في السكان هي الفرق بين المواليد والوفـــيات وهي تحدث لسببين : **الأول** : التحسن في السيطرة على الأمراض من خلال تحسين الرعاية الصحية، والصحة العامة، **والثاني** : تحسن في مستوى التغذية بالنسبة لكل السكان .

وتؤثر الهجرة كذلك في النمو السكاني . وهي تعتبر عاملاً اجتماعياً هاماً يؤثـــر في مستويات السكان في بلد معين . ويمكن أن يشكل معضـــلة للبلاد التي تســـتقبل مـــئات الآلاف مـــن اللاجـــئين في أوقات الحرب، أو المهاجرين الذين يبحثـــون عن إثراء فرص حياتهم بترك بلادهم الأصلية التي أصـــابها الفقر . ولأن الفقر، والحرب عمليات مروعة وروتينية في العالم الثالث اليوم . فليس من المدهش أن نجد معدلات هائلة للهجرة داخل هذا العالم [١] .

وحجم السكان هو مجموع الأفراد الأحياء الذين يعيشون في منطقة معينة، وفي فـــترة زمنـــية معينة، وما يطرأ على هذا الحجم من تغيرات سواء بالزيادة أو النقصان، والأساليب التي تؤدي إلى هذه التغيرات، والآثار المترتبة على هذا التغير . هـــذا وحـــركة السكان إما أن تسير في اتجاه النمو نتيجة للزيادة في أعدادهم بفعل عوامـــل الخصـــوبة والمواليد والهجرة، وإما أن تسير في اتجاه نقصان عددهم بفعل عوامل هي : الوفيات والهجرة.

(١) وبستر / أند رو - مدخل إلى علم اجتماع التنمية، ص. ص ١٦٥ - ١٦٦ .

أما كثافة السكان فتعني عدد السكان في مساحة مربعة معينة من الأرض، أي عـــدد الأشخاص بالنسبة لكل وحدة من مساحة الأرض، والتي قد تكون ميلاً مربعاً، أو كيلومتراً مربعاً من الأرض، أو الهكتار . وهي تقاس بقسمة عدد السكان عـــلى مســـاحة الأرض مـــع استبعاد الأجزاء غير المأهولة بالسكان كالصحاري، والغابات، والبحيرات، والأراضي الجبلية، والأنهار، ويعبر عنها بالآتي :-

كثافة السكان = عدد السكان بالفرد / المساحة المأهولة بالسكان بالكيلومتر المربع

ويفرق بعض العلماء بين الريف والحضر على أساس حجم السكان . ففي ايرلندا يكون المجتمـــع ريفياً إذ قل عدد ســـــكانه عن (١٥٠٠) نسمة . وفي الولايات المتحدة الأمريكية (٢٥٠٠) نسمة . وقد سارت الأمم المتحدة على هذا الأســـاس، فحددت حداً أقصـــــى قدره (٢٠,٠٠٠) نسمة إذا قل عنه سكان المجتمع يصبح المجتمع ريفياً .

والســـكان الريفيون هم ذلك الشطر من السكان الذين يقيمون في المناطق الريفـــية مـــن المجتمع . وهم يتأثرون بالظروف البيئية والاجتماعية والقيم والأنماط الســـائدة بيـــنهم . ويتأثرون كذلك بالظروف السائدة في المجتمع العام سواء من الناحـــية الاقتصادية أو الثقافية أو الحضارية . وهكذا فهم يؤثرون ويتأثرون بما في المجتمع الكلي من أوضاع مختلفة .

ولقد أدت الخدمات الطبية المقدمة في المناطق النامية إلى زيادة نمو سنوات العمر الافتراضي للأفراد، فسجلت الفئة العمرية للمسنين زيادة ملحوظة في سكان معظم بلدان العالم، فتزايد معدل النمو السكاني، وزاد حجمهم .

ويقـــل حجم السكان وكثافتهم في المجتمع الريفي . فعدد السكان الذين يعيشـــون في الكيلو متر المربع في القرية أقل منه في المدينة . وقد سمح ضآلة حجم الســـكان، والكثافة السكانية المنخفضة في المناطق الريفية بأن يعرف الأفراد هؤلاء الذين يقيمون معهم في نفس المنطقة معرفة شخصية وأعمق وأوثق . وتكون معرفة الإنســـان بالآخـــرين في منطقـــته شاملة وكاملة. فالريفي يعرف تحركات جيرانه وتـــنقلاتهم، ويتصـــل بهـــم في مستويات مختلفة، ويستعير منهم بعض الأدوات، ومســـتلزمات الحياة اليومية المتعلقة بالعمل أو البيت . كما يعيرون ما يحتاجون إليه وقت الحاجة ويتبادل الريفيون الأيدي العاملة في مواسم العمل الكثيف، ويتعاونون فيما بينهم في مناسبات المرض، أو الوفاة، وفي احتفالات الزواج .

وتعمـــل قلة حجم السكان، وانخفاض كثافتهم في المجتمع الريفي إلى صغر حجـــم المؤسســـات والمـــنظمات الاجتماعية وعدد المشتركين فيها، وضعف إمكانـــياتها البشرية والمادية . ومن المعروف أن كبر حجم السكان وزيادة الكثافة الســـكانية في منطقة من المناطق تعمل على توفير بعض الإمكانات المادية والبشرية للمجـــتمع المحلي كالمدارس والمستشفيات والكهرباء، والمياه النقية . إلاّ أن العكس قد لا يكون صحيحاً في كل الحالات، وفي مختلف الظروف الاجتماعيـــة، فالكثافة الســـكانية العالـــية، قد لا يصاحبها بالضرورة نمو في الخدمات الاجتماعية مثل : التعليم، والصحة، والحكم المحلي [1] .

وتؤثـــر الكـــثافة السكانية المنخفضة في المناطق الريفية على درجة التدرج الطـــبقي، حيـــث تميل درجة التدرج الطبقي إلى أن تكون أقل مما هو موجود في مناطق أخرى ذات كثافة سكانية مرتفعة .

---

(١) أنظر د. حسن همام – علم الاجتماع الريفي وقضاياه، ص ٣٣٠ .

وقـــد دفعـــت ظـــروف حجم السكان، والكثافة السكانية في المجتمعات الريفـــية، والـــتي لا تتناســـب مع محدودية المساحة الزراعية، والموارد الاقتصادية المخـــتلفة، وكذلـــك عـــدم وجود فرص عمل يمكن للريفي من خلالها مواجهة احتـــياجاته الرئيسية، دفعت المواطن الريفي إلى الهجرة . فغالبية المجتمعات الفقيرة ذات الموارد المحدودة تعاني من معدلات مرتفعة للزيادة السكانية [١] .

الهجـــــرة :

الهجرة هي تغيير الإنسان أو جماعة من الناس أماكنهم في الفضاء الطبيعي، وبديهـــي أن كـــل انـــتقال في الفضاء لا يعتبر هجرة ذلك أن الهجرة لا تشـــمل الانـــتقالات اليومية للأفراد من أماكن إقامتهم إلى أماكن عملهم والعكس، كما لا يدخـــل ضـــمن الهجرة انتقالات الأفراد داخل نفس المجتمع المحلي . ويبدو أن من التعاريف المقبولة نسبياً للهجرة أنها انتقال فرد أو جماعة من الناس من مقر إقامتهم الدائم لمسافة معينة في الفضاء الطبيعي بقصد ونية الإقامة الدائمة في المكان الجديد . عـــلى أن هذا التعريف لا يخلو من بعض نقاط الضعف ذلك أن التمييز بين مسافة الانـــتقال التي تعتبر هجرة وبين تلك التي لا تعتبر هجرة أمر صعب أو تقديري وقد يكـــون شـــرط توافر الانتقال من مجتمع محلي إلى مجتمع محلي آخر بقصـــد ونية الإقامـــة الدائمـــة في المكـــان الجديد بغض النظر عن التحديد الدقيق لمدى المسافة نفسها ما يكفي لاعتبار الانتقال هجرة .

وفي ظـــل هـــذا المفهـــوم لمعنى الهجرة لا يعتبر في حجم المهاجرين عمال التراحيل ولا العمال المؤقتين الذين يطلق عليهم في بعض الدول العمال الموسميين .

---

(١) أنظر د. حسن همام . علم الاجتماع الريفي وقضاياه ، ص ٣٣٠ .

كما لا يعتبر أيضاً في حكم المهاجرين السكان المهجرين من بعض المناطق لأسباب قهـــرية كما في حالة الحروب أو غيرها مادام ليس في النية أو القصد الإقامة بصفة دائمة في المكان الجديد .

ولقـــد أثـــارت كثرة انتقالات السكان الحضريين في السنوات الأخيرة في بعـــض الدول إلى الضواحي والمناطق الريفية المحيطة بالمدن تساؤلات عديدة عن ما إذا كان هذا النوع من الانتقالات يعتبر هجرة فكان الرأي بالنسبة للبعـــــض أن الهجـــرة يجب أن تتضمن الإقامة والعمل في المكان الجديد . ولقد زاد تحرك الناس وانتقالاتهم في البيئة الطبيعية بفضل تقدم طرق المواصلات (١) .

وتنقســـم الهجـــرة إلى هجـــرة خارجـــية وداخلـــية . ويقصد بالهجرة الخارجيــــة انتقال الأفراد من مجتمع آخر عبر الحدود السياسية أو الدولية . ولقد أصـــبحت المـــناطق الجديـــدة والعذراء في العالم الجديد وجنوب إفريقيا واستراليا ونيوزيلـــندة مـــناطق سهلة المنال بالنسبة لطالب الهجرة، واستخدمت طرق النقل والمواصـــلات وتســـيير السفن، فسهل الانتقال من مكان إلى آخر، وكذلك نقل المحاصيل عبر القارات .

وقـــد ارتبط تيار الهجرة الخارجية في وقتنا الحالي، للعمل بالدول النفطية . وقـــد ارتبطـــت تيارات الهجرة الخارجية المتزايدة بظروف تدني أوضاع الطبقات العريضـــة من صغار الفلاحين . وقد ترتب على الهجرة الخارجية آثار واضحة على فرص العمل والأجور التي انعكست بدورها على الإنتاج الزراعي والإنتاجية .

---

(١) د. محمد فتح الله هلول - قراءات في المجتمع الريفي، ص ٢/هـ .

أمـــا الهجـــرة الداخلـــية فهي تحدث داخل المجتمع الواحد . وهي أنواع متعـــددة، لعل أهمها الهجرة الريفية / الحضرية . أي الهجرة من القرية إلى المدينة .

وقد يهاجر الريفيون إلى الحضر للالتحاق بالمدارس والجامعات، أو بمراكز التعليم والتدريب في المصانع وغيرها ضماناً للدخل المجزي ومستوى المعيشة اللائق، ممـــا يتيح لهم امتهان مهن جديدة غير زراعية، فغالبيتهم يتجهون إلى الاســـتقرار بالحضر، وخاصة بعد أن اعتادوا أسلوب الحياة الحضرية .

ولقـــد خلص "ماير" من دراسته إلى أن المهاجر غالباً ما يبقى على ارتباطه بمجتمعه القروي . وأكدت دراساته في جنوب إفريقيا أهمية الروابط الشخصية التي بـــين المهاجـــرين وبين مواطنهم الأصلية، فهؤلاء الذين لهم روابط قوية بمنطقتهم الأصلية يواصلون التردد على هذه المناطق. وطبيعة العلاقات الشخصية تحدد ما إذا كـــان المهاجـــرون قـــد استقروا في المدينة أم لا . وللمهاجرين علاقات اجتماعية مـــتعددة في المديـــنة، ولكن علاقات العمل ليست بالنسبة لهم ذات وزن كبير من الناحية العاطفية، بينما العلاقات التي تقوم بينهم في أوقات الفراغ التي تمتاز بالأهمية العاطفية حيث أنها علاقات قائمة على الاختيار الشخصي، ومن ثم فهي تظهر مدى تأثرهم وارتباطهم بالمدينة (١) .

ولقد اختلفت اتجاهات المهاجرين العائدين للقرية نحو العمل الزراعي فقد اتجـــه بعضـــهم – وخصوصاً ممن لا يملكون أرضاً زراعية – إلى البحث عن مهن أخرى غير الزراعة، حيث اعتبروا الزراعة من المهن الأكثر مشقة والأقل دخلاً عن غيرهـــا مـــن المهن، ساعدهم على ذلك المدخرات التي توفرت لديهم أثناء الهجرة

---

(١) د. حسن همام – دراسات علم الاجتماع الريفي، ص ٢١٩ .

والـــتي حـــاولوا توظـــيفها في مشـــاريع تجارية تدر دخلاً أكثر وعناء أقل، وهذا بالإضـــافة إلى أن بعضهم قد عمل أثناء الهجرة ببعض المهن غير الزراعية (كأعمال البناء، وقيادة السيارات، وأعمال الميكانيكا أو الكهرباء أو دهان السيارات ... الخ) واكتســـب مـــن خلال ممارستها خبرة فيها . ومن ثم عاد ليمارسها من جديد في القرية أو المراكز الحضرية القريبة منها .

أما الفريق الثاني من المهاجرين ممن يملكون أرضاً زراعية نجدهم على الرغم من نفور بعضهم من العمل الزراعي لما يتطلبه من مشقة ودخل محدود ومؤجل (أي في نهاية كل موسم زراعي) إلاّ أنهم لم يهجروا مهنة الزراعة وإنما اتخذوا منها مهنة إضافية إلى جانب الاشتغال ببعض المهن الأخرى غير الزراعية . في حين اتجه فريق ثالـــث إلى ممارسة العمل الزراعي بعد عودته من الهجرة، وإن كان بأسلوب مختلف عمـــا قبل، حيث اعتمد على أسلوب الميكنة الزراعية ومساعدة بعض الأجراء من العمال الزراعيين .

ولقد لعبت الهجرة الداخلية دورا في الاحتكاك الثقافي بين القرية والمدينة، وعملت على تغيير بعض من المحتوى الثقافي لثقافة القرية، إما بالإضافة أو بالإحلال والتبديل، كما اكتسب أبناء القرية الذين هاجروا والبعض الذي لم يهـــاجر بعض العادات والأنماط السلوكية الجديدة كأنماط الملبس أو المأكل أو اللهجة .

وقـــد ترتب على الاحتكاك الثقافي خلق درجة من الوعي والطموح نحو الأفضل، دفعهم إلى اقتناء بعض الأدوات والأجهزة وخصوصاً مع زيادة مدخراتهم.

وقد حاولت كثير من الدراسات تتبع حسابات المكسب والخسارة لحركة الريفيين إلى المدن . فمن الناحية المادية (الدخل) وجد **Landing Morgan**

(١٩٦٧م) أن رب الأسرة الذي نشأ في الريف ثم هاجر إلى منطقة حضرية قد زاد حوالي (٨٠٠ جنيها) (٣٠%) عن رب الأسرة الذي بقي غير مهاجر في الريف .

وفي نفـــس الوقت فإن **Wertheim** (١٩٧٠ - ١٩٧١م) وجد أن المهاجرين من ريف الولايات المتحدة الأمريكية الشمالي قد زاد دخلهم عن قرنائهم الذيـــن لم يهاجـــروا حوالي (٦٠٠ جنيها) في المتوسط في العام الواحد، وأن هذا الدخـــل قـــد زاد بنســـبة أكبر (وصلت ٣٠٠٠ جنيها)، بالنسبة للمهاجرين من الطلاب الذين هاجـــــروا إلى مدن كبيرة [١] .

ويؤكد بعض العاملين في حقل الديموجرافيا والعلوم الاجتماعية أن للهجرة الريفـــية / الحضرية كثير من الآثار السالبة . وعلى سبيل المثال فهجرة القرويين إلى الحضــــر تحـــرم المجتمعات الريفية من الكثير من أبنائها الشباب الناضجين الواعين الطموحـــين المثقفين والمتعلمين والمدربين . وتتسبب في خلق العديد من المشكلات الاجتماعية والنفسية مثل فقد الطابع الريفي، وضعف الروابط الأسرية، والطلاق، وانحراف الأحداث، والانحراف الأخلاقي، واللاتدين **Secularization** . كما أن هجـــرة هؤلاء الريفيين إلى المدن تخلق الكثير من المشكلات لمجتمع المدينة مثل : الـــزيادة المطـــردة في الســـكان، وزيادة البطالة، خفض الأجور والدخل، ارتفاع تكاليف المعيشة، انخفاض مستويات الخدمات، وارتفاع نسبة الجريمة [٢] .

وتعتبر ظاهرة الهجرة من القرية إلى المدينة من الظواهر المرغوبة إذا تيسرت في الحضر ســـبل الإقامة والعمل للمهاجرين، كما يجب أن تتحمل البيئة الأساسية

---

(١) د. عبدا لمنعم محمد بدر - دراسات في التنمية الريفية، ص. ص ٢٦ - ٢٩ .

(٢) نفس المرجع ، ص ٢٩ .

في الحضر، وما تشملها من مشروعات الحياة والإنارة والصرف الصحي والمساكن ما يطرأ عليها من زيادة سكانية نتيجة هجرة أفواج الريفيين .

ويشترط أن لا يفقد الريف ما يحتاجه من العمالة الزراعية وغير الزراعيـــة بسبب هجرة أبنائه إلى الحضر، وإلاّ لكان للهجرة من الريف إلى الحضر آثار ضارة على الريف والحضر على حد سواء .

هـــذا ويمكن التغلب على تلك الآثار الضارة لظاهرة الهجرة من الريف إلى الحضـــر بـــالعمل على رفع مستوى الحياة في الريف، وذلك بإعادة تخطيط القرى هندسـياً، ووضـــع الـــنماذج العلمـــية المريحة للمترل الريفي وتوفير المياه النقية، والكهـــرباء، وإنشاء عمليات قروية للصرف الصحي، وتعبيد طرق القرية، وردم الـــبرك والمستنقعات، وإعداد حظائر للحيوانات بعيدة عن المساكن، وإزالة أكوام الـــسباخ مـــن طرق القرية، وإقامة السوق التجارية، ومراكز الخدمات كالمدرسة، والوحدة الصحية الريفية، والمسجد، والنادي الريفي، والمجزر، والعمل على تصنيع الريف، والاهتمام بالإعلام الثقافي والاجتماعي والاقتصادي، ورفع مستوى الوعي القومي بين الريفيين .

ويجـــب العمـــل على توفير المراحل التعليمية لا سيما المرحلة الإلزامية في المـــناطق الريفـــية، وكذلك إنشاء المراكز التدريبية المهنية الزراعية والصناعية بهذه المـــناطق . فضـــلاً عن توفير الجامعات الإقليمية حتى لا يضطر الريفيون إلى هجرة موطنهم الأصلي للالتحاق بالجامعات في المدن الكبرى .

وينـــبغي تحســـين أسلوب الإنتاج الزراعي بإتباع الميكنة الحديثة، وطرق الـــزراعة العلمية ونشر الصناعات الزراعية حتى يحد من الهجرة الريفية / الحضرية .

كذلـــك يجب ربط القرية بالقرى والمدن المجاورة بوسائل الانتقال المريحة والميسرة حتى يسهل على الريفيين قضاء مصالحهم بالإدارات والمصالح الحكومية التي يستلزم الأمر ضرورة الانتقال إليها، كالمحاكم وإدارات الشهر العقاري والضرائب .

ويمكـــن كذلك النظر إلى إعطاء ميزات خاصة للعاملين من الكوادر الفنية والتخصصـــية بالمـــناطق الريفـــية كتوفير السكن المناسب، وزيادة الأجر، وإعطاء بـــدلات مالـــية للإقامة في المناطق الريفية حتى تشجع المتعلمين والفنيين من أهالي الريف وغيرهم للإقامة به وعدم هجرتهم إلى المدن [١].

ولدراسة تركيب السكان من حيث النوع أهمية كبرى، من حيث أنها تؤثر على كثير من النواحي الاقتصادية والاجتماعية تتمثل في الآتي :-

١ - تسبب الهجرة والحروب اختلال نسب النوع، فهي تؤدي إلى نقصان عدد الذكـــور، فتـــنخفض نســـبتهم . ويؤدي ذلك إلى ظهور مشـــكلات اجتماعـــية، فانخفاض أعداد الذكور في سن الزواج، في مقابل الإناث في ســـــن الـــزواج قـــد تؤدي إلى انحرافات خلقية في ظل ظروف بعض المجتمعات .

٢ - معـــرفة تركيب السكان من حيث النوع تمكن المخططين من معرفة عدد الرجال وعدد النساء الداخلين في سوق العمل، وما يترتب على ذلك من أوضاع اقتصادية واجتماعية [٢] .

---

(١) د. حسن على حسن - المجتمع الريفي والحضري، ص. ص ١٩٥ - ١٩٦ .

(٢) أنظر د. أسامة أبو المكارم شاكر . المرجع السابق ، ص ٩١ .



الفصل التاسع

المعايير الاجتماعية في المجتمع الريفي

يكتســـب الإنسان خلال معيشته في بيئته الاجتماعية كثيراً من التصورات والأفكـــار التي تزوده بها ثقافة المجتمع . وتعمل هذه المعايير على إقامة نســـق من التـــبريرات للظـــروف الراهـــنة الموجـــودة فعلاً، وتوجه الأفعال، وتحدد الحقوق والواجـــبات الشخصية والجماعية في تعامل الفرد مع غيره من الأفراد، ومع الأسر، والقبائل، ويقاس على أساسها سلوك الفرد والجماعة [١] .

وتمـــثل المعـــايير الاجتماعـــية قوة للتناسق في مجتمع القرية، أو المجتمعات الأخـــرى الصغيرة . فالناس يكتسبون أنماط سلوكهم في المراحل العمرية الأولى، وليس لديهم أسباب مقنعة تدفعهم لانتهاك هذه الأنماط المألوفة في السلوك في كثير من الأحيان .

وفي هـــذا يقـــول "رد فـــيلد **Redfield**" [٢] عـــالم الاجـــتماع الأنـــثروبولوجي الأمريكي في كتابة "**المجتمـــع الريفي والثقافة**" أننا لو نقلنا قروياً مـــن موطـــنه إلى مكان آخر ريفي بعيداً عن مجتمعه، وكان مزوداً بلغة هذا المكان الجديـــد، فإنـــه سوف يشعر بألفة سريعاً . ويرجع هذا إلى أن الأســـس الموجهة للحـــياتين بل وفي الحياة القروية في جميع أنحاء العالم تكاد تكون واحدة في المجتمع

---

(١) د. حسين عبد الحميد أحمد رشوان – المجتمع – دراسة في علم الاجتماع، ص ٢٠٠ .

(2) See Redfield, Peasant Society and Culture, P. 109 & See Beals, Ralph L. & Hoijer, A Harry, An Introduction to Anthropology, P. 444.

الأول المنقول منه، والمجتمع المنقول إليه، طالما ظل الفلاحون يعملون جميعاً بالزراعة.

وتتمثل هذه الأسس الموجهة للحياتين في المعايير الاجتماعية، وهي العادات، والعرف، والقيم، والتقاليد، والقانون، والرأي العام، والرقابة الاجتماعية.

العـادات :

العادات ظاهرة اجتماعية، وهي قاعدة أو معيار للسلوك الجمعي . وتشير إلى أفعال الناس التي تعودوا عليها، وسلوكهم على نحو شبه آلي بفضل التكرار المستمر، والتعلم، والتدريب . وإلى هذا الطابع الشبه آلي يعزي عدم الارتياح الذي نحس به عندما نسلك سلوكاً خارجاً عن تلك العادات .

والعادات جزء أو فصل هام من دستور الأمة غير المكتوب، بيد أنها مدونة في صدور الأفراد، وراسبة في تكوينهم . وتتمثل العادات في اللغة والأنماط الرمزية الأخرى التي تعبر عن أفكار الفرد ومعتقداته وأنواع السلوك كآداب المائدة، والأزياء، وأسلوب الحديث، وطرق التحية، والاستقبال، والتوديع، والتهنئة، ومثل عادة التدخين، وتناول القهوة والشاي، والاستيقاظ المبكر، والقيام بألعاب رياضية معينة، والذهاب إلى مقهى معين، والتوسعة على الأطفال في الأعياد (العيدية) .

وبعض العادات شاذ وضار، ويمثل حالة مرضية تنتاب الجماعة . وذلك مثل : زيارة الأضرحة والمقابر، وأكل الفسيخ في الحدائق العامة أيام شم النسيم، وتهريج العوام في مناسبات الأعياد، وتعاطي المخدرات والخمور .

وتدعم العادات الحياة الاجتماعية، وتؤدي إلى تعزيز وحدة المجتمع، وتقوية الــروابط بين أفراده . وهي تنشأ تلقائياً نتيجة اجتماع الناس معاً لتحقيق أغراض تتعــلق بمظاهر السلوك الجمعي . ويتقبل الأفراد العادات طوعاً واختياراً . وتتسم العادات بالعمومية والانتشار .

وتتســم العــادة بالإلــزام، فمـــن يخرج عليها يلقى الازدراء والتحقير والســخرية. فالإنســـان يستطيع أن يحور فيها ويغيِّرها في الحدود التي تجيزها وفقاً لثقافته . وهي ليست ملزمة كممول الضرائب، ولكنها تتفاوت على درجات .

العُـــــرف Usage :

يعتـــبر العُـــرف ركن هام من أركان المعايير الاجتماعية، وهو عبارة عن مجموعة من الأفكار والآراء والمعتقدات التي تنشأ في جو الجماعة، وتمثل مقدسات الجماعـــة ومحـــرماتها . وتنعكس فيما يزاوله الأفراد من أعمال، وما يلجأن إليه في كـــثير مـــن مظاهر سلوكهم الجمعي وينحصر نطاقه في طبقات أو مجموعـــــات معينة داخل المجتمع، على الرغم من أن له في كثير من الأحيان احتراما يضفي عليه قيمة توحي لأعضاء المجموعات الأخرى بمجاراته وتقليده .

والعُـــرف جـــزء مـــن دستور الأمة غير المكتوب . ويحميه الرأي الشائع والسلطة التشريعية . وينساق الأفراد في ركاب العُرف، ومن يحاول أن يتصدى لما يفرضه من مظاهر السلوك أو المعتقدات والآراء يقابل من الجماعة بقوة تتناسب مع قوة العقيدة التي خرج منها .

ويتمـــثل العُرف في الجانب السلبي لمحرمات ومقومات أي مجتمع، وتحريم بعـــض الأعمـــال لارتباطهـــا بقوة مؤثرة في الـــحوادث مثل لا "تسرق" و "لا

تضرب امرأة" و "لا تسر في الطريق عرياناً" و "عدم كنس الشوارع ليلاً" و "عدم كنسها يوم سفر صاحبها" ظناً منهم أن هذه الأمور تجلب التعاسة وتسبب حوادث مؤلمــة". ومثل التشاؤم من سماع نقيق اليوم، وعدم التفكير في اقتنائها، وعدم لمس المحرمات، وعدم ذبح بعض الحيوانات، وعدم أكل لحــوم بعض الطيور لارتباطها بأصــول قدسـية أو لارتباطها بأفكار وتصورات خارقة . فأمريكا لا تأكل لحوم الخـيل بيـنما يأكلها الأوربيون . وأهل الصين لا يأكلون منتجات الأبقار بينما يأكـلها المصـريون. وهنود البرازيل يأكلون أنواعا من النمل والحشرات بينما لا يأكلها الأوربيون ومن إليهم . والعشائر البدائية تحرم أكل توائمها، بينما تعتبر هذه الـتوائم من أهم أنواع الغذاء الحيواني عند غيرهم من الشعوب . ومثل الاعتقاد في التأثير الخارق للشياطين والأرواح الخبيثة .

ويخـتلف العُـرف عن العادات في ارتباطه بالناحية العقائدية والعقلية. أما العـادات فهـي في معظمهـا أفعال وأعمال . ويخضع العُرف للتطور شأنه شأن العادات، غير أن تطوره بطيء، وفي حدود ضيقة [1] .

ومـن أهم الأعراف السائدة في المجتمعات الريفية احترام مشاعر الآخرين سـواء أكانت أحزان أم أفراح . فالقرية بأكملها تشارك أي فرد منها يتعرض لأي حـادث ألـيم أو مصـيبة أو فقد عزيز لديه بالامتناع عن إقامة الأفراح والليالي الساهرة التي تعبر عن الفرح أو البهجة لمدة قد تصل إلى عام أو أكثر . بل قد يصل الأمر إلى شيء من المبالغة في تقدير هذا الشعور الحزين بالامتناع فترة من الزمن عن طهي أنواع معينة من المأكولات كالفطير مثلاً أو الكيك .

---

(١) د. مصـطفى الخشـاب - عـلم الاجتماع ومدارسه - الكتاب الثاني - دعائم علم الاجتماع وحقائقه، ص ١٤٦ .

وتُعد العادات الاجتماعية والأعراف في الريف أموراً كافية لحفظ النظام في ذلــك المجتمع البسيط . وللعادات والأعراف صفة العمومية فهي تنتشر بين جميع أفراد المجتمع الريفي، وإن كان لكل مجتمع ريفي علاماته المميزة والتي تميزه عن غيره من المجتمعات .

التقاليـــــد :

التقالـــيد هـــي عبارة عن مجموعة من قواعد السلوك التي تنشأ عن الرضا والاتفـــاق الجمعـــي . وهـــي تستمد قوتها من المجتمع، وتحتفظ بالحكم المتوارثة وذكريات الماضي التي يمر بها المجتمع . يتناقلها الخلف عن السلف جيل بعد جيل .

وتخـــتلف العادات عن التقاليد في أن الأخيرة تعني انتقال العادات من جيل إلى جيل من خلال التيارات الاجتماعية، كما أن العادات تتعلق بالسلوك الخاص، أمـــا التقاليد فتتعلق بسلوك المجتمع بكليته . فالاحتفال بأعياد الميلاد والزواج تعتبر عادة، أما الاحتفال بميلاد نبي أو زعيم فيعتبر تقليداً .

ومـــن التقالـــيد الشائعة في الريف مساعدة العاجز، واحترام كبار السن، ومـــراعاة الأصـــول في الـــتعامل والرزق مع الآخرين، والكرم، وحسن الضيافة، وتقديس رجال الدين، والمبالغة أحياناً إلى حد إقامة الموالد ابتهاجا بذكراهم العطرة بعد موتهم .

القـــــيم :

تعـــددت الآراء حول معنى القيمة، فالناس يتحدثون في بعض الأحيان عن القـــيمة بمعـــنى الفـــائدة أو المـــنفعة فهم يتحدثون عن قيمة الهواء والماء والغذاء

والفيتاميـــنات بالنسبة للصحة والنمو ويقصدون من ذلك الفائدة المادية الجسمية، وهم يفيضون في الحديث مثلاً عن قيمة الصلاة والصوم في ترويض الناس والسمو بهـــا واكتساب ثواب الله، وكثيراً ما تستعمل القيمة بمعنى قوة شرائية مثل قولهم أن قـــيمة هذا الجنيه الذهب تساوي سبعة جنيهات وفي بعض الأحيان تستعمل كلمة قـــيمة بمعنى القدر والمكانة كقولهم "إن لهذا الشخص" قيمة كبيرة عندي وتستعمل أيضـــاً لـــتدل على الأهمية العاطفية كما يقول شخص ما "أن لهذا الراديو تاريـــخ قـــديم" ولا ينســـجم شكله على أثاث منزلي ولكني لن أفرط فيه أو أستبدل به فله قـــيمة كبيرة عندي لأنه كان هدية من شخص عزيز" . وفي جميع الأمثلة المذكورة نلاحظ أن القيمة تنسب للشيء موضوع الحديث ولكننا كثيراً ما نطلق كلمة قيمة عـــلى الشـــيء نفســـه كقولنا "العلم قيمة والجهل قلة قيمة" أو "اللون الغامق" في الملابـــس للسيدات المسنات قيمة أما اللون الفاتح لهن قلة قيمة . كذلك كثيراً ما نطلـــق كـــلمة قيمة على السلوك نفسه كأن نقول " أن السفر بالدرجة الأولى في القطـــار قيمة أما السفر في الدرجة الثالثة قلة قيمة " . ويستخدم اللفظ كذلك في المـــيدان العلمي فلفظ القيمة من المصطلحات العلمية في دراسة الفلسفة والاقتصاد والفن والاجتماع وعلم النفس والأنثروبولوجيا .

ويـــرى بعـــض العلماء أن مفهوم القيمة مرادف لمفهوم **"نافع"** أو **"لائق"** وهناك من يقول أن القيم هي الأفكار الاعتقادية المتعلقة بفائدة كل شيء في المجتمع وقـــد تكـــون صـــحة جسمية أو زيادة في الذكاء أو كل شيء حسن يسعى إليه الإنسان [١] .

---

(١) د. فوزية دياب - القيم والعادات الاجتماعية، ص. ص ١٩ - ٢١ .

وقـــد أخذ بعض علماء الاجتماع القيمة على أنها أي شيء ذات أهمية أو رغـــبة للـــذات الإنسانية . فمنهم من عرف القيمة على أنها أي شيء قيمته قابلة للـــتقدير . ويعـــرف آخر القيمة على أنها أي شيء نرى فيه خيراً مثل (الحب – الشـــفقة – الهواء، لقناعة، المرح، الأمانة، الذوق، الترويح، البساطة) . وقد ساوى دور القيمة بالمرغوب فيه فهي تعبر عن الغايات، والأهداف، فهي لا تتعامل مع ما هو قائم، وإنما تبحث عما يجب أن يكون اجتماعياً وثقافياً . وهكذا فهي تعبر عن صيغ أخلاقية .

وترتـــبط القيم بالحاجات الأصلية للإنسان . فهي تشمل كل الموضوعات والظـــروف والمـــبادئ الـــتي أصـــبحت ذات معنى خلال تجربة الإنسان الطويلة كالشـــجاعة والقـــوة والاحـــتمال والإيثار والمهارة الفنية وضبط النفس والأمانة، والصمت أو الثرثرة، والاتزان، والانفعال، والحب، والحرية، والعدالة .

والقيم ليست هذه الصفات المجردة فحسب، بل هي كذلك أنماط السلوك التي تعبر عن هذه القيم، أو هي موجهات للسلوك في النسق الاجتماعي . وتختلف القـــيم باخـــتلاف السلالة أو الجنس أو الطبقة، كما أن لكل ثقافة مجموعات من القـــيم. ويرتبط نسق القيم ارتباطا بنائياً ووظيفياً بالأنساق الأخرى . فكل تغير في هذه الأنساق يؤدي إلى تغير مصاحب للقيم .

وتتـــلخص القـــيم في المجتمعات القروية في أن القرويين يرتبطون بالأرض ارتـــباطا وثـــيقاً يصـــل إلى حد القداسة . وترتبط قيمة القروي من حيث مركزه الاجتماعي والثقافي بالأرض، حيث لها قيمة عظمى لأنها مصدر الحياة . وإذا كان بعض الريفيين لا يملكون أرضاً، فإنهم يفضلون الارتباط بها عن طريق الإيجار .

والواقع أن كثيراً من الفلاحين مازالوا يتمسكون بالأرض، ويرتبطون بها، ويستنكرون محاولة التفكير في بيعها، بل ويهزءون ممن يقبل على ذلك ويعتبرونه كمن يفرق في **"عرضه أو شرفه"** .

بيد أن هذا الارتباط الشديد بالأرض لا يمنع وجود الذين قاموا ببيع أرضهم، أو قطع من الأرض المخصصة لهم تحت ضغط ظروف اقتصادية أو اجتماعية معينة كالمرور بضائقة مالية، أو تعليم الأبناء، أو زواجهم، أو الرغبة في بناء بيت جديد .

والعمل الزراعي هو النشاط الأساسي للفلاحين . وهو أهم الأعمال وأجلها قدراً، وهو مصدر رزق القروي ومعاشه . وينظر إليه الفلاحون نظرة تقدير واحترام، ولذلك يبدي الريفيون بعض الشك والريبة إزاء سكان المدينة، فهم مخلوقات مرهفة تتعب بسرعة ولا تتحمل المشقة، وغير قادرة على مزاولة العمل الشاق في الزراعة الذي هو مصدر زهو القروي .

ويرتبط العمل الزراعي بالشعور الديني، فهو عمل يرضى الله، وله قيمة علىيا عامة، وهو يضمن المعاش . وهكذا فإن ارتباط القروي بالأرض التي يملكها تصل إلى حد القداسة . أما ارتباط القروي بالأرض التي يعمل فيها أجيراً، فيكون ضعيفاً . ولهذا تقاس مكانة العائلة بما تملكه من أرض، وما يبذل فيها من جهد وعمل .

وعلى الرغم من أن البعض خاصة كبار السن مازالوا يتمسكون بالعمل الزراعي، إلاّ أنه ظهر أخيراً اتجاه يفضل البعد عن العمل الزراعي، ويفضل العمل الحكومي، خصوصاً بعد انتشار التعليم، والاتجاه إلى المهن غير الزراعية .

ويـــرجع ذلك إلى تعليم الأبناء، وصغر مساحة الأرض الزراعية المخصصة للعائلـــة، مـــع الزيادة الكبيرة في عدد أفرادها مما ترتب عليه قلة نصيب الفرد من الأرض الزراعـــية، وبالـــتالي عدم قدرتها على الوفاء باحتياجات الفرد أو الأسرة، بالإضافة إلى ما في العمل الزراعي من مشقة وعناء .

ويمثل الأولاد بالنسبة للقروي قيمة هامة . فهم القوة الإنتاجية والاجتماعية ولهذا يحرص القروي على أن يكون له أكبر عدد ممكن من الأولاد خاصة الذكور . ونظـــراً للارتـــباط الوثيق بين هذه القيم وحياة القرويين، فقد كان الاعتداء على الأرض – مثلاً – في نظر القروي يمثل اعتداء عليه . كذلك الحال بالنسبة للأولاد، فهم يعتبرون في نظر القروي مسألة حياة أو موت .

القانـــــون :

يمـــثل القانون Law تلك القواعد المكتوبة المنظمة لسلوك الأفراد عندما يتفاعلون مع بعضهم البعض . فالقانون يعتبر معايير مكتوبة ومسجلة لتنظيم وضبط سلوك الأفراد في الأنشطة المختلفة كما تنظم وتحافظ على حقوق الأفراد وواجباتهم في المواقف الاجتماعية المختلفة .

ويستخدم القانون القوة أو يهدد باستخدام القوة . وتعترف محاكم الدولة بهذه القواعد وتشرحها وتطبقها . وهي قواعد ملزمة للأفراد ومن يخرج عليها يلقى العقـــاب عـــلى يد الدولة . ويتفاوت تأثير هذه العقوبات حسب نوعية المخالفة . فالقـــاتل يهـــدد أمن وتماسك المجتمع تهديداً خطيراً، ويكون أكثر إيذاء من الذي يخالف إشارة المرور، وتعتبر مخالفة القوانين أي المعايير المسجلة والمكتوبة أكثر إيذاء لمشاعر الأفراد من مخالفة السلوك الجمعي مثلاً .

وينفذ القانون عن طريق أجهزة رسمية هي رجال الشرطة والنيابة والقضاء، وهـــي في ذلك تختلف اختلافا كبيراً عن العرف والسلوك الجمعي، فعلى الرغم من أن كلا منهما يشاركان في تنظيم سلوك الأفراد والمحافظة على حقوقهم وتماسكهم ولكن تقوم أجهزة غير رسمية بتمييز هذه الواجبات وتتمثل هذه الأجهزة في الرأي العام الذي يتمثل في الجماعات المختلفة التي لها دخل في تحديد عضويتها وفي تحديد التفاعل مع الأفراد الخارجة على أحكامها .

ويخضع أفراد المجتمع للمعايير الاجتماعية، والسلوك الجمعي الذي يرتضيه المجتمع . ومن يخرج عن هذه المعايير يلقى التهكم والسخرية والاستهجان من أفراد المجتمع . ومن هنا فإن المخالف لا يكرر أو يعود لمثل هذه المخالفات تقديراً للعرف والسلوك المجمعي المعترف به .

وفي المجتمع الريفي، إذا ما حدث شقاق بين فردين من أهل القرية قد يصل إلى حـــد التشـــابك، فإنهما يلجآن إلى الكبير أو الشّيبة ليفض نزاعهما، ويرتضيا حكمـــه، حـــتى وإن كان الحكم يقتضي تحصيل غرامة مالية ضخمة، قد لا يكون منصوص عليها في القانون المكتوب . ومع ذلك فالعرف يجرى تنفيذه برأي الكبير كنوع من العقاب الرادع الذي يمنع تكرار هذه المشاحنات أو الخلافات .

الرأي العام :

يعتبر الرأي العام القوة الحقيقية في المجتمع، وهو يشير إلى الآراء التي يعتنقها جمهـــور ما، أو حكم اجتماعي حول مسألة أو قضية معينة بعد مناقشات متبادلة وواعية، أو في كلمات أخرى الرأي العام هو إرادة الشعب .

ولما كان من الصعب أن يتفق كل الناس على رأي معين، فقد يوجد رأي آخـــر، هو رأي الأقلية البسيطة، فإن الرأي العام هو رأي الأغلبية والفكرة السائدة بـــين جمهور من الناس يرتبطون بمصالح مشتركة إزاء موضوع يحدث حوله جدل ونقاش ونوع من الاحتكاك والتفاعل في المجتمع .

وعـــلى ذلك فإن الرأي العام ليس اتجاها انفعاليا يصدر عن جمهور الدهماء التي تجتمع اجتماعاً عابراً، وإنما هو حكم عقل يصدر عن جمهور مترابط، ويناقش نقاشاً عقلياً باستخدام الفكر والشعور، لا الانفعالات والانزلاق في تيارات الإثارة الغريزية .

وهكـــذا يختلف الرأي العام عن الرأي الخاص، حيث أن الأخير هو رأي شخصـــي، وظاهرة نفسية تخص الشخص الذي يعتنق هذا الرأي . أما الرأي العام فهـــو ظاهرة اجتماعية، ويتميز عن الرأي الخاص بالثبات النسبي وقلة تعرضه للتغير والتحول السريع، وهو الرقيب على الأفعال الاجتماعية.

وتتمـــيز المجتمعات المتقدمة عن المجتمعات المتأخرة بقوة ونفوذ الرأي العام فـــيها . ففي المجتمعات المتقدمة يكون الرأي العام فيها هو كل شيء . في حين لا يكـــون للـــرأي العام أي أثر أو قوة في المجتمعات المتأخرة بسبب عدم ثقافة أفراده وفقرهم أو تحيزهم وانقسامهم [١] .

---

(١) د. عادل حسن – العلاقات العامة، ص ١ .

الرقابة الاجتماعية / الضبط الاجتماعي Social Control:

يقصـــد بالـــرقابة الاجتماعية كافة العمليات والإجراءات المقصودة وغير المقصـــودة والوســـائل والأساليب التي يتبعها المجتمع لحفظ النظام والإشراف على سلوك الفرد، وحملهم على أن يسلكوا طبقاً للمعايير والقيم والنظم الاجتماعية .

وقد عرف " جلن " [١] الرقابة الاجتماعية بأنها مجموعة من الإجراءات أو الوســـائل كالإيحـــاء والإغراء والضغط والإلزام، أو كأية وسيلة أخرى بما في ذلك القـــوة المادية التي بواسطتها يجعل المجتمع جماعة فرعية منه Sub Group تسير وفق الأنماط السلوكية المتعارف عليها .

ويذهـــب " **Fichter** " إلى أن الضبط الاجتماعي هو **ميكانيزم** يعمل مـــن أجل تحقيق عملية الموافقة ؛ وذلك بمحاولة التطابق بين سلوك الناس والأنماط السلوكية المتعارف عليها .

وتعـــرض " **ماكـــيفر** " في صـــدد حديثه عن الضبط الاجتماعي لمفهوم السلطة، فذهب إلى القول بأننا حين نتكلم عن إحدى السلطات، فإننا نعني بذلك شخصـــاً أو مجموعة أشخاص يكون لديهم ذلك الحق القائم الذي يتخلل أي نظام اجـــتماعي، ويعطـــي الفرصـــة لـــتحديد السياسات، أو إعلان القرارات بشأن موضوعات معينة، أو فض منازعات قائمة، ولذلك فإن **الحق لا القوة** يعتبر أحد الأسس التي ترتكز عليها سلطة الضبط . ومن ثم فالسلطة تتميز بالشرعية [٢] .

---

(١) د. حسن شحاته سعفان – المرجع السابق، ص ٢٤٨ .

(٢) أنظـــر د. ســـامية محمد جابر – القانون والضوابط الاجتماعية – مدخل علم الاجتماع إلى فهم التوازن في المجتمع، ص ٢٥٥ .
وأنظر د. سامية علي حسنين – القرية المصرية، ص. ص ٢٥٣ – ٢٩٦ .

والرقابة الاجتماعية هامة لأن الفرد لو ترك دون رقابة فإنه سوف يضرب بالمعـــايير الاجتماعـــية عـــرض الحائط . وهنا يصبح الضبط أو الرقابة الاجتماعية ضرورة ملحة . فالطفل يولد في جماعة لها قواعد ونظم معينة، إلاّ أنه يتمتع بعدد لا حصر له من الدوافع، وتتصارع هذه الدوافع الفوضوية من نظم المجتمع . ولهذا فهو يحـــتاج إلى الإلمـــام بقواعد النظم والقوى الأخلاقية . ويتأتى ذلك عن طريق تلقي الطفـــل الـــرقابة في محيط أسرته . فرقابة الوالدين على الطفل ذات أهمية كبيرة . وجماعـــة اللعـــب ذات أهمية في مجال الرقابة الاجتماعية . ففيها يتعلم الطفل من أصدقائه كيف يوفق بين رغباته ورغبات الجماعة، وكيف يضحي بمصالحه في سبيل مصلحة الجماعة .

والمدرسة من العوامل الهامة في مجال الرقابة الاجتماعية . ففيها يتعلم الفرد الدقـــة والـــنظام في مواعـــيد الدخول والخروج من وإلى المدرسة، وبدء الحصص ونهايتها، كما تتمثل في الدروس التي تلقى عليه، وأيضاً في اجتماع التلاميذ معاً في فصل واحد، مما ينتج عنه تحسين سلوك المنحرفين، فسخرية التلاميذ من المستهترين قد يكون له أثر في تحسين حال التلميذ العنيد .

ثم يـــأتي دور المجتمع الكبير في مجال الرقابة الاجتماعية . فقد كان لازدياد الجرائم وغيرها من ظواهر الانحراف والبعد عن المستوى العادي، وما صاحب ذلك من فوضى في السنوات التي أعقبت الحربين العالميتين الأخيرتين أكبر الأثر في زيادة الاهتمام بدراسة موضوعات الضبط على سلوك الأفراد وتصرفاتهم .

وتتخذ الرقابة الاجتماعية أشكالاً متعددة، فقد تتخذ شكل القوة المادية أو المعـــنوية . والقوانين الجنائية والمدنية والتجارية تعتبر أهم مظاهر الرقابة . كما قد تتخذ شكل الإيحاء والإغراء كالفن الذي يغرس في نفوس الأفراد السير على الأنماط

الاجتماعـــية، وكذلـــك الصحافة والإذاعة المسموعة والمرئية . كما تعتبر الترقيات والعـــلاوات والدبلومات والجوائز والاحتكار والفصل (الرفت) أشكالاً من الرقابة الاجتماعية [١] .

هـــذا وكلما كان المجتمع صغيراً ومحدوداً، كلما كان أقل تحضراً، وكانت العلاقـــات الســـائدة بين أفراده علاقات سوية، وكانت عوامل الضبط الاجتماعي الســـائدة في هذا المجتمع عوامل غير رسمية . وعلى عكس ذلك، كلما كان المجتمع أكـــثر حضارة وأكبر حجماً كلما تعقدت العلاقات الاجتماعية بين أفراده كانت عوامل الضبط الرسمية أكثر لزوما .

ولأن الـــريف من المجتمعات الصغيرة، فإن عناصر الضبط غير الرسمية هي الـــتي تســـوده، ثم تليها عوامل الضبط الرسمية . ويرجع هذا إلى أن الريفيين أكثر تمســـكاً بالقـــيم والعادات والتقاليد والدين، فهم يحترمون هذه العناصر أكثر من احترامهم للتشريعات والقوانين .

ويبدو أن للضبط الاجتماعي الغير رسمي فاعليته في الريف بسبب خضوع الريفيين لعوامل السلطة والسيطرة والضبط، وهذه العوامل يمثلها الآباء وأفراد العائلة وكـــبار السن بل الجماعة الريفية كلها، حيث يحافظ هؤلاء جميعاً على قيم المجتمع الريفي ومعاييره .

وتلعـــب الأســـرة في المجتمع الريفي دوراً أساسياً في تثبيت جذور الضبط الاجـــتماعي . هذا فضلاً عن المؤسسات الريفية التي تقوى هذا الاتجاه، وذلك عن طـــريق التنشئة الاجتماعية حيث يفرض على الفرد منذ نشأته الأولى عناصر الثقافة

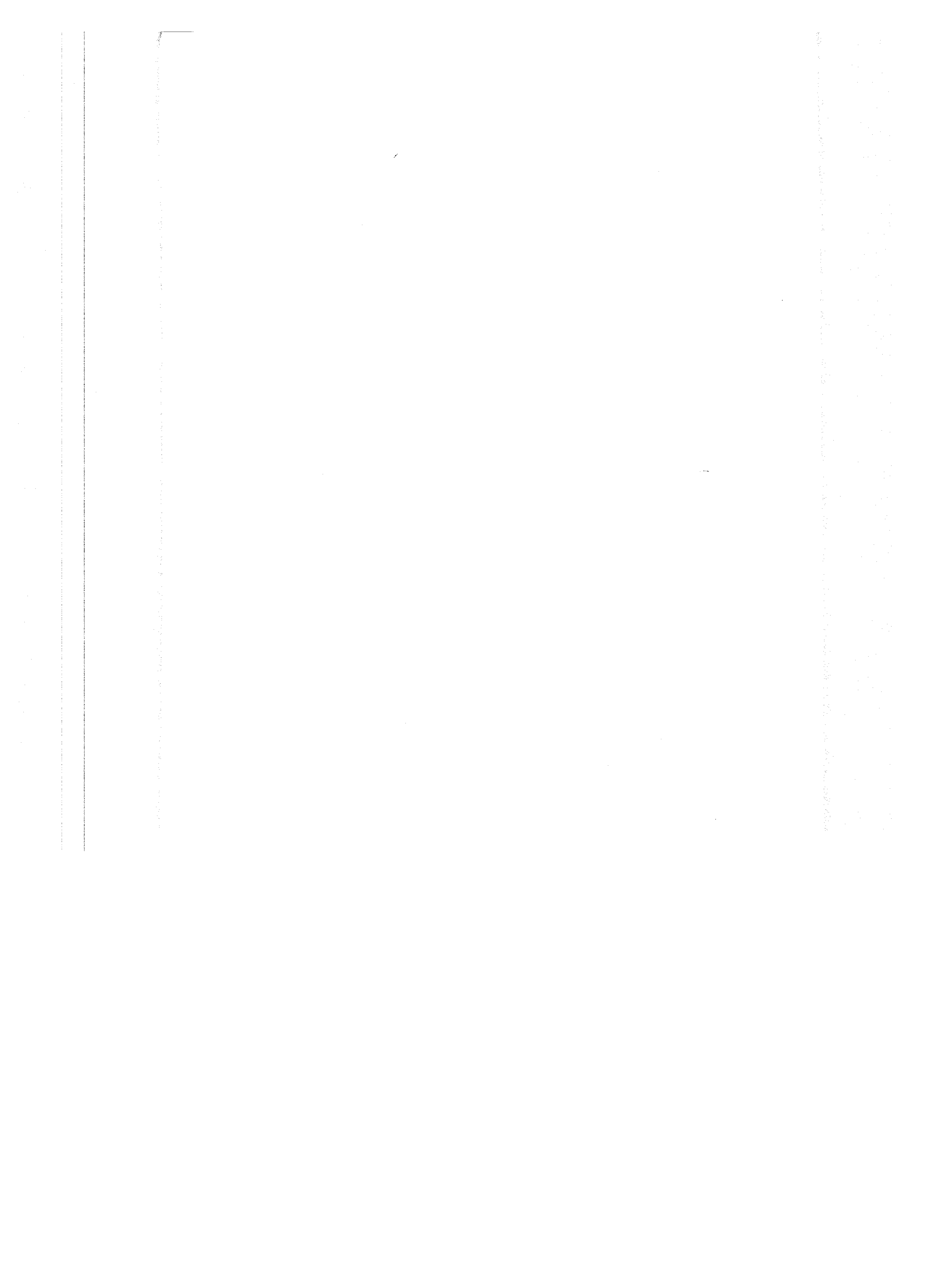
---

(١) د. حسين عبد الحميد أحمد رشوان - المجتمع - دراسة في علم الاجتماع، ص. ص ٣٠٩- ٣١١.

الريفـــية من عادات وتقاليد وقيم، مما يجعله ملتزماً التزاما شديداً بكل عناصر هذه الثقافة .

ومـــع ذلـــك فإن قسوة الضبط الاجتماعي في الريف قد تنتج عنها آثار سلبية. حيث أن التشدد قد يؤدي إلى الانحراف، مما ينتج عنه ظاهرة عدم التكيف بالنسبة لبعض أفراد المجتمع ممن قد يصابوا بالأمراض النفسية والعقلية . وقد يكون الضـــبط الاجـــتماعي الشديد عائقاً في طريق تطور المجتمع الريفي وأخذه بوسائل الحياة والأساليب العلمية المتطورة [١].

(١) أنظر د. عبد المنعم محمد بدر - مجتمعنا الريفي، ص. ص ١٨٠ - ١٨٣ .
وأنظر حسن على حسن - المجتمـــــع الريفي والحضـــــري - دراسة مقارنة مبســـــطة، ص. ص ٢٨٦ - ٢٨٨.



الفصل العاشر

النظم الاجتماعية في المجتمع الريفي

لا يســـتطيع إنسان أن يعيش بمعزل عن الآخرين، فطالما وجد الفرد، فإنه يعـــيش مع بقية أفراد الجماعة حتى يشبع حاجاته الاقتصادية والمعنوية . وينتج عن هذه المعيشة الجمعية تفاعل اجتماعي، وعلاقات اجتماعية منظمة في صورها المادية والمعنوية . وهذا التفاعل لا يتم سبهللا، وإنما يتم بطرائق منظمة . ويخضع لقواعد وضوابط معينة . وتتعدد هذه العلاقات وتتنوع بتنوع مطالب الجماعة ذاتها لتحقيق الوجود الاجتماعي .

وقـــد صـــنف عـــلماء الاجتماع هذه العلاقات إلى أقسام كل منها يقوم بوظـــيفة معينة حسب الأغراض التي ينهض بها . فالعلاقات الخاصة بالملكية والبيع والشـــراء والإنـــتاج والتوزيع والاستهلاك تسمى بالعلاقات الاقتصادية أو النظم الاقتصـــادية . والعلاقـــات الخاصـــة بالقـــرابة والزواج والطلاق والميراث وتعدد الـــزوجات تسمى العلاقات أو النظم الأسرية . والعلاقات الخاصة بالعبادة ودفن الموتـــى تسمى بالنظم الدينية .. وعند هذه النظم ينجز الإنسان أهدافه، ويجد حلاً لمشاكله، فالنظم هي عماد الجماعة، وبنيانها، ومن خلالها يقوم الفرد بنشاطاته وهي التي تهيئ للمجتمع طابعه .

وعـــلى الرغم من شيوع هذا المصطلح، فقد اختلف العلماء في تعريفهم له تــبعاً لوجهة نظر كل منهم . ومن هنا نجد أنفسنا أمام عدد هائل من التعريفات، ولهذا نكتفي بذكر بعض منها .

يعرفها " كولي **Cooley** " في كتابة " التنظيم الاجتماعي **Social Organization** " (١٩٠٩م)، و" ديفــز **Davis** " في كــتابة "المجتمع الإنســـاني **Human Society**" (١٩٤٨م) بأنها : مركب ضخم من المعايير يوحدها المجتمع بطريقة منتظمة لكي يشبع حاجـــــاته الأساسية [١] .

وعـــرف الأستاذ " **Nadel** " [٢] النظام الاجتماعي بأنه : طريقة مقننة للســـلوك الاجـــتماعي، أو طريقة مقننة للعمل المشترك . ويرتبط النظام باعتباره ســـلوكاً مقنناً بوجود بعض الجزاءات الاجتماعية **Social Sanction** . وربما كـــان السبب في إتباع الناس للنظم الاجتماعية في مجتمعاتهم وتمسكهم بهذه النظم خشية التعرض لهذه الجزاءات .

ويؤيـــد ذلك " بريستيد **Briestedt** " [٣] إذ عرف النظام الاجتماعي بأنه " أسلوب محدد ورسمي ومنظم لعمل شيء ما " .

أمـــا الأســـتاذ " ماكيفر **Maciver** " فقد قدم لنا أكثر من تعريف في كتـــبه المخـــتلفة . ففي كتابة " المجتمع المحلي **Community** " يعرف النظام بأنـــه: الصور أو الأشكال التي يدخل الناس بمقتضاها في علاقات اجتماعية. ولكنه

---

(١) د. عبد الهادي الجوهري – معجم علم الاجتماع، ص ٢٥٣ .

(٢) د. أحمـــد أبو زيد – البناء الاجتماعي – مدخل لدراسة المجتمـــــع – الجزء الأول – المفهومات، ص ١٢٦ .

(3) Horton, Paul B. & Hunt, Chester, Op, Cit , P. 168.

في كتابة " المجتمع **Society** " يقول : أنه يمكن تسمية كل ما هو مقرر اجتماعياً نظاماً . فكل نظام لا بد أن ينطوي على قدر معين من اعتراف المجتمع به وقبوله له وتدعيمه إياه، وأن لكل نظـــام قدر معين من الثبوت والدوام . والثبات دون التدعيم غير كاف، فليس من المناسب أن يتحدث عن الفقر والفقراء على أنه نظام، لأن المجتمع لم يقصد عمداً إلى إقرار الفقر وتدعيمه رغم وجود الفقراء بيننا دائماً، فالفقر نظام في سلك الرهينة أو بين رجال اليوجا . ولكن من الغلظة والقسوة بمكان أن نتحدث عن الفقر على أنه نظام في جماعة كبرى، لمجرد التماثل الذي ينطوي عليه ذاك التدعيم .

ولهذا يذكر الأستاذ **"ماكيفر"** في كتابة الذي اشترك فيه مع بيج **Page** بعـــنوان **"المجـــتمع"** أن النظم الاجتماعية هي : الأشكال المقررة لأساليب العمل والســـلوك في الحياة الاجتماعية – أي أشكال من الترتيب والنظم أقرتها ودعمتها إرادة عامة مشتركة في نطاق الحياة الاجتماعية .

وفي مجـــال آخـــر يذكر أن النظم الاجتماعية هي أساليب نمطية للسلوك الاجـــتماعي، ويـــتكون منها الجهاز الذي عن طريقه يستطيع البناء الاجتماعي أن يستقر ويستمر [(١)] .

وقـــد أثـــار **"ماكـــيفر"** مســـألة العلاقـــة بـــين المنظمات أو الروابط **Association** وبـــين النظم **Institution** . فالأولى هي الجماعات المنظمة لمـــتابعة مصـــلحة أو عـــدة مصالح مشتركة . والثانية هي الصورة المقررة والمميزة

---

(١) أنظر ماكيفر / ر . الجماعة – دراسة في علم الاجتماع، ص ١٩٦.

لنشـــاط هذه الجماعة . وهي مجموعة من القواعد والإجراءات المعترف بها لتنظيم هذه الأدوار – أي الأسلوب أو الطريقة التي تؤدي بها الأعمال .

إنـــنا ننتمي إلى روابط، ولا ننتمي إلى نظم . فالأسرة التي ننتمي إليها هي مـــنظمة أو روابـــط لها نظم – أي قواعد تضمن وصول العمل المشترك إلى أهدافه وتنظيم علاقة الفرد بالآخر، مثل : الزواج، والعلاقة الزوجية، والمترل . وإذا نظرنا إلى كلية أو معهد كهيئة من العميد والأساتذة والطلبة فإننا نظر إليها كرابطة . وإذا نظرنا إليها كأداة للتعليم، فإننا ننظر إليها كواحدة من النظم السائدة . وعليه فالبناء الاجتماعي يتكون من المنظمات (الروابط) والنظم معاً .

وفرق "**ماكيفر**" بين النظم من جهة والعرف والأعراف من جهة أخرى . فذكر أن العرف والأعراف طرائق ثابتة لاتصال الناس بعضهم ببعض، وهي ليست نظام، بل هي المادة الخام للنظم .

واســـتخدم "**هــ. م. بارنز**" كلمة " **البناء** " في تعريفه للنظم الاجتماعية الســـائدة . فقد عرفها بأنها البناء الاجتماعي، والآلة التي عن طريقها ينظم المجتمع الإنســـاني . كمـــا يوجه وينفذ نواحي النشاط المتعددة المطلوبة لإشباع الحاجات الإنسانية واستنادا لهذا المعنى تعتبر الأسرة والزواج والدولة والحكومة نظماً سائدة .

ويـــرى " **مالينوســـكي** " أن النظم الاجتماعية وحدات للنشاط البشري المـــنظم ؛ وفكرة النظام هذه تقتضي وجود اتفاق عام في المجتمع على مجموعة من المعايير والعادات والقيم والمهارات المكتسبة والقانون . ويطلق على ذلك مصطلح " **الميـــثاق** " وهي التي تميز الأنشطة التي يقوم بها كل نظام عن النظم الأخرى . كما

أنها تتضمن في الوقت نفسه وجود جماعة من الناس ينتظمون فيما بينهم، ويدخلون في علاقات محددة أحدهم بالآخر .

وتـــترابط النظم الاجتماعية ببعضها مع بعض بحيث يؤثر ويتأثر كل منها بالآخر . فإذا طرأ تغير على أحد الأنظمة، فإنه ينعكس أثره على الأنظمة الأخرى. وهـــي تدخل جميعاً في نموذج يمثل الحياة الاجتماعية ككل في مجتمع معين . وعلى ذلـــك يعتبر المجتمع نسقاً اجتماعياً شاملاً يتكون من أجزاء ووحدات مترابطة فيما بيـــنها ارتـــباطاً وظيفـــياً، وكـــل جزء وكل وحدة تقوم بعملها في إطار النسق الاجتماعي الشامل [١] .

هذا وتتعدد وتتنوع النظم الاجتماعية . إلاّ أن هناك مجموعة منها لا يخلو أي مجـــتمع مـــنها، ولا يمكن أن يستغني عنها مهما بلغت درجة تقدمه أو نموه أو تخلفـــه وانحداره . وهذه النظم هي النظام الأسري، والنظام الديني، والنظام القبلي، والنظام الترفيهي، والنظام الاقتصادي، والنظام السياسي [٢] .

مـــن جملـــة ما سبق يتبين أن النظم الاجتماعية عبارة عن تنظيم التفاعل الاجتماعي الذي هو قاعدة العلاقات الاجتماعية، متضمناً ذلك مجموعة من المعايير والإجـــراءات تتفق عليها الجماعة، والتي تحدد أنماط السلوك والفعل الاجتماعي . وهـــي تحدث بطريقة منظمة رتيبة . وترمي إلى تحقيق هدف محدد بالذات، وتؤدي وظيفة ودوراً معيناً لتصون البناء الاجتماعي وتحافظ عليه [٣] .

---

(١) أنظر د. عبد الباسط محمد حسن – علم الاجتماع – المدخل، ص ٣٨٥ .
وأنظر د. عبد الباسط محمد حسن – التنمية الاجتماعية، ص. ص ٥٨ – ٧٦ .

(٢) د. حسن همام – دراسات في المجتمع الريفي، ص. ص ٥٥ – ٥٧ .

(٣) د. حسن عب الحميد أحمد رشوان – المجتمع – دراسة في علم الاجتماع، ص. ص ١٣٠ – ١٣١.

الفصل الحادي عشر

الأسرة في المجتمع الريفي

الأســـرة هـــي أحد مقومات الوجود الاجتماعي في المجتمع الإنساني وهي نظـــام اجـــتماعي عالمي، من أقدم النظم الاجتماعية التي تواجدت في المجتمعات . فـــنحن لا نعلم عن أي مجتمع لم يكن فيه تنظيم للزواج . وقد يختلف هذا التنظيم مـــن مجـــتمع إلى آخر، ولكنه متواجد في كل المجتمعات . ولقد أوجد الله سبحانه وتعـــالى في الإنسان ضرورة وجود الأسرة بصفة فطرية . ويتحقق ذلك عن طريق الزواج لكائنين لا غنى لأحدهما عن الآخر، وهما الرجل والمرأة .

ويوجـــد معـــياران لتعريف العلاقة بين الرجل والمرأة، والتي تؤدي إلى تكوين زيجة وهما :-

١ - الشرعية .

٢ - نية الاستمرار في العلاقة الزوجية .

والأسرة هي هذا الاتحاد القائم بين هذين الكائنين : الرجل والمرأة بصورة يقرها المجتمع فالزواج مرحلة وشرط ضروري لقيام الأسرة . والأسرة نتاج للتفاعل الـــزوجي . ولكـــي نفرق بين المصطلحين نذكر أن الزواج هو تزاوج منظم بين الرجال والنساء، على حين أن الأسرة تدل على الزواج مضافاً إليه الإنجاب [١] .

---

(١) أنظر د. محمد عاطف غيث – علم الاجتماع ، ص ١٩٦ .

والأســـرة هـــي الوحـــدة الأساسية في التنظيم الاجتماعي، ومؤسسة من المؤسســـات الاجتماعـــية ذات الأهمية الكبرى . ففيها تبدأ حياتنا الأولى، ونتعود علـــيها . وهي تصنع أولى خبراتنا، وفيها تتشكل شخصياتنا، ونتكيف مع البيئات المتغيرة نحونا . وهي مصدر الأخلاق، والدعامة الأولى لضبط السلوك، ويلقى فيها الكبار والصغار مصدر الرخاء [١] .

ويعتبر البعض الأسرة وحدة طبيعية اجتماعية ثقافية . فهي جماعة مستقلة داخل المجتمع، ويرتبط الواحد منهم بالآخر برباط الدم . فها هو "هربت سبنسر" يعرف الأسرة بأنها وحدة بيولوجية واجتماعية .

ويعـــرف "جـــورج ميروك **G. Murock**" (١٩٤٩م) الأسرة بأنها جماعـــة اجتماعـــية يقـــيم أفـــرادها جميعاً في سكن مشترك، ويتعاونون اقتصادياً ويتناسلون . ويترتب على ذلك حقوق وواجبات ورعاية وتربية للأطفال الذين أتوا نتيجة هذه العلاقات [٢] .

وخلاصة القول فإن كلمة الأسرة، والتي تقابل بالإنجليزية **Family** تعني معيشـــة رجـــل وامـــرأة أو أكثر معاً على أساس الدخول في علاقة جنسية يقرها المجتمع، بما تسمح بإنجاب الأطفال، وما يترتب على ذلك من حقوق وواجبات بين أفـــرادها كـــرعاية الأطفال وتربيتهم . وهم يعيشون معيشة اجتماعية واقتصادية واحدة . وهم يتفاعلون ويتصلون وفق أدوارهم الاجتماعية الخاصة بكل منهم .

---

(١) أنظر د. عبد الهادي الجوهري – أسس علم الاجتماع ، ص ٢٠٧ .

(٣) د. محمد عاطف غيث – دراسات في المجتمع القروي، ص ١١٨ .

See Morgan, D. H, Social Theory and the Family, P. 20 .

أمـــا كلمة العائلة، وهي تقابل الإنجليزية لفظ **Extended Family** فهـــي تشـــير إلى الجماعة التي تقيم في مسكن واحد، وتتكون من الزوج والزوجة وأولادهما من الذكور والإناث غير المتزوجين، والأولاد المتزوجين وأبنائهم وغيرهم مـــن الأقارب كالعم والعمة، والخال والخالة، والابنة الأرمل الذين يقيمون في نفس المسكن، ويعيشون حياة اجتماعية واقتصادية واحدة، وتحت إشراف رئيس العائلة .

وتعد العائلة الوحدة الأساسية في الحياة الاجتماعية الريفية، وفي بناء القرية اجتماعـــياً، وهـــي جماعة متماسكة شديدة الترابط . وهي تحدد لأفرادها أدوارهم وأنماط سلوكهم .

- خصائص الأسرة :

١ - الأسرة هي الخلية الأولى في أي مجتمع، ومن مجموع الأسر يتكون المجتمع . ومن خلالها يتم توفير الرعاية والغذاء .

٢ - العمومـــية : الأسرة أكثر الظواهر الاجتماعية عمومية وانتشار وتردداً في المجـــتمع الإنساني، ولا يخلو منها أي مجتمع، وهي موجودة في كل المراحل الـــتي مـــرت بها المجتمعات الإنسانية . ويكاد يكون كل إنسان، أو كان بالفعل عضو في أسرة ما .

٣ - الحجـــم المحدود : لا تنمو الأسرة إلى ما لانهاية، فهي بالضرورة محدودة الحجـــم، إذ تتوقف عن النمو عند حد معين، وهي أصغر الكل إذا قيست بالنظم الأخرى .

٤ - توفر الأسرة لأعضائها الأساس العاطفي الذي يوفر الاستقرار والأمن .

٥ - الأسرة هي المدرسة الأولى التي يتعلم فيها الطفل لغته، والمعايير الاجتماعية ومـا تشـملها مـن عادات وهي تمارس قواعد الضبط الاجتماعي على أفرادها.

٦ - تضفي الأسرة على أفرادها خصائصها وطبيعتها . فإذا كانت الأسرة قائمة على أسس دينية تشكلت حياة الأفراد بالطابع الديني. وفي الريف تتأصل المفاهـيم الدينية المتصلة بالبركـة، **"وكلُّ من عند الله"** في نفوس أفراد العائلـة . وكـلما ازداد صلاح القروي كلما بارك الله في أرضه وعمله والعكس بالعكس .

أمـا إذا كانت الأسرة قائمة على اعتبارات قانونية تشكلت حياة الأفراد بالطابع التعاقدي (١) .

٧ - الأسـرة تؤثـر وتتأثر بما عداها من النظم الاجتماعية الأخرى فإذا كانت الأسـرة مـنحلة وفاسـدة تردد صدى ذلك في وضع الدولة السياسي، وإنـتاجه الاقتصادي، وأصبح فاسداً، مما يؤثر في مستوى معيشة الأسرة، وفي تماسكها . وخير مثال لذلك أننا نشاهد في الدول المستقرة سياسياً أن الأسرة مدعمة وقوية ومحل رعاية الدولة، وفيها التشريعات المحققة لسعادة الأفراد . أما المجتمعات غير المستقرة سياسياً فنجد فيها عكس ذلك .

---

(١) أنظر د. خيري خليل الجميلي ، ود. بدر الدين كمال عبده – المدخل إلى الممارسة المهنية في مجال الأسرة والطفولة ، ص ١١ .
وأنظر د. عبد العزيز الرفاعي – التطور الاجتماعي للشباب المصري ، ص ٢٤٧ .

٨ - تعتبر الأسرة وحدة اقتصادية متضامنة يقوم فيها الأب بإعالة زوجته وأبنائه وتقـــوم الأم بأعمال المترل . وقد تعمل الزوجة أو بعض الأبناء فيزيدون بذلك من دخل الأسرة .

وقـــد كانت الأسرة في القديم تقوم بكل مستلزمات الحياة واحتياجاتها . وكـــان إنتاج الأسرة رهن استهلاكها . وعندما اتسع نطاق الأسرة أصبح الإنـــتاج مـــن خصائص المرأة، وكان الرجل يعمل في إحدى الهيئات أو المؤسســـات .. ومع ذلك ينظر معظم الأفراد إلى الأسرة الحديثة باعتبارها شركة اقتصادية بين عميلين هما الزوج والزوجة .

٩ - للأســـرة طبـــيعة مـــزدوجة تتمثل في أن كلاً من الزوج والزوجة يرتبط بأســـرتين يكون في واحدة منها الإبن أو الإبنة، ويكون في الأخرى الأب أو الأم .

١٠ - الأســـرة دائمة ومؤقتة في نفس الوقت . فهي دائمة من حيث كونها نظاماً موجـــوداً في كـــل مجتمع إنساني في كل زمان ومكان . وهي مؤقتة من حيث أنها تأخذ في الانهيار عندما يتزوج الأبناء، وفي حالة موت الزوج أو الزوجة، تنهار تماماً وتختفي بموت الزوجين، وتحل محلها أسرة أخرى .

١١ - يعـــيش أعضـــاء الأســـرة الزواجية تحت سقف واحد، قد يكون حجرة صـــغيرة، أو شقة فاخرة، أو كوخ بسيط، أو قصر عظيم . وقد اختلفت المجـــتمعات في تحديد مكان الزوجية . فهناك من تسكن مع أسرة الزوج ويطلـــق عـــلى هذا اصطلاح Virilocal وهناك من تسكن مع أسرة الـــزوجة Exori Local . وفي بعض المجتمعات يترك للأسرة الزواجية

الجديـــدة حـــرية السكن مع أسرة الزوج أو أسرة الزوجة Bilocal . وهـــناك مـــن تسكن مع أسرة خال الزوج Avunculocal . وأخيراً هناك مجتمعات لا تحدد مكان مسكن الأسرة الزواجية الجديدة، وإنما يترك ذلـــك لحريتها تبعاً لمؤشرات أخرى مثل قرب المسكن من عمل الزوج أو عمل الزوجة .

ويلاحـــظ أن كثيراً من المجتمعات تجمع بين أكثر من نظام واحد من النظم السابقة الذكر، فمثلاً عند قبائل الهنود الحمر يعيش الزوجان عند أهـــل الـــزوجة في الستة شهور الأولى من الزواج . ثم ينتقلان إلى منزل جديـــد بالقـــرب من مسكن أهل الزوج حيث يستقرون فيه . وبالنسبة لقـــبائل الأشانتي بغرب إفريقيا يوجد نظام السكن مع أسرة خال الزوج، ونظام السكن مع أسرة الزوجة .

١٢ - يـــبدو الـــنظام الأســـري بسيطاً . ومع ذلك فهو يشتمل على عدد من العلاقـــات الاجتماعية المعقدة . فمثلاً عند الزواج يدفع المهر، وهو يتألف مـــن عـــدد من الظواهر الاجتماعية التي تختلف من مجتمع إلى آخر . فقد يكون المهر نقوداً . وقد يتألف من بعض السلع الاستهلاكية أو الممتلكات أو الماشـــية . كما يختلف مقداره وطريقة الإتفاق عليه، وطريقة دفعه، وما يـــلازم ذلك من مراسيم وطقوس معقدة من مجتمع إلى آخر . وفي بعض المجتمعات يستعاض عن المهر بتبادل الزوجات والأزواج بين العائلتين [1] .

---

(١) أنظر د. أحمد أبوزيد – المرجع السابق ، ص ١٣٤ .
وأنظر د. حسين عبدالحميد أحمد رشوان – المجتمع – دراسة في علم الاجتماع ، ص ١٤٥ .

- خصائص الأسرة الريفية :

١ - ينظر المجتمع الريفي للزواج والأسرة على أنه النظام الاجتماعي الذي يتسم بالاستمرار والامتثال للمعايير . كما أنه الوسيلة التي يعتمد عليها أي مجتمع لتنظيم المسائل الجنسية والزواج كقيمة اجتماعية ملحة تحكمه عدة معايير تفسر معناه .

٢ - وينظر للزواج على أنه ظاهرة مقدسة أو نظام إلهي مقدس خلقه الله وتؤكده الشرائع السماوية والكتب المقدسة كأساس للحياة الإنسانية . فالزواج تنفيذ للأوامر الإلهية تليها في المرتبة الثانية رغبات الإنسان الشخصية وتكون السلطة في يد الله .

٣ - وينظر الريفيون على أنه أساس للالتزامات الاجتماعية .

٤ - يرتبط الفلاح بماضيه، فهو يقر ما قاله السابقون، ويوقر كذلك حكمة الشيوخ لمستوى فعاليتها بالنسبة لفاعلية حكمة الآباء . فالثقافة التقليدية تجمع القرية . وما دامت البيئة توفر له الاستقرار، ولذلك فهو يتحرر من كل جديد، وتكشف الأمثال ذلك، ومنها ما يقول **" اللي مالوش قديم مالوش جديد، واللي تعرفه أحسن من اللي ما تعرفوش "** .

٥ - **السلطة :**

الأسرة الريفية ذات سلطة أبوية تسلطية، فالأب هو صاحب السلطة العليا على أفرادها، وهو ذو هوية جامدة ومحددة ومعروفة وغير قابلة للنقاش أو التعديل . وهو صاحب السلطة العليا، وله مكانته كأب وزوج وكأكبر

الأفراد سناً وخبرة . وهو مصدر التوجيه لجميع أحوال الأسرة وأفرادها . وإذا كــان للأم في الواقع نفوذ كبير وتأثير في شئون الأسرة . ولكن ذلك يــتم بطريقة غير ظاهرة أو غير مباشرة حتى تبقى للرجل مكانته وتحتفظ الأسرة بتماسكها ووحدتها داخل المجتمع .

٦ - **الأقـــارب :**

يعــني الزواج الامتثال لرغبات الأقارب والجماعة القروية والمجتمع المحلي . ولهــذا يصــبح الطلاق أو الحمل قبل الزواج مرفوض من المجتمع، ويدينه الأقارب .

٧ - **التعـــاون :**

تمتاز الأسرة الريفية بالتعاون الجماعي، واشتراك جميع الأفراد، الأب والأم والأولاد في العمل والإنتاج الزراعي في الأرض التي يحوزونها . ويقوم كل فــرد بالدور الذي يناسبه سناً وقدراً ونوعاً . فهناك أعمال زراعية تحتاج إلى خبرة ومجهود كبير، وكذلك أعمال البيع والشراء يقوم بها الرجال، أما النســاء والأولاد فيقومون بأعمال بسيطة ورعاية الماشية، وتصنيع غذائي وأعمال منزلية كالطبخ والغسل، كما يقوم النساء بالإشراف على الأطفال وترتيب الأثاث .. غير أن هذا التقسيم في العمل لا يمنع الاشتراك الجماعي في العمــل الزراعي في كل موسم . وعلى ذلك يمثل أعضاء الأسرة وحدة إنتاجية واحدة يعود دخلها للأسرة كلها .

٨ - المســـكن :

يقع مسكن الأسرة الريفية في الأرض الزراعية نفسها، وليس بعيداً عـــنها . نعم لا تخلو أي مدينة من مزارعين أغنياء يعيشون في المدن، ولا يـــزورون القرية إلاّ قليلاً . ومع ذلك فإن الظاهرة الطبيعية هي أن الفلاح يعيش في أرضه أو القرية القريبة من أرضه.

وهـــنا يبدو الفارق كبيراً بين الفلاحين والعمال ولا سيما الذين يعملون في المدن الصناعية الكبرى . فهؤلاء العمال يسكن بعضهم المدينة ولكـــن أكـــثرهم يلجأ إلى المناطق المجاورة ابتغاء الحياة الرخيصة مسكناً ومطعمـــاً . وقد تقع بعض المناطق المجاورة على بعد كيلومترات كثيرة من مركـــز المدينة، لذلك إذا وقف أحدنا قبيل الساعة الثامنة صباحاً في محطة مـــن محطات هذه المدن يلاحظ نزول الركاب من القطار بكميات وافرة يخـــرجون مـــن أبـــواب المحطـــة ليدخلوا المدينة ويتوزعوا على حوانيتها ومـــتاجرها ومصانعها، وفي مساء اليوم تبدو الظاهرة معكوسة إذ يتوافد العمال ليركبوا القطار خارجين إلى الضواحي .

وتمـــتاز الأســـرة الريفية أخيراً بتجانس الجوار . فالريف يسكنه الريفـــيون، والريفـــيون في المنطقة الواحدة هم عائلات متشابهة في الحياة اليومية والعمل اليومي . يخرجون صباحاً من مساكنهم البسيطة وينتشرون في الحقـــول لا فـــرق بين أحدهم والآخر، كلهم في أيام واحدة يحصدون وكـــلهم في أيام أخرى يحرثون أو يبذرون. ومن المشاهد البديعة في القرى الأوربـــية الشمالية خروج الريفيين أيام الصحو (وهي أيام قليلة العدد) إلى

الـــبراري في موسم الحصاد وتعاونهم رجالاً ونساءً كباراً وصغاراً في إنهاء هذه العملية قبل نزول المطر . وهذه صورة أخرى جميلة من صور التضامن العائلي في الريف، بل التضامن القروي والمحلي في دائرة أوسع .

٩ - الحجـــــم :

الأســـرة الريفية كبيرة الحجم كثيرة المواليد، حيث يهتم الريفيون بـــتزويج أبنائهم في سن مبكرة . وتهتم الأسرة الريفية بزيادة عدد أبنائها لدعم عزوتها وقوتها، كما أن الأسرة الريفية مازالت تنظر إلى أبنائها كقوة اقتصـــادية، وكمصدر للدخل أكثر من أنهم باب للتكلفة، ولاستغلالهم في المعاونة في العمل الزراعي في سن مبكر، حيث يمثل الأطفـــــال حـــوالي (٤٢%) من قوة العمل الزراعي .

وبالإضافة إلى ذلك فإن عدم إلمام الفلاحين بوسائل تنظيم النسل، والاتكالـــية الـــتي يتسمون بها، والتي تتضح من قولهم **"اللي ييجي رزقه معاه"**. فجميع هذه العوامل تؤدي إلى كثرة المواليد، وكبر حجم الأسرة .

١٠ - التركيـــــب :

حيث تعتبر الأسرة الريفية أسرة مركبة تضم جيلين أو أكثر داخل مترل واحد ويشتركون في معيشة واحدة تشمل الجد والأب والأبناء، إلاّ أنها لا تستمر طويلاً على هذا الحال، فبعد وفاة الجد يتدخل عامل ميراث الأرض، وهي سلعة نادرة حيث يتكالب الفلاحون على ملكيتها وسرعان مـــا تـــبدأ عملية تقسيم الميراث وانفصال الأسرة المركبة إلى أسر بسيطة تتكون من الزوج والزوجة والأولاد الصغار .

١١ – اختيار الزوج :

تلعـــب الأرض وحـــيازتها دوراً بارزاً في تكوين الأسرة الريفية فملكـــية الأرض أو احتمال ملكيتها عن طريق الميراث يعتبر أحد الأسس الهامـــة التي يقوم عليها اختيار الزوج أو الزوجة في الريف . وبالرغم من اهتمام الريفيين الواضح بالنسب والأخلاق والسمعة عند تكوين أسرهم، فإن ملكية الأرض حالياً أو آجلاً تفوق هذه الصفات في هذا المجال .

١٢ – الاســـتقرار :

وتمتاز الأسرة الريفية بالاستقرار في موطنها حيث تتوافر الروابط المـــتعددة بالناس والأرض مما يدفع إلى عدم الميل للانتقال والهجرة غالباً، كمـــا يخشـــى أفـــرادها بحكـــم طبيعة تربيتهم وتنشئتهم المجهول وما قد يصادفهم من متاعب خارج موطنهم .

١٣ – تعـــدد الزوجات :

يشـــكل حـــق الرجل في تعدد الزوجات والذي يعتبره الدين من الضروريات، وبشرط القدرة والعدل، ويتصوره الرجل الريفي حقاً مطلقاً، يشـــكل تهديـــداً لسلامة الأسرة ويؤثر على حياتها تأثيراً سيئاً . فهو يجعل المـــرأة تهتم اهتماماً خاصاً بزيادة عدد أطفالها تدعيماً لمركزها مع زوجها، وحمايـــة لأسرتها . وبالرغم من أن نسبة من يتزوجون بأكثر من واحدة لا يتجاوز (٧%) من المتزوجين بالريف . كما أن نسبة المتزوجين بأكثر من واحـــدة إلى المتزوجين عامة لا تزيد عن (٣٦%)، إلاّ أن حالات الطلاق كثيرة وتنجم عن تعدد الزوجات .

١٤ - الطـــــلاق :

يمـــثل الطلاق مشكلة كبرى في حياة الأسرة سواء في الريف أو الحضـــر . وتشير الإحصاءات إلى أن الطلاق في الريف أقل منه في المدن . والجـــدول رقم (١) يبين أن المقارنة بين نسب الطلاق في محافظتي القاهرة والإســـكندرية مـــع محافظة كفر الشيخ من الوجه البحري، وأسيوط من الوجه القبلي تظهر أن نسبة الطلاق في المحافظات الحضرية أعلى بكثير منها في المحافظات الريفية .

جدول رقم (١)

يبين مقارنة بين نسبة الطلاق إلى الزواج في محافظتين حضريتين كبيرتين ومحافظتين ذات طابع غالب ريفي عن عام ١٩٥٠ - ١٩٦٠م

المحافظـــــة	نسبة الطلاق إلى الزواج	
	١٩٥٠م	١٩٦٠م
القاهرة	٤٤ %	٤٢ %
الإسكندرية	٣٩ %	٣٥,٥ %
كفر الشيخ	١٦ %	٩,٢ %
أسيوط	١٩ %	١٢,٣ %

وتتلخص العوامل التي تؤدي إلى الطلاق في الآتي :-

١ - عوامل اجتماعية، ومن أهمها إباحة الطلاق للرجل في الشريعة الإسلامية . ولـيس العيب عيب الشريعة إنما العيب هو سوء استغلال الرجل لهذا الحق المسوغ له في الضرورة القصوى **{وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً}** (قرآن كريم) . وقول الرسـول علـيه الصلاة والسلام **{إن أبغض الحلال عند الله الطلاق}** . وتبدو خطورة استغلال هذا الحق لو قارنا بين نسبة الطلاق بين المسلمين وبين غيرهم من الطوائف المسيحية، فنسبة الطلاق عند المسلمين قد بلغت عام ١٩٤٧م حوالي (٢٨%) من شهادات الطلاق .

٢ - عوامـل اقتصادية، فالاتجاه إلى اختيار الزوجة الثرية أو المالكة للأرض في الريف يلعب دوراً هاماً في تكوين الأسرة بحيث يتغاضى الزوج عن عناصر الـتوافق اللازمـة عند الزواج . كما أن إعسار الزوج وقلة دخله له تأثير كـبير في هذه الناحية خصوصاً إذا كان الإعسار نتيجة لاتجاه الزوج إلى المسـكرات أو المخدرات أو القمار أو أبواب الصرف التي تستحوذ على دخل الأسرة .

٣ - عوامـل فسيولوجية ونفسية، مثل عدم توافر الانسجام الروحي والعاطفي والجنسـي بين الزوجين نتيجة لاختلاف الميول والثقافة، أو نتيجة لفارق السـن بينهما ومن هذه العوامل أيضاً العقم والأمراض السرية والتناسلية والقسوة ... الخ .

٤ - عوامـــل تـــربوية، كعـــدم الإعداد السليم والدراية المتزنة للحياة الزوجية والأسرية .

وجمـــيع الأســـباب السابقة أسباب متداخلة ومتشابكة فالطلاق لا يكون نتيجة لإحدى هذه العوامل فقط، بل إن أكثر من عامل يتداخل عادة لحدوثه .

١٥-المـــــرأة :

تعتبر المرأة الريفية أقدر مدبرات المترل، ويعتبر كفاحها للدفاع عن أسرقما مضـــرب الأمـــثال حتى في ظروف اجتماعية قاسية، وتحت تمديد مستمر من حق الـــرجل المطلق في الطلاق أو في الزواج من غيرها . وينظر المجتمع الريفي إلى المرأة الولـــود خاصـــة التي تنجب الذكور أكثر من الإناث نظرة تقدير واحترام . وربما يمكن مرد تلك الرغبة في كثرة إنجاب الذكور إلى أنهم كانوا يمثلون القوة الإنتاجية للأســـرة حيـــث كانوا يساعدون في العمل الزراعي ومن ثم يمكن اعتبارهم مصدر للدخل، هذا فضلاً عن اعتبارهم عصبية أو عزوة .

وفي صـــدد الحديـــث عن كثرة الإنجاب وأسبابه ينبغي الإشارة إلى بعض العوامل أو الظروف الأخرى، وقد لعبت بعض العوامل دوراً في هذا الصدد ومنها: قلة وبساطة تكلفة تربية الأبناء ؛ مما ساعد على عدم انتشار تعليم الأبناء، وكذلك عـــدم وجود وعي صحي بأضرار الحمل والولادة المتكررة، فضلاً عن زيادة فرص اللقـــاء بـــين الزوجين نتيجة عدم وجود كهرباء أو وسائل تسلية كالتلفزيون مثلاً للســـهر أمامه، أضف إلى هذا الرغبة الذاتية في الإنجاب وإنجاب الذكور — بصفة

خاصـــة – باعتبارهم زينة الحياة ومتعتها، ونظرتهم هذه متأثرة بالآية الكريمة **{المال والبنون زينة الحياة الدنيا}** [١] .

١٦- الاســـــتقلال :

تعتبر الأسرة الريفية أكثر استقلالاً عن غيرها من الأسر فيما يتعلق بإشباع حاجات أفرادها وهذا يرجع إلى طبيعة العمل الزراعي الذي تمارسه .

الأســـرة الريفية تستمد من القرية كمجتمع محلي الدعم الذي مكنها من أداء وظائفهـــا المخـــتلفة، وهذا يظهر جلياً في إحدى صوره حيث يسود التكافل الاجـــتماعي بـــين أسر القرية الواحدة خاصة حينما تتعرض أي أسرة فيه لنكبة أو حادث اليم أو حتى موقف فرح وسعادة .

أثر التغير الاجتماعي على الأسرة الريفية :

ظهـــرت تغـــيرات اجتماعية انعكست على نظام الأسرة في القرية . فقد كانـــت زيادة حجم السكان وتناقص الأرض إيذاناً ببدء خلافات كانت الشرارة الأولى لأزمـــة الأســـرة .. وكان لانتشار التعليم وخروج الأب القروي إلى المدينة للتعلـــيم، ثم استقلاله بنفسه دون العودة إلى الإقامة في القرية أثر في هبوط التضامن الأسري في القرية ؛ مما ترتب عليه اضمحلال سلطة الأب . وكان للتصنيع وتقدم وســـائل التكنولوجـــيا الحديثة من وسائل الإعلام والمواصلات أثر كبير في اتصال القرية بالمدينة والعالم الخارجي .

---

(١) د. سامية علي حسنين – القرية المصرية، ص. ص ٣٠٦ – ٣١٦ .

وقد كان لهذه التغيرات أثر على الأسرة القروية يبدو في الآتي:-

١ - **من حيث الحجم :**

تمـــيز حجـــم الأسرة الحديثة بالصغر، ويعود هذا إلى نتائج تنظيم الأسرة، وتحسين الخدمات الوقائية الصحية . كما يعود إلى الرغبة في تعليم وتربية الأطفال، وليس بمجرد الإنجاب فقط .

٢ - **الســـــلطة :**

صـــاحب الـــتغير في أنماط التفاعل والعلاقات الاجتماعية، ونتيجة للتعليم والعمـــل تحولـــت السلطة المطلقة للزوج إلى شبه مساواة، وديموقراطية في العلاقة بين الزوجين، وتغير وضع المرأة .

٣ - حدث تغير تدريجي في معايير احترام السن والجنس .

٤ - ظهرت أنماط الاتصال السمعي والبصري مثل التلفزيون والسينما والراديو والفـــيديو وخلافه، وكان لهذه الأنماط أثر على تغير قيم وثقافة وعادات وتقاليد الريف .

٥ - **العلاقات الأسرية :**

أخـــذت الأســـرة الأبويـــة البحتة الصارمة في الاندثار التدريجي، وبدأت الفردية في الظهور ، وراح الأبناء يعبرون عن رغباتهم الدائمة في المشاركة في صـــنع القرار، حتى ذلك الذي يتصل بالأسرة، وساد أبناء القرية الرغبة في التعليم، وترك العمل الزراعي، بل وأحياناً الامتعاض منه وكراهيته .

وكـــان النوع السائد بين الأسرة الريفية هو الأسرة المركبة أي التي تتكون من أكثر من أسرة بسيطة . وقد أثبتت المشاهدات أن هذا النوع من الأسر بدأ في الاندثار، وحل محله الأسرة الزواجية الصغيرة .

ويـــرجع هذا التغير إلى التحضر Urbanization ، وإلى عامل ميراث الأرض . فـــالأرض سلعة نادرة يتكالب الفلاحون على ملكيتها . وسرعان ما تبدأ المـــنازعات بين أبناء الأسرة الواحدة عند تقسيم الميراث، فينفصل كل منهم بأرضه وحياته المنزلية .

وتغيرت العلاقة بين الأبناء والآباء بحيث أصبحت تتجه إلى النفعية أحياناً، والفـــردية والاستقلالية أحياناً أخرى . كما ضعفت الروابط العائلية والقرابة وظهر الـــتفكك الأسري، وانحلال بعض الأبناء نتيجة للهجرة، وسادت علاقات المصلحة بدلاً من علاقات التعاون والتكافل .

وظائف الأسرة :

تتنوع أشكال الحياة الأسرية وتختلف من مجتمع إلى آخر، وحتى في المجتمع الواحد من زمن إلى زمن . ومع ذلك فإن وظائفها واحدة في كل المجتمعات، حيث تواجـــه العديـــد مـــن المطالب والاحتياجات . وتقوم الأسرة بعدد من الوظائف الأساسية، هي : الوظيفة الجنسية، ووظيفة الإنجاب والتكاثر، والوظيفة الاقتصادية، والوظيفة التربوية .

وفـــيما يـــتعلق بالوظيفة الجنسية، فإن الأسرة هي النظام الرئيسي التي من خلالهـــا يشـــبع الفرد رغباته الجنسية ولا عجب إذا لاحظنا أن كثيراًمن حالات

الطلاق تتم بسبب الضعف الجنسي . وهكذا يمكن القول أن الوظيفة الجنسية تؤدي إلى تقوية العلاقة الاجتماعية بين الزوج والزوجة .

وتحقــق الأســرة الوظيفة التكاثرية أو الإنجاب، حتى تحافظ على النوع، ويــدوم ويبقى المجتمع ويستمر في الوجود . وليس أدل على ذلك من أن الأطفال الذين يولدون خارج نطاق الأسرة يعدون أطفالاً غير شرعيين . أما الأطفال الذين تنجبهم الأسر فهم أطفال شرعيون رسميون ومقبولون ومعترف بهم من قبل المجتمع.

هــذا ولا يخلــو أي مجتمع من المجتمعات من الاحتفالات والطقوس التي تجريها الأسرة احتفالاً بمولود جديد . كما تفرض المجتمعات جزاءات على الوالدين أو أحدهما في حال قتل طفلهما . هذا بالإضافة إلى الأساس العاطفي الذي تقوم به الأســرة، فهي توفر للأطفال الحنان والعطف . وقد تبين بصورة واضحة أن الكثير من الأمراض الفيزيقية يعود إلى الافتقار إلى الحب والدفء والعلاقات العاطفية .

وتقوم الأسرة كذلك بحماية أطفالها، وتربيتهم، فهي تحتضنهم، وتطعمهم، وتؤويهم، وتكسيهم، وتحميهم من الأمراض من أجل الحفاظ عليهم . وفي كثير من المجتمعات يعد الاعتداء على أحد أعضاء الأسرة اعتداء على الأسرة بأكملها . ولا عجــب إذا رأينا الأب مسئول عن حماية ابنته ومساعدتها مادياً حتى بعد الزواج في كــثير مــن الأحيان، والأم تتعلق بأطفالها وتتفانى في العناية بهم بدافع الأمومة التي تقوم على أساس ما تواجهه من صعاب ومشاق خاصة بالحمل والولادة والرضاعة. هذا ولا يقتصر توفير الراحة والطمأنينة على الأطفال، بل إنه يمتد إلى الكبار الذين يجدون لذة ومسرة في مداعبة أطفالهم .

والوظــيفة الاقتصادية ذات أهمية كبيرة في الأسرة، فهي وحدة اقتصادية أساســية في غالبــية المجتمعات البدائية . وهي الوحدة الإنتاجية الأولى، فأعضاؤها

يعملـــون ويـــتعاونون معاً، ويشاركون في عملية الإنتاج . وفي عصرنا الحالي تمثل الأســـرة وحدة إنتاجية استهلاكية في الريف، ووحدة استهلاكية في المدن، وأصبح للمرأة مصدر مستقل للدخل بحيث لا تعتمد في حياتها على ما يكسبه الرجل، ولم يعد الرجل وحده هو المصدر الوحيد للرزق وكسب العيش .

وإذا لاحظـــنا الاتصـــال الجنسي بين الزوج والزوجة، مضافاً إليه الوظيفة الاقتصـــادية لأيقـــنا أن الأسرة تكون الوحدة أو النواة الأولى في المجتمع، ذلك أن الاتصـــال الجنسي بدون التعاون الاقتصادي أمر موجود في العديد من المجتمعات، كما أن التعاون الاقتصادي بدون الاتصال الجنسي موجود أيضاً، وذلك مثل تعاون الأخ والأخـــت، والأم والابـــن، ولكـــن الجمـــع بين الوظيفة الجنسية والوظيفة الاقتصادية لا يتحقق إلاّ في نطاق الأسرة .

وتقـــوم الأســـرة كذلك بالوظيفة التربوية . فالأسرة هي المحدد الأول في عملـــية التنشئة الاجتماعية للطفل . فهي تعلم الطفل لغته ؛ والأسرة هي الجماعة الأولى التي يتلقى فيها الطفل الكثير من عادات المجتمع، والتقاليد الأخلاقية والدينية، وكذلك مصالحه، وهي البيئة الاجتماعية الأولى التي تطبع الطفل بطابعها .

وتقـــوم الأســـرة بالعناية بالأطفال وتربيتهم وما يصاحب ذلك من تعليم وتأديب، وما يقابل ذلك من الطاعة والاحترام . فالطفل يولد ولا يعرف شيئاً عن المجـــتمع الذي ولد فيه، وعليه أن يكتسب التراث الاجتماعي من خلال معيشته في المجتمع . وهكذا فإن الأسرة نظام يحافظ على الضبط الاجتماعي .

ويكتسب الفرد مكانته الاجتماعية من الأسرة التي ولد وتربى فيها، وذلك في ضوء مؤشرات العمر، والجنس، ونظام الولادة، ولون البشرة، وانتماء الأسرة إلى طـــبقة مـــا . كما تحدد الأسرة الفرص والمكافآت والتوقعات بالنسبة لأعضائها .

كذلـــك يكتســـب الفرد مهنته، وملكيته، وتعليمه، ودينه، وانتسابه السياسي من الأســـرة التي ولد فيها . وفي الأسرة يتعلم الطفل أن يكون رجلاً، وزوجاً، وأباً من خلال معيشته في أسرة يرأسها رجل، زوج، وأب، ذلك أن البيت ليس فقط مكاناً للاستجمام، والراحة، بل مكان يقوم فيه الأب بدوره كأب مسئول عن كل شيء في بيته .

وظائف الأسرة في المجتمع الريفي :

تقوم الأسرة في المجتمع الريفي بعدد من الوظائف التي تميزها عن غيرها من المجتمعات الأخرى، ولعل أهمها الآتي [1] :-

١ - تقـــوم الأســـرة بوظـــيفة الإنتاج، إذ يتعاون أفرادها في العمل الزراعي. فالـــزراعة مهنة عائلية، حيث يتعاون أفرادها في العمل والإنتاج الزراعي . فيقســـم العمل بينهم جميعاً بشكل يتكامل فيه الإنتاج، ولكنه تقسيم غير دقيق .

وهـــذا الاشتراك في العمل الزراعي يزيد من ترابط وتماسك أفراد الأسرة الريفية .

٢ - تقوم الأسرة بدور هام في تحديد المكانات الاجتماعية لأفرادها . ولازالت مكانـــات النسب لها دور واضح في المجتمعات الريفية، إذ يهتم الفلاحون عادة بالنسب، حيث أنه يحدد المكانة الاجتماعية .

٣ - يعـــتمد أفـــراد الأسرة في غالبية المجتمعات الريفية على عائلتهم في حماية أنفســـهم وتعـــرف هذه الظاهرة باسم العزوة، حيث يقول الفلاحون إن

(١) د. كرم حبيب برسوم – علم الاجتماع الريفي ، ص. ص ١٠٤ – ١٠٥ .

فلانـــاً له عـــزوة، أي له عائلة تسانده وتحميه . وتعد ظاهرة الأخذ بالثأر مغـــالاة لهـــذا الاتجاه . ومن الملاحظ أن زيادة اتصال المجتمعات ببعضها الـــبعض يحـــد من هذه الظاهرة، ويضعف هذه الوظيفة ويلقي بمسئوليتها كاملة على الحكومة .

٤ - لازالـــت الأســـرة تقـــوم بوظيفة هامة في الإعداد والتدريب المهـــني لأفرادها [١].

٥ - وقـــد حدث تغير لبعض وظائف الأسرة، فقد كانت الأسرة الريفية تمثل وحدة اقتصادية تعتمد على الزراعة وجلب الطعام، وكانت تملك وتزرع. أما اليوم فإن إنتاج معظم السلع والخدمات يتم في المصانع أو خارج نطاق الأســـرة . كما أن أعضاء الأسرة أصبحوا يعملون كأفراد وليس كوحدة واحدة .

وكـــان الطفل يتعلم وظيفته التي سيقوم بها مستقبلاً داخل الأسرة، والابن يتـــبع مســـيرة الأب . ولكن تغير هذا النمط في وقتنا الحالي إلى حد كبير، حيث عهدت الأسرة بوظيفة إعداد الأطفال للعمل في المستقبل إلى نظام آخر، وهو النظام التعلـــيمي الـــذي يـــتولى توجيه وإعداد الأطفال للعمل في المستقبل والذي يتفق واستعداداتهم [٢] .

---

(١) أنظر د. علي فؤاد أحمد - المرجع السابق، ص. ص ١٢٤ - ١٢٥ .

(٢) د. السيد حنفي عوض - علم الاجتماع التربوي ، ص. ص ١٠٤ - ١٠٥ .

الفصل الثاني عشر

الاقتصاد في المجتمع الريفي

التعريف بالاقتصاد :

يقصد بالنظم الاقتصادية أنماط الأفعال الاجتماعية والأساليب التي تستخدم لإشـباع حاجات الإنسان المادية من إنتاج السلع النادرة وتوزيعها واستهلاكها، كحاجته إلى الغذاء والملبس والمأوى، وما يتعلق بالملكية والسلع النادرة هي الأشياء والخدمات التي أخرجت في ثوب جديد .

وتتمـثل هـذه الوسائل في مجموعة الخبرات والمهارات والفنون في المجتمع بالإضـافة إلى مـا يسـود المجتمع من عادات وتقاليد وأفكار وخرافات وغيرها . وتتنوع هذه الأساليب وتتمايز من مجتمع إلى آخر، ورغم ذلك فإنها تتفق في ثلاث أسس هي : الموارد، الأدوات، والعمل الإنساني .

تطور النظم الاقتصادية :

لا يخرج النشاط الاقتصادي في أي مجتمع من المجتمعات عن كونه متضمناً الموضوعات التالية :-

١ - إنـتاج السلع والخدمات اللازمة للمجتمع، ويهتم الاقتصاديون أساساً بالوسـائل الـتي يمكـن أن تتحول بها المادة الخام إلى أغذية، أو أدوات وبالأنمـاط ونماذج التصرفات التي تؤثر في النشاط الإنساني والتفاعل الذي يتم خلال إنتاج السلع والخدمات .

٢ - توزيع السلع والخدمات بين أفراد المجتمع، ويكون التركيز هنا على أنماط الـتفاعل الـتي تحكم عمليات التوزيع وعلى الوسائل المستخدمة في سبيل التوزيع .

٣ - اســتخدام واستهلاك السلع والخدمات، وهي أنماط أو نماذج التصرف الـتي تحكـم هـذه العمليات، فالمجتمعات البسيطة لا تنتج عادة أكثر مما تسـتهلك وهي لذلك لا تعرف مشكلة الفائض في الإنتاج، أما المجتمعات المتحضـرة فتنتج عادة فائضاً كبيراً تواجه معه مشكلة ملكية هذا الفائض والـتحكم فيه، وهي مشكلة لا تدخل في نطاق النظام الاقتصادي وحده، بل تتعداه إلى النظام السياسي نفسه .

وعـلى ذلك فإن دورة النشاط الاقتصادي تدور في قطاعين رئيسين هما قطـاع الأعمـال .. وهو ذلك القطاع الذي يقوم بالنشاط الاقتصادي مستخدماً عناصـر الإنتاج أو الموارد المتاحة في المجتمع لينتج سلعاً وخدمات تشبع الحاجات المـرغوب إشـباعها في هذا المجال، وقطاع الاستهلاك .. وهو ذلك القطاع الذي يقـوم بشـراء تلـك السلع والخدمات المنتجة بواسطة قطاع الأعمال ليشبع بها الحاجات المختلفة لديه .

وقـد عرف الإنسان النشاط الاقتصادي منذ أقدم العصور، حيث كانت تسـود الأسـرة وحـدة إنتاجية تبدو في مظاهر الاكتفاء الذاتي لظروف المجتمع حينذاك. وفي هذه العصور القديمة ظهر نظام تبادل الهدايا في المواسم المختلفة بشرط أن يقـوم الطرف الآخر برد مثلها في مناسبات أخرى، وأن تكون مساوية لها في القـيمة .. وقد جاء هذا النظام بهدف إيجاد روابط الصلة بين الأفراد إلى أن أتسم بالصبغة الاقتصادية النفعية .

وأعقب مرحلة تبادل الهدايا مرحلة تبادل الخدمات . وهذه الخدمات أيضاً كانت دَيْنا على الإنسان المقدمة إليه الخدمة، حيث كانت عليه بالضرورة أن يقوم بردها للطرف الآخر .

وخـــلال العصور الوسطى، ومن خلال النظام الزراعي ظهر نظام الإقطاع الذي انقسم فيه المجتمع إلى طبقة الأشراف وطبقة الرقيق .. وكان نظاماً يقوم على العبودية . وهو نظام متداخل مع النظم الأخرى مثل الأسرة والكنيسة والطائفة .

وفي أعقـــاب الـــنظام الإقطاعي، ظهر نظام التجارة الذي نجم عن زيادة فائض الإنتاج الزراعي . واتخذت التجارة شكل التبادل، خصوصاً بعد أن تعارفت الجماعـــات على قيم معينة لتحديد قيمة الأشياء . وذلك كان يقال — مثلاً — أن البقرة تساوى عدداً من الماعز .

واتجهت المجتمعات بعد ذلك إلى اتخاذ وحدات معينة مثل الذهب والفضة والنحاس كوسيلة لتخزين الثروة في الشرق القديم .

ثم اســـتخدمت الـــنقود بعـــد ذلـــك أساساً لتقدير قيمة الشيء ووسيلة للاســـتبدال وهـــو ما نطلق عليه بالنظام النقدي، ومع تقدم الزمن قامت الأسواق بتبادل السلع واتسع نطاقها مع ظهور القرى ثم المدن، وارتبط الناس في هذه المرحلة الجديدة بروابط المكان والإقامة وتعددت أنواع السلع وتنوعت الأعمال، وتطورت المبادلات التجارية في هذا الطور بتطور الجماعة الإنسانية .

ثم ظهرت بعد ذلك مرحلة الاقتصاد القومي حيث صار لكل أمة اقتصادها القومي وفق مواردها وإمكانياتها، ومن ثم لم تعد الجمارك بين مدن الإقليم الواحد ضرورية وبالتالي اتسعت المواصلات وطرقها ووسائل النقل وتوحيد العملة في البلد الواحد .

وخـــلال القرن التاسع عشر ظهرت مرحلة الاقتصاد الدولي حينما بدأت الـــدول تتشـــابك علاقتها الاقتصادية، وتطوير صناعاتها وتسهيل طرق مواصلاتها فظهرت الأسواق العالمية مثل سوق الذهب وسوق القطن، ومن البديهي أن يظهر هـــذا الـــنظام الدولي في الاقتصاد لأن الدول لم تعد تستطيع أن تفي باحتياجات أبنائها فاضطرت إلى التبادل التجاري (١) .

وقـــد اســـترعت المجتمعات القروية في أوربا وآسيا انتباه رجال الاقتصاد والاجـــتماع والمؤرخين الذين كانوا يهتمون بأصول النظم القروية ولا سيما النظم الزراعـــية، وقـــد تركز اهتمام هؤلاء الدارسين حول العلاقات بين الفلاحين، أو أشكال الملكية الزراعية المختلفة وخاصة الإقطاع .

ويتميز كل مجتمع قروي بمجال معين من النشاط الاقتصادي . وقد وصف "هانسن **Hansin**" في دراسته للحياة الريفية في السوق منذ قرن، العلاقات التي كانـــت موجودة بين هؤلاء القرويين الذين كان معظمهم ممن يسكنون الأكواخ، وبين سادة المزرعة الذين كان هؤلاء الفلاحين يعملون في خدمتهم . وقام بوصف هـــذه العلاقات كميدان نشاط يتميز به ذلك المجتمع، و لم يكن ذلك المجال في هذه الحالة مجالاً اقتصادياً تماماً (٢) .

وقـــد قام الدارسون لعلم الاجتماع الريفي والاقتصاد بوصف المناطق التي تـــباع فـــيها البضائع من نوع أو آخر . وكذلك المناطق التي يأتي إليها المشترون مراكز التوزيع . وقدم "أرنسبرج **Arensberg** وكمبال **Kimball**" وهما

---

(١) د. إسماعيل حسن عبد الباري – أسس علم الاجتماع ، ص ٦٢ .

(٢) رد فيلد / روبرت – المجتمع القروي وثقافته ، ص. ص ٧٦ – ٧٨ .

من الأنثروبولوجيين، وصفاً جيداً لهذه الأسواق التي تتركز حول تقاطع الطرق وفي المعارض والمحلات في ريف ايرلندا .

وقـــام "أوسكار لويس **Oscar Lewis**" بمقارنة المجتمعات الريفية في المكسيك وجزر الهند الشرقية . ففي ريف المكسيك ترتبط قرية بأخرى عن طريق الـــتجارة أساساً . وكذلك عن طريق التزاور في الأعياد، والقيام بالواجبات والمهام غـــير الحكومية وزيارة الأضرحة والأولياء . وتميل المجتمعات المحلية إلى تحبيذ فكرة الزواج الداخلي، ولكل منها ثقافة متجانسة إلى حد ما . كما أن الإحساس بالولاء للمجتمع المحلي قوي جداً . أما الأشخاص الذين يخرجون من مجتمع محلي إلى آخر أو إلى مديـــنة، فإنمـــا يفعلون ذلك كأفراد أو كجماعات أسرية ويقومون بأنشطة متشابهة ولكنها متوازية ومفصلة . وتتفق هذه الأنشطة مع الحياة الثقافية والأسرية التي يحياها الأفراد داخل القرية .

كمـــا يظهـــر المـــيدان الاقتصادي في ذلك "**السوق الصامت**" الذي نوه بأهميـــته الكـــتاب الألمان الذين كتبوا عن الاقتصاد البدائي . وقد نما ذلك السوق الصـــامت في مجتمعات ما قبل التعليم، ويظهر في "**أبو مي Abomey**" الكبيرة، ويقال أن عشرة آلاف شخص قد يشتركون في مثل هذه السوق . ولكن الصناعة الـــتي تنشـــأ خارج الحياة المحلية البدائية وخاصة الصناعة الرأسمالية والتكنولوجية، تجذب عامل الكامار من قريته الهندية للعمل في مصانع القطن والجوت، كما تجذب رجل القبيلة الأفريقي للعمل في مناجم الماس، ورجل القبيلة في غينيا الجديدة للعمل في المزارع البعيدة . وتعتبر "**المجالات**" الاقتصادية للفلاح أقل وضوحاً واقل اهتماماً للحياة المحلية من تلك التي تؤثر في رجل القبيلة . فالرجل البدائي هو ذلك الشخص الـــذي سرعان ما يدخل في الصناعة الحديثة عندما تقام في بلده، أما الفلاح الذي

يمتلك الأرض فيتبع طريقة في الحياة قد تكيفت تماماً مع كثير من جوانب الحضارة، وهو بهذا يعتبر أكثر مقاومة لإغــــــراء التصنيع .

وهــــناك انطـــباع عام بأن الفلاحين متشابهين في مناطق كثيرة أو حتى في العـــالم بأجمعـــه . ولـــذا نجـــد **"أوسكار هاندلين Oscar Handlin"** عند استعراضــــه للصفات القروية التي جلبها المهاجرون إلى أمريكا الشمالية، يؤكد أن جموع الفلاحين الذين جاءوا من أقاصي أوربا الغربية ومن ايرلندا ومن روسيا ومن الشـــرق، يتمـــيزون بطابع متشابه في الهدوء ورباطة الجأش . ثم يقوم بوصف هذا التشـــابه قائلاً : " في كل مكان يوجد ارتباط شخصي مع الأرض أو ارتباط بقرية مـــتكاملة أو بمجـــتمع محلي . كما يظهر التركيز على أهمية الأسرة . ويعتبر الزواج شـــرطاً للانتعاش الاقتصادي، وتركيز الأنساب والسلالات في الذكور . والصراع بين الارتباط بالأرض والعالم المحلي، وضرورة زرع المحاصيل النقدية ".

وهكـــذا يجـــد الملاحظ للحياة القروية في شرق الهند الصلة الحقيقية بين الشـــرق والغرب، متمثلة في هؤلاء الفلاحين " ذلك أن الفلاح في هذه المنطقة يمثل طـــريقة في الحـــياة قديمـــة كقدم الحضارة ذاتها " . " فهناك وحدة أساسية تجعل الفلاحـــين متشـــابهين جداً في كل مكان " . كما نجد نفس الانطباع عند كاتب فرنســـي حديث يعتقد أن الفلاحين متشابهين جداً في كل مكان، لدرجة أنه يطلق علـــيهم " ســـلالة ذات صـــفات نفســـية وجســـدية عامـــة " Psycho Physiological . ويعلن أن الفلاح في أي مكان يشبه الفلاح الذي يبعد عنه مسافة كبيرة، أكثر مما يشبه رجل المدينة الذي يعيش معه في نفس البلد [١] .

---

(١) أنظر د. حسن همام — دراسات في المجتمع الريفي، ص. ص ٥٠ — ٥٣ .

ويعتبر السوق في القرية – كما يقول " رو برت بارك **Robert E. Park** " بمـثابة مركـز **Center** لانتشـار الأخـبار والسياسـات الثقافية **Cultural Traits**. ومكـان السوق هو المكان الذي يجتمع فيه الناس للمبادلة والمقايضة والمساومة .

ومـن خلال العمليات التجارية المختلفة التي تتم في ساحة السوق من بيع وشـراء ومسـاومات وتحديـد أسعار تبدو القدرات العقلية للفلاحين وطبائعهما وقيمهم ووجهات نظرهم .

ولا يقتصـر دور السوق على النشاط الاقتصادي، بل يمتد ليدعم علاقات القـرابة بالتقاء أولئك الذين تربطهم روابط القرابة والنسب والمصاهرة والجوار . وهـو مكـان لعقد الزيجات والاتفاق على الزواج، والتشاور في الأمور الهامة التي تعترض حياتهم .

النظام الاقتصادي في الريف :

تتمـيز الحياة الاقتصادية في الريف بعدد من الخصائص نوجزها في الآتي :-

١ - مهما تعددت أنواع العمل في الريف، تبقى الزراعة هي المهنة السائدة، بما تشـتمل من إنتاج المحاصيل النباتية والحيوانية . والزراعة هي العملية التي تتضـمن مبدئياً إنبات النبات في سبيل استهلاكه من الإنسان كغذاء، أو اسـتخدام ألـيافه كثياب . وهي تتضمن كذلك إكثار نسل الحيوانات للاستفادة من لحمه ولبنة طعاماً، وصوفه وجلده كساء .

٢ - ويحـــتاج الفلاح إلى خبرة ومهارة، وعليه أن يفهم خصائص أرضه، ويعي كـــل جوانـــب العمليات الزراعية المختلفة، مثل : طبيعة التربة من حيث تركيـــبها وخصـــوبتها، ومتى تكون صالحة للزراعة، وما هي احتياجاتها المخـــتلفة إلى الري أو إلى إضافة مواد أخرى لتحسينها وتقويتها، وما هي أنـــواع المسمدات والمخصبات التي تحتاجها التربة في حقله، وأي كميات أخرى يمكن إضافتها . وإذا زرع الفلاح محصول ما، فإنه يعرف أي نوع آخر يمكن زراعته بعد النوع الأول .

٣ - ويعـــرف الفلاح أمراض النبات والحيوان، حقيقة قد لا يستطيع أن يعلل أسباب المرض، ولكنه من الناحية العملية يتقن بعض العلاجات الطبيعية . وهـــو يستشـــير الأطـــباء البيطريين وغيرهم في العناية العملية بالحيوانات والدواجـــن، وبعملـــيات الـــتهجين، وانتقاء السلالات الأفضل . ويفهم الفـــلاح طـــباع حـــيواناته، مـــن الحصان، والبقر، والجمل، والخروف، والدجاج .

وقـــد بدأ بعض المزارعين الأغنياء يجلبون أنواعاً جديدة من البقر والدجاج فتعلم فلاحوهم بسرعة كيفية استثمارها . وفي أوربا وأمريكا يمتاز الفلاح بأنـــه طبيـــب ماهر من جهة، وبيطري من جهة أخرى، فهو يستطيع أن يستخدم الإبرة والتلقيح ليعالج دجاجه وخرافه وثيرانه .

٤ - ويعـــرف الفـــلاح بعض الآلات الزراعية، وكيفية صيانتها، وذلك مثل : الجرارات وأدوات الحصاد، والمولدات الكهربائية . وهو يستطيع أن يجري إصـــلاح أي عطـــل فني يمكن أن يصيب الآلة . ويجري الفلاح إصلاح الأدوات المعدنية من لحام النار أو تجليخ بالفولاذ . وإن كان الفلاح غربياً،

فهو رجل ميكانيكي تمتد ثقافته إلى إصلاح المحركات الصغيرة، والاحتفاظ بهـــا أكبر مدة ممكنة . كما أنه يدرك حوادث التيار الكهربائي، والقدرة الكهربائية فيستثمرها على أحسن وجه .

٥ - يـــتأثر نظام العمل الزراعي في الحقل أو المزرعة بالمتغيرات الجوية ويؤدي الفلاح عمله في الهواء الطلق، ويتمتع بالهواء النقي وبصفاء الطبيعة وأشعة شمســـها . والفـــلاح مع أسرته الريفية يعيشون في حلقة مغلقة **Close Association** ، ولكـــنها وثيقة الصلة بالأرض. ويتفاعل الفلاح مع الطبيعة بما فيها من تربة وكائنات حية تفاعلاً مباشراً .

٦ - ويتحدد برنامج العمل الزراعي سنوياً بتتابع فصول السنة . ففي فصل من الفصول (أواخر الخريف – مثلاً) يعني الفلاح بحراثة الأرض، وبذر البذور أو تطعـــيم الشـــجر . ولعل أهم موسم يجذب الانتباه في سوريا والشرق الأدنى إنما هو موسم الحصاد الذي يستنفذ أكبر مجهود من الأسرة الريفية . فـــالفلاح وامرأته وجميع أولاده ذكوراً وإناثاً يساهمون في هذه العملية التي ينـــبغي أن تنـــتهي في وقـــت قصير محدود . ولا عجب إذا ترك الأبناء مدارســـهم أثناء هذا الموسم لمؤازرة آبائهم أو أسيادهم . ويحوي برنامج المدرســـة الريفـــية عادة عطلة رسمية في هذا الموسم لقيام التلاميذ بمساعدة آبائهم في جني الحصاد في هذا الموسم .

وفي فصل آخر هو أواخر الشتاء وأثناء الربيع، يعني الفلاح بصغار الحيوان الذي يتناسل، أو بويضة للحصول على أفراخه، كما يعني بادخار منتجات الحليب من جبن ولبن مجفف .

وإذا كــان هَــم الفلاح الشرقي يرتكز حول الحصول على الحبوب التي تؤلــف الشــيء الأساسي في غذائه، فإن الفلاح الأوربي والأمريكي يعني بالمــثابرة على نظافة الحيوان وتربيته على أحسن الطرق التي تكفل الإنتاج الصــحي . وعــلى ذلك فإن جهاد الفلاح الشرقي هو جهاد دوري أو موسمــي Periodical ، بيــنما جهاد الفلاح الأوربي والأمريكي هو جهاد يومي .

٧ - ويقــوم الفــلاح بإنــتاج وتصنيع الغذاء، وبناء المساكن في شبه إكتفاء اقتصادي ذاتي .

٨ - **وفي الــريف أولاً توجد بعض المصانع الصغيرة** . فكل قرية لا تخلو من حــداد أو نجار وظيفته إصلاح الآلات الصغيرة . وقد يكون النجار نفسه حــداداً أو بــالعكس، بل قد يكرس الصانع الواحد نفسه لأكثر من قرية واحدة . فإما أن ينتقل هو بحسب طلبات الزبائن أو تأتيه الزبائن من قرى مجاورة .

٩ - **وفي الــريف ثانياً توجد بعض المتاجر الصغيرة** . وفضلاً عن أن كل قرية تحوي حانوتاً على الأقل لبيع الملبوسات (كالأقمشة والأحذية البسيطة) أو اللــوازم المعدنــية وشبه المعدنية (كالمسامير والزجاجات) أو المصنوعات الزراعية (كالسكر وعلب الكونسروة) فإن بعض القرى تمتاز بوجود تاجر كــبير أو أكثر لشراء الحبوب والمواشي من الريف وإعطاء الفلاحين بدلاً عــنها مالاً أو بضاعة يجلبها من المدينة، فكأنه حلقة وصل بين أهل الريف وأهل المدن .

والقرية الأمريكية بمعنى Village تمتاز بأنها مخزن تبادل لنوعين مـــن المحاصيل : محصول الريف من جهة ومحصول المدن من جهة أخرى. وهي أشبه بمدينة صغيرة من مدننا الشرقية، لذلك يسهل التمييز بين كلمة قـــرية Village وكـــلمة ريف Country . ففي أمثال هذه القرى توجـــد مراكز للبريد ومدارس كافية وملاهي صغيرة ومستشفى مع بعض الاختصاصـــات الضرورية . وكل واحدة منها تحوي شركة أو أكثر من الشـــركات المحلـــية التي تجمع محصولاً معيناً أو محاصيل من أنواع مختلفة لتبـــيعها بشـــكل تعـــاوني Association of Villager and Farmer كمـــا أن كـــل واحدة تحوي ممثلين لشركات كبيرة وفروعاً لبنوك ومصارف مختلفة .

١٠ - وفي الـــريف ثالثاً بعض المهن الصغيرة . وهي لا تخضع طبعاً لمبدأ تقسيم العمـــل . فقد يكون الطبيب نفسه صيدلياً وقد يمارس الحلاق مهناً أخرى غير مهنة الحلاقة . وفضلاً عن أن معلم القرية يمارس التدريس في أكثر من صف دراسي .

١١ - ويديـــر الفـــلاح مســـكنه وعائلته . فهو رجل اقتصادي يدخر ما ينبغي ادخاره، ويصرف ما يجوز صرفه . وهو أكثر اطمئناناً في حياته السنوية . وأبعـــد عن القلق بالنسبة لأهل المدن، ذلك أن مستوى المعيشة في القرية أدنى منه في المدينة، وأرخص نفقة، ولقلة الحاجات .

وبالإضـــافة إلى ذلـــك فـــإن الفلاح ينقل إلى أولاده الكثير من العواطف الجياشـــة، فيصـــرف عنهم الكثير من الأحزان . وهم يتزوجون مبكراً، وينجبون

أولاداً. ومــع ذلــك يظلوا تحت إدارته وإشرافه، مما يبعث في نفوسهم الطمأنينة والارتياح أكثر مما يتمتع به شباب المدن العزاب .

ويســتثنى مــن ذلــك حالات فقر الأب، فقد يمرض، أو تموت حيواناته لأســباب قاهـــرة، أو قد يبالغ في إكثار التناسل . وفي الشرق قد يتزوج أكثر من واحـــدة مـــن النساء فيضيق الرزق بأولاده، ويصبحون بضاعة تصدير نحو المدن ويزيدون بذلك أزمتها .

٣ - البســـاطة :

ومـــن المســـلم بـــه أن الحياة الاقتصادية لا تتعقد إلا إذا تنوعت الأعمال وتشـعبت العلاقات التي تقوم على هذا التنوع، ومهما بذل القروي من جهد فإن هـــذا لا يدعـــوه إلى مناقشة مدى كفاية الوسائل المستخدمة في الزراعة، أو مدى إمكـــان وجود غيرها من الأدوات يؤدي نفس الغرض في كفاية وبأقل مجهود وفي أقصر وقت .

٤ - التجانـــس :

تعمـــل غالبية العائلات في القرية بالزراعة، ولذلك فالعمل الزراعي أيضاً الركـــيزة الأولى لمعـــاملاتهم وطـــريقة حياتهم، ولذلك كان انقسام العائلات إلى وحـــدات متمايزة لا يحمل معنى التجانس، وإنما كان نتيجة لنسق القرابة الذي يميز مجموعات القرية كل عن الأخرى .

٥ - التعاونيـــــة :

مـــن أهم مميزات القرية قيام الحياة الاقتصادية على أساس التعاون في دائرة القرابة الأولى أو العائلة، ولهذا كانت الملكية بالمعنى التقليدي المعروف غير واضحة تمامــاً، فقد يملك الفرد بعض الحاجات الشخصية كالملابس ولكن الأرض ووسائل الإنتاج كانتا ملكاً للعائلة .

٦ - الحاجة والمركز والسوق :

لم يكـــن الإنـــتاج قاصراً على توفير الحاجات الضرورية للمعيشة أي أن حـــياتهم الاقتصادية لم تكن وقفاً على توفير الحد الأدنى اللازم للمعيشة بل يلاحظ أن العائلـــة كانـــت تخطط الإنتاج ليفي بمطالبها العاجلة والبعيدة وليحقق ذلك ما يؤمنون به من قيم، ولذلك تقوم العائلة بإنتاج نوعين من المحاصيل، الأول محاصيل الحاجـــة . أمـــا الـــثاني فهو محاصيل السوق .. ويحقق الأول مطالبها واحتياجاتها المباشـــرة . ويســـتخدم لأغراض اجتماعية أخرى كإظهار الكرم وحسن الضيافة والتعاون .

أمـــا الـــثاني فهو يحقق ما تخططه العائلة لمستقبلها، ويكون إنتاجه لغرض الحصـــول مباشـــرة مـــن بيعه على النقود، ولهذا كانت العمليات التجارية سريعة ومباشـــرة، ولا تـــؤدي إلى قـــيام نـــوع من النشاط التجاري يمكن أن يميز الحياة الاقتصادية بجانب العمل الزراعي . أما من حيث المركز فإن إنتاج الأسرة لمحاصيل الحاجة بما يزيد عن حاجاته بغرض استخدام الفائض في أغراض اجتماعية كحالات التعاون أو إحياء الشعائر الدينية أو إظهار كرم الضيافة .

ونتـــيجة للــتقدم الحضـــاري والثقافي ظهرت ظواهر اقتصادية وأساليب تكنولوجـــية متقدمة صاحبها تدهور المجتمعات القبلية والقروية والعلاجية، وتوفر الأطباء، والأخذ بالنظم العلمية الحديثة في التغذية والتعليم والمواصلات مما يفتقر إليه المجتمعات القبلية والقروية (١) .

وقـــد صاحب هذا التغير تغير النظرة إلى العمل الزراعي، والرغبة في البعد عـــنه، وامتهان مهن غير زراعية . ففي دراسة قامت بها **"سامية على حسنين"** عن رغـــبة الآباء في اشتغال أبنائهم بمهن زراعية أو غير زراعية تبين منها أن (٣٦ %) مـــن البيئة ترغب في أن يعمل أبناؤها بمهنة الطب، و(٣٣%) ترغب في أن يعمل أبـــناؤها في الوظائف الحكومية، و(٢٥%) ترغب في أن يعمل أبناؤها مدرسين أو مهندســـين، بينما (١٨%) من العينة ترغب في أن يلتحق أبناؤها بالمهن أو الحرف المخـــتلفة، و(١٥%) ترغب في أن يعمل أبناؤها في مجال الطب البيطري، و(٩%) فقط هي التي ترغب في ممارسة أبنائها في العمل الزراعي (٢) .

---

(1) See Hoselitz, Bert & More, Wilbert L., (Eds.) Industrialization and Society, P. P. 11 – 19.

(٢) القرية المصرية ، ص ٣١٣ .

الفصل الثالث عشر

النظام التربوي في الريف

المقصود بالنظام التربوي :

النظام التربوي ليس ظاهرة فردية، وإنما هو ظاهرة أو نظام اجتماعي، فهو جزء من ثقافة كل مجتمع . يقول عنه " **إميل دوركايم** " أنه ينشأ تلقائياً — إذ يظهر الأفــراد فيجدونه قائماً في المجتمع . فهو نظام خارجي سابق لوجودهم، ويأخذ به الأفــراد إجــبارياً، لأن الجزاء ينتظرهم إذا خرجوا عن حدوده . وهو نظام عام لا يخلــو مــنه مجتمع من المجتمعات البشرية حتى المجتمعات البدائية التي لا يوجد فيها مؤسسات تربوية، فإن الأسرة والدين هي التي تقوم بعملية التربية .

ونحن لا يمكن أن نتصور حياة الناس في مجتمع من المجتمعات بدون تدخل الــنظام الــتربوي . فالتربية ضرورة حيوية للمجتمع، حتى لا يكون الإنسان كتلة متحركة من الهمجية الحيوانية، فيسير عرياناً ودون ملابس، ولا يعرف لغة أو ديناً أو قيماً اجتماعية .

وتــتولى التربــية الفــرد بوسائلها المختلفة وفرصها المتعددة، وتحول هذا المخلــوق إلى إنســان اجتماعي يتكيف مع بيئته وتيار الحضارة الذي يعيش فيه، ويعــرف حقوقــه وواجــباته إزاء الآخــرين، ويتكلم بالوسائل الرمزية بدلاً من الإشارات والمصطلحات البدائية التي تستخدمها الحيوانات .

وتستمد التربية أصولها من صفتين متصلتين بالإنسان، وهما :-

١ - **الصـــفة الأولى** : وهي أن الإنسان يولد وهو على درجة من الضعف لا تمكنه من مواجهة الصعاب ليستطيع البقاء ومواصلة الحياة، فهو عاجز عن الوفـــاء لنفسه بحاجاته الأساسية كالغذاء والنظافة . وإذا لم يزود بالتربية والعناية به تعرض للهلاك .

٢ - **الصـــفة الثانية** : وهي أن ثقافة الإنسان- أي كل ما يزود به من معارف وعلـــوم وأدوات ومهمات قابلة للنقل والتعليم — إذ تنتقل من مجتمع إلى آخـــر، ومن جيل إلى جيل، ودائماً يبدأ الجيل الحالي من حيث انتهى إليه الجيل السابق . وهذه الصفة هي التي مكنت من استمرار عملية التربية في أي مجتمع إنساني (١) .

ولا يتميز مصطلح "التربية **Education**" كثيراً عن مصطلح "التنشئة الاجتماعية **Socialization**" فمن الناحية التاريخية تعني التربية تنشئة الصغار فكـــريا وخلقـــيا، وتنمية قدراتهم العقلية، وتدريبهم تدريباً واعياً حتى يتكيفوا مع المجـــتمع، وذلـــك بتحويل المخلوق إلى إنسان اجتماعي يعرف حقوقه وواجباته، وحقـــوق الغـــير، ويتكلم الوسائل الرمزية بدلاً من الإشارات والمصطلحات التي تستخدمها الحيوانات، وهي بعث القيم والمعارف واستمرارها وبقائها .

ويتمـــثل ذلك في مجتمعات ما قبل التاريخ والمجتمعات البدائية والمجتمعات الأمية، حيث يكون التعليم غير رسمي، ويتولى الأقارب والآباء والأخوة والأخوات نقـــل القـــيم الاجتماعية والمهارات للصغار . فبدون تدخل هؤلاء الأقارب يصبح

(١) د. حسين عب الحميد أحمد رشوان – تطور النظم الاجتماعية وأثرها في الفرد والمجتمع، ص ١٦٢.

الطفـــل كتلة من الهمجية، عارياً دون ملابس، ولا يعرف لغة، أو ديناً، أو معايير اجتماعية .

وتعني التربية بالمفهوم الحديث التدريب الرسمي عن طريق المدرسة وغيرها من المؤسسات، والمنظمات التعليمية، والمتخصصين . ويمكن أن يمتد المفهوم ليشمل تعلـــيم الكبار وتدريبهم، كما أنه قد يمتد ليتضمن التأثير التربوي لجميع التنظيمات الاجتماعـــية . وتحـــول التربية بهذا المفهوم الطفل الفلاح إلى موظف، والفلاح إلى محامي، والمهاجر الإيطالي إلى أمريكي، والجاهل إلى متعلم .

وكـــلا المفهومـــان — يعني إعداد الفرد ليكون عنصراً صالحاً في المجتمع . فكـــل حـــدث وكل تجربة يمر بها الطفل هي عملية تربوية . ومن ثم فهناك تربية رسمية، وتربية غير رسمية . وعلى ذلك تعرف التربية بأنها نقل تقاليد المجتمع وعاداته ومهاراتـــه — أي ثقافـــته عمومـــا — إلى أعضائه الجدد، ذلك أن بقاء المجتمع ذاته يتوقف على نقل تراثه إلى الصغار .

وقـــد اخـــتلف العلماء في تعريفهم للتربية، كما تعددت وجهات نظرهم فـــيها. فابن خلدون يرى أن التربية لم توضع لعامة الناس والشعب، وهم الأغلبية الســـاحقة في المجتمعات البشرية، وإنما هي تربية خاصة للمقتدرين من طبقة معينة، هـــي طبقة الموسرين الذين يمكنهم البذل والعطاء، والذين يمكنهم القيام بالرحلات والتـــنقلات مـــن مكان لآخر، والذين لهم المقدرة على ما تتطلبه التربية من نظام داخلي والمسكن ودور العلم بمصاريف باهظة .

ويـــرى "**أوجســـت كونـــت**" [1] أن التربية تخضع للتطور الطبيعي العام للإنسان، و لم تكن التربية وسيلة لتحرير الإنسان، وإنما وسيلة لتكبيله ورسم وسائل خضـــوعه لعـــادات وعرف وتقاليد الأديان السائدة ، فهي تلصق الإنسان بماضيه وحاضرة ومستقبله .

ويـــرى "**هربـــرت سبنسر**" أن التربية وسيلة لمساعدة الناس للتغلب على صـــعاب الحـــياة، فأساسها نفعي، وهو الصراع والنضال في سبيل التوفيق العقلي والعملي في الحياة الجارية .

وتتصف التربية عند "**إميل دوركايم**" بالتربية المهنية — ذلك أن المجتمعات الحديـــثة أكبر حجماً من المجتمعات المتأخرة والقديمة . كما أنها أغزر كثافة وأشد نشـــاطاً وإنتاجاً . وهي تربية الفرد عقلياً وجسمياً وأخلاقياً ليملأ وظيفة معينة في المجتمع، ليكون بذلك عضواً نافعاً فيه يتمشى مع مبادئه . وغرض التربية هي كيف يـــترابط الفرد مع الهيئة التي يعمل بها، وكيف يفكر، ويخطو إلى الأمام فيخلق عند الفـــرد الذاتـــية الاجتماعـــية التي ترمي إلى رفع المستوى الحضاري بإدراك معنى التماسك .

ويـــرى "**دور كـــايم**" أن مهمة التربية القضاء على الفروق الاجتماعية في التعلـــيم، وخلق المساواة في المعرفة بين الأفراد، فهي عامل كبير من عوامل الوفاق والاستقرار والرقي في المجتمع .

ويقترح "**إميل دور كايم**" أن يقتصر استخدام مصطلح التربية على ما تلقنه الأجيال الرشيدة الناضجة للأجيال التي لم تنضج بعد لمواجهة الحياة الاجتماعية .

---

(١) د. عبد العزيز عزت — علم الاجتماع التربوي ، ص ١٨ .

أما "جون ديوي **Dewey**" [١] أستاذ التربية الأمريكي، فيقول : أعتقد اعتقاداً جازماً أن التربية هي الوسيلة الأساسية للتقدم الإنساني، وأنها الأساس الذي يجــب أن يقوم عليه كل اصطلاح اجتماعي . ويضيف أن التربية هي حاصل جمع العملــيات والســبل التي ينقل بها مجتمع ما ثقافته المكتسبة وأهدافه بقصد استمرار وجوده ونموه .

ويعتقد المدرسون أن كلمة **"تربية"** مشتقة من الفعل اللاتيني **"استخرج"** . وفهمــوا أن التربــية العقلــية والأخلاقية والبدنية ليس إلا إيقاظاً للوعي الباطني، والفضائل، وسائر القوى الكامنة في النفس، وإخراج ما هو موجود بالقوة إلى حيز الوجود الفعلي .

ومــن الواضــح أنه لا يمكن لأمهر المعلمين أن يستخرج موقعة تاريخية أو تصريف فعل من الأفعال من ذهن التلاميذ الذين لا يعرفون عن الموضوع شيئاً . بل إن واجــب المدرس أن يضع هذه الحقائق وأمثالها في عقل التلميذ . وفي ضوء هذا فإن تعريف التربية على أنها عملية استخراج ليست صحيحة، بل الأصح أنها التنشئة — ومن التنشئة، لأنها تتضمن تعديلاً للنمو الفطري .

وخــير تعــريف للتربية ؛ أنها النظام المتعلق بنقل النماذج الثقافية — أي عملــيات التعلم والتعليم بين أفراد المجتمع، والتي تمكن الإنسان من مواجهة الحياة الاجتماعــية، وأن يكون الإنسان الخلاق عن طريق الإنماء والتوجيه . إنها الوسيلة الــتي يمكــن بهــا إعداد الأفراد ليكونوا أعضاء نافعين في المجتمع عن طريق إبراز

---

(١) د. السيد محمد بدوي – مبادئ علم الاجتماع ، ص ٣٥٦ وما بعده .

شخصية الطفل، وإنماء مداركه، وعقله، وبدنه، وإعداده ليكون قادراً على التفكير والعمل وتحمل المسئولية .

وهكذا فإن التربية وثيقة الصلة بالتعليم . وقد حاول البعض التفرقة بينهما. ولكن التربية الحقة لا بد وأن تستوعب مظاهر الثقافة السائدة في المجتمع .

والتعليم حق لكل مواطن بقدر ما تتحمله قدراته واستعداداته، بغض النظر عـــن وضـــعه الاجتماعي . وهو عملية وظيفية حاكمة في المجتمع، من حيث آثاره ونتائجه الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والقومية والحضارية . هذا ولم يعد مفهوم ديموقراطـــية التعليم مقصوراً على مجرد إلحاق الأطفال بمرحلة التعليم الصناعي، بل اتسع هذا المفهوم ليشمل الآتي:-

أ - توفـــير الفـــرص المتكافـــئة خـــلال عملية التعليم ذاتها لمواجهة الفوارق الاجتماعـــية بـــين الطلاب، وما يترتب على ذلك من آثار في تحصيلهم، فأطفـــال الأســـر المحدودة الدخل والثقافة الذين حرموا على مدى عصور طويلـــة حقهـــم في التعلـــيم يحتاجون إلى مزيد من الجهد والرعاية خلال العملية التعليمية بهدف تحقيق ديموقراطية حقيقية من خلال هذه العملية .

ب - تحقـــيق الـــتوازن والتكافؤ بين التعليم الريفي والتعليم في الحضر سواء من حيـــث الفرص أو الإمكانيات أو المعلمين أو الوسائل التعليمية أو غيرها، وذلـــك لتلافي وجود مستويين من المدارس، أحدهما مستوى أعلى بالمدن والحضر والآخر مستوى أقل بالريف والقرى.

ج - إعادة النظر في الازدواج بين التعليم النظري من جانب والمهن من جانب آخر، بغرض القضاء على النظرة الطبقية بين أنواع التعليم المختلفة .

د - إشراك جميع الأجهزة التي تطبق النظام التعليمي، أو تعمل في ظله، أو تستفيد منه، كالمعلمين والآباء والطلاب والمؤسسات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في رسم السياسة التعليمية حتى تتسع حركة التربية والتعليم لتصبح حركة شعبية حقيقية .

وهكذا يبرز دور التعليم في إيجاد وتنمية الموارد البشرية فعن طريقه يمكن تنمية قدرات الأفراد وتزويدهم بالقيم والاتجاهات والمعارف التي تمكنهم من الخلق والتجديد والابتكار، وترجمة المفاهيم العصرية للحياة إلى سلوك يترتب عليه إنتاج أجيال أسعد وأقدر على العمل والإنتاج من الأجيال السابقة .

التعليم في القرية :

ترتبط نظرة القروي / الريفي إلى التعليم بعاملين هما :-

١ - مجموعة القيم التي توجه حياته، ويسعى إلى تحقيقها .

٢ - حاجاته الرئيسية على أساس أن الزراعة هي مهنته الأولى والأخيرة.

فمن حيث القيم الأساسية في حياة القرويين فكانت تتلخص في قيمتين أساسيتين هما : المهارة في العمل الزراعي والقدرة على الإنجاب، وإنجاب الذكور بخاصة، وهما قيمتان مرتبطتان ارتباطاً وثيقاً بالمظهر العائلي للحياة الاجتماعية والاقتصادية بالريف، فالرجل يرتفع قدره في العائلة أو ينخفض تبعاً لتفانيه في العمل الزراعي وقدرته على إتقان جميع عملياته، وفي إنجابه عند زواجه أكبر عدد من الذكور لأن الأرض والأولاد هما المظهران المميزان لقوة العائلة ونفوذها بين العائلات، ولهذا كانت معرفة القراءة والكتابة لا تعتبر هدفاً يسعى إليه الفرد أو تضمه العائلة في حساباتها وفي تنظيماتها لحياتها العامة، ومن حيث احتياجات العائلة

فإنهـــا كانت تحتاج إلى اليد العاملة أكثر من حاجتها إلى التعليم . ولكن ليس معنى ذلـــك أن التعليم على أية صورة لم يكن له وجود في القرية، ولكن طريقة معيشة القـــرويين وسيادة المهنة الواحدة على نشاطها جعلهم يدورون في إطارها . أما إذا ارتبط التعليم بحاجة دينية يكون في هذه الحالة مرغوباً وفي أضيق الحدود .

ولقـــد تغـــيرت نظـــرة القروي إلى التعليم . ويرجع ذلك إلى الأسباب الآتية :-

١ - الانتشـــار الـــثقافي العام في المجتمع بأسره والذي تكون فيه المدينة مركز الإشعاع بالنسبة للقرية وبالتالي وضوح أهمية إرسال الأبناء إلى المدارس .

٢ - قوانين التعليم الإلزامي والمجاني جعلت الريفيين يرسلون أبنائهم قصراً على التعليم في أول الأمر ثم طواعية بعد ذلك .

٣ - تغـــير النظرة إلى قيمة العمل الزراعي وظهور مصادر جديدة للثروة غيره، كالـــتجارة، ولقـــد كـــان التعليم ولازال ينظر إليه على أنه مصدر ربح للقرويين وأبنائهم على السواء وخصوصاً إذا ما وصل الابن إلى مرحلة من التعليم يمكن معها أن يجد عملاً محترماً من وجهة نظرهم وبحسب خبراتهم في اتصالهم بالمدينة يفضلون أن يذهب أبناؤهم إلى كليتي الطب والحقوق، ذلك لأن الطب والمحاماة في رأيهم تدر المبالغ الطائلة على أصحابها .

٤ - تغير النظرة إلى المركز الاجتماعي ليرتبط أيضاً بالتعليم إلى جانب العائلة .

ومـــن ناحية أخرى، فبعد أن كان كل فلاح يرغب في إرسال إبنه ليتلقى تعلـــيمه إكتشـــف أن ذهاب إبنه للتعليم لا يعادل التضحية الكبيرة التي يقدمها له خاصـــة وأنـــه إذا قام بإرساله إحدى المصانع والتحاقه في بعض الأعمال الخاصة بالتشييد والبناء سوف يجنى الكثير بدون اشتراط تعليم أو إجادة القراءة والكتابة .

كل ذلك قد أدى إلى زيادة حالات التسرب الدراسي والتوقف عن التعليم بالإضافة إلى كل هذا فإن المرأة كان حظها أسوء في التعليم حيث كان يسيطر على الأهل فكرة أن البنت مهما تعلمت سوف تعيش في بيت آخر هو بيت زوجها ولا فائدة من تعليمها .

ومـــن ناحـــية أخرى أصبح التعليم قاصراً على الأهالي القادرة على دفع المصروفات خاصة وأن تكلفة التعليم أصبحت كبيرة جداً حالياً بالإضافة إلى ظاهرة الدروس الخصوصية حيث أصبح يشترى العلم وما تبعه من مكاسب ومناصب لمن يقدرون (١) .

هذا بالإضافة إلى طبيعة البرامج الإعلامية التي كان لها دور في سياسة الحد مـــن التعليم حيث قامت بتشويه صور التعليم عند جميع الأفراد فهي لا تكف عن إدانـــة المتعلمين والتعليم وتدفعهم بأنهم السبب المباشر وراء البطالة إصرارهم على التعليم وخاصة الجامعي (٢) .

(١) أنظـــر ناديـــة جمال الدين - الظروف الاقتصادية والاجتماعية وانعكاساتها على مشكلة الأمية بين النساء في الريف ، ص. ص ٩ - ١٢ .

(٢) أنظر د. إيمان شومان - دراسات في علم الاجتماع الريفي ، ص. ص ٣٠١ - ٣٢٢ .



الفصل الرابع عشر

الدين في المجتمع الريفي

تعريف الدين :

مـــن الصعوبة بمكان تعريف الدين لأنه يتضمن علاقة بين الفرد والجماعة، وبين كائن مقدس غير مطوع للتعريف بالألفاظ التي يفهمها العقل . كذلك ترجع الصـــعوبة إلى وجود العديد من الديانات لكل منها فرقاً ومذاهب وملل . كما أن الـــنظم الدينية شأنها شأن النظم الاجتماعية الأخرى، إذ تخضع في تفسير نصوصها إلى التطور والتشعب .

وما يهمنا في هذا المجال هو أن الدين موجود في كل مجتمع إنساني، ومنذ الأزل . ويظهر السلوك الديني نتيجة لاعتقاد الإنسان بوجود قوة خارقة عليا تدفع الإنســـان ليسلك سلوكاً معيناً يأمل به الغفران والعون والمساعدة التي يرجوها من هذه القوة نتيجة لهذا الاعتقاد .

كذلك فإن الحياة الإنسانية مليئة بالأشياء المجهولة وغير المؤكدة والمشاكل والصـــعوبات الـــتي لا يجد الإنسان لها تفسيراً كالظواهر والحوادث التي لا يمكنه الحكم عليها وتتحدى عقله كأصل الحياة وكيفية نشأتها والموت وما بعد الموت، إذ يصـــعب عـــلى الإنسان تفسير هذه الظواهر وإثباتها بالطرق العلمية أو العملية مما جعـــل الإنسان على مر العصور يؤمن بوجود قوة أكبر وأقوى منه هي التي تتحكم في تلك الظواهر .

وحـــتى الإنســـان البدائي باعتباره كائناً حياً اجتماعياً له حاجات كثيرة تـــتعدى لقمة العيش . ومن بين هذه الحاجات حاجته إلى التدين . فهو يخاف من بطـــش الطبيعة . وذهب بسبب قلة معرفته العلمية يعلل الظواهر التي تحيط به إلى الاحتماء بقوى عليا فوق طبيعية . ومادامت هناك قوى عليا خارقة للطبيعة، فينبغي عليه أن يجد وسيلة للتقرب منها أو التوصل إليها .

ويـــلجأ الإنســـان إلى هذه القوى للطبيعية لتخفف أحزانه. والإنسان هو الكائن الوحيد الذي يعرف فكرة الموت، وأنه ميت لا محالة . وهكذا فهو يلجأ إلى هـــذه القوى فوق الطبيعة وغير المرئية لتغفر له ذنوبه، وتزوده بالفضائل والتفاؤل . ومن هنا فإن خشية المجهول هي التي هدت الإنسان إلى الدين .

وســـلوك أفراد المجتمعات الإنسانية يتأثر بالدين تأثراً كبيراً . فالخوف من القوى فوق الطبيعة جعل الإنسان يستعطف هذه القوى، وذلك بأن يسلك سلوكاً معيـــناً تجـــاه الآخرين . ويوصف هذا السلوك بأنه طيب أو غير طيب فيما يسمى بـــالأخلاق نتـــيجة إحساس الفرد بأن إحسان معاملة الغير فيه رضاء القوى العليا، وأن سوء هذه المعاملة فيها غضبها . ولهذا فالعلاقة وثيقة بين الأخلاق والدين .

وعـــلى ذلك يعرف الدين بأنه السمات العامة للطبيعة الإنسانية، موجودة في كـــل مجـــتمع إنســـاني، وتتعلق بالحياة الروحية . فهي نسق مكون من العقائد والممارســـات والشعائر والموضوعات الرمزية أساسها الإيمان بوجود قوى مقدسة فوق طبيعته وغير مرئية تسيطر على العالم الفيزيقي والاجتماعي .

وفي ضوء هذا التعريف نجد أن للدين ثلاثة عناصر رئيسية هي:-

١ - العنصر الروحي / المعتقدات :

وهـــي المعتقدات والعواطف القلبية الداخلية، والصلة الروحية التي تجذب الناس نحو قوى طبيعية أو قوى فوق طبيعية يؤمن بها الأفراد، ويعتقدون في وجودهـــا وقوتها، وأنها تملك لهم الضرر والنفع، وهو لا يملك لها شيئاً . وتـــتخذ العقيدة أشكالاً متعددة حسب الأحوال المختلفة . فقد يكون في شـــكل قوى مجردة غير منظورة، أو قد يرمز لها برمز هو الطوطم، حيث يعـــتقد الإنسان أن حياته مرتبطة بها، أو كاعتقادنا في وجود الله سبحانه وتعالى .

٢ - العنصر الطقسي :

وهـــي الحـــركات والتصـــرفات والسلوك الجمعي والقيام بأداء العبادات والفروض الأخرى التي يقوم بها الأفراد، وهي المظهر الخارجي للدين وهي الـــتي تقـــرب الإنسان من المعبود، وتكفر عن ذنوبه، وتبعده عن غضبه وســـخطه، وهـــي ما نسميه عبادة Worship وهي إما شعائر شفوية كالتعمـــيد في المسيحية، والصلاة وشعائر التلقين والزواج والتبني والوفاة والأدعـــية، وإما شعائر عملية كالاستحمام في مياه النهر المقدس . وذلك كما يفعل الهنود في نهر الكانج . وتساعد الطقوس على التفرقة بين ما هو مقدس ومدنس .

٣ - العنصر النصوصي :

يشـــتمل هـــذا الجـــزء على القواعد الدينية . وهي على هيئة نصوص أو أحاديـــث أو كتب لها قداستها . ويقوم هذا الجانب بتفسير المعاني والقيم

الدينية . كما يقوم بتوضيح مكانة الفرد بالنسبة للقوة الظاهرة التي يعتقد فيها .

والمعـــتقدات والشـــعائر الدينية أياً كان شكلها ونظامها لها دور في الحياة الاجتماعـــية . فهي تعمل على تماسك المجتمع وتآلفه وترابط الأفراد المكونين له . فمـــثلا كـــان الدين أداة قيمة في رعاية الوحدة القبلية أو الوطنية وحفظها . وهو كذلـــك يوحـــد بين الأفراد في القيم والأهداف والمعاني . كما يبرر هذه القيم مما ينسق تفاعل الأفراد، ويدعو إلى التعاون بينهم، علاوة على قيامه بتوحيد صفوفهم، وخاصة إزاء أي عدو خارجي.

وللديـــن وظائف نفسية مثل الشعور بالراحة النفسية، والقوة، للاعتقاد في أن قـــوة غيبية عظيمة تساعد الإنسان في حياته وبعد مماته . وتؤثر القيم الدينية في ســـلوك الأفـــراد، وتضـــبطه، وتراقب تصرفاتهم . كما تؤثر في النظم الاجتماعية كالأسرة، ونظم الحكم .

ويقـــوم الديـــن بتفسير بعض المشكلات الغامضة على الإنسان كمشكلة المـــوت، كما يقوم بالإجابة على أسئلة محيرة ليس غير الدين عليها مجيب . ولولا هـــذا التفسير وتلك الإجابة من جانب الدين لما تفاعل الأفراد في المجتمع على هذا المستوى من الصحة النفسية التي نشاهدهم عليها .

الدين في المجتمع الريفي :

وللدين مكانة كبيرة في المجتمعات الريفية . والريفيون أكثر تديناً . ويؤكد ذلـــك الظواهر الإنسانية، والسلوك الإنساني للريفيين . فالحياة المتعلقة بمهنة الزراعة على وجه الخصوص يحيط بها نوع من الغموض بدرجة تفوق باقي المهن الأخرى .

فمهنة الزراعة عرضة لقوى الطبيعة، وتتأثر بالظروف الطبيعية من درجات الحرارة، والبرد، والأمطار، والتي تؤثر في إنتاج المحاصيل الزراعية .

وما زالت هذه الظروف الطبيعية تتحكم في عملية إنتاج المحاصيل الزراعية رغم التقدم العلمي الحديث .. الأمر الذي جعل الريفيين يعتقدون أن القوى المسيرة لقوى الطبيعة هي قوة الله تعالى . وهي القوة العليا المسخرة لقوى الطبيعة التي تؤثر بدورها في إنتاج المحاصيل الزراعية .

أما المهن غير الزراعية فتعرضها إلى الظروف الطبيعية تكون بدرجة أقل، إذ يمكـــن للعـــامل التحكم في ظروف الإنتاج المختلفة في المصنع . لذلك فإن اعتقاد الريفـــيين في التفسيرات الدينية أكثر من اعتقاد الحضريين في التفسيرات . كما أن الأديـــان نشـــأت في مجـــتمعات ريفـــية . لـــذا فالريفيون أكثر تأثراً بالدين من الحضريين[1].

المساجد والكنائس :

هـــي الأمـــاكن الـــتي يمارس فيها الناس الصلاة والشعائر الدينية — أي يســـلكون فيها سلوكاً دينياً معيناً . وتحتاج هذه المؤسسات إلى دراسات جادة من حيـــث عددها بالنسبة لعدد السكان وتوزيعها الجغرافي، وموقعها في البلاد الكبيرة والصـــغيرة، وآثـــار ذلـــك كله على السلوك الديني، والسلوك الاجتماعي لأفراد المجـــتمع. كمـــا أنـــه من الأهمية بمكان دراسة سعة هذه الأماكن، وحالة مبانيها، ومـــرافقها الصحية، ونوع الإضاءة، وموارد المياه، ونوع الأثاث والمفروشات كل ذلك له أهميته .

(١) حسن علي حسن — المجتمع الريفي والحضري — دراسة مقارنة مبسطة ، ص. ص ٢٨٠ — ٢٨١.

كما أن القائمين على مهمة التعليم الديني من الوعاظ والمثقفين الدينيين لهم أهميتهم في سلوك وتفكير وحياة الناس الدينية . ويتوقف ذلك على عددهم ودرجة كفـــاءتهم ونـــوع تعلـــيمهم ومدى خبرتهم الدينية مما له أثره على معارف الناس ومعلوماتهم الدينية .

وتـــتحكم المعـــتقدات الدينية التي قد تكون صحيحة أو خاطئة في سلوك الإنســـان وتصـــرفاته في حـــياته الاجتماعية والاقتصادية . لذلك يربط الناس بين التفســـير الديـــني والأوضاع القائمة في الحياة . لذلك فمن المهم وجود الشخصية المتعلمة والمثقفة الصالحة للقيادة الدينية .

وتصـــاحب المؤسســـات الدينية بعض المنظمات الاجتماعية كأن يلحق بالمســـجد فصـــول دراسة أو مكاتب لتحفيظ القرآن الكريم أو جمعيات خيرية . ويعتـــبر ذلك النوع من السلوك الإنساني الطيب . وتقوم بعض المؤسسات الدينية بإقامـــة الحفـــلات والندوات والمحاضرات مما له آثاره في الحياة الاجتماعية وتوجيه السلوك الإنساني .

وتعمد بعض المؤسسات الدينية كالكنائس إلى اتباع وسائل الترغيب لنشر التعالـــيم الدينية مثل إنشاء المكتبات والمطاعم وصالات العرض السينمائي مما يعمل عـــلى احتذاب الناس واجتماعهم بالمسجد أو الكنيسة وإعطائهم الفرصة للتعاون فـــيما بينهم لدراسة مشاكل المجتمع والتفكير في حلها ووضع خطة العمل وتنفيذ مشروعات الاصطلاح .

الفصل الخامس عشر
النظام الترويحي في الريف

المقصود بالنظام الترويحي :

الإنسان كائن حي يكبر وينمو، وتنمو معه في أثناء ذلك طاقات لا بد من استنفاذها في أوجه النشاط المختلفة . وإذا لم يحسن الإنسان استغلال طاقاته عاد عليه وعلى المجتمع بأشد الأضرار .

ويقسم الإنسان وقته عادة بين ثلاث فترات وأنواع من الأنشطة، فترة العمل لضرورة كسب العيش أو في المدرسة، وفترة النوم للراحة، وفترة الترويح وقضاء وقت الفراغ لكي يضمن نموه وتطوره، ويصبح سعيداً ناضجاً منظماً، ومكوناً تكويناً صحيحاً .

وقد يتخيل البعض أن الترويح نشاط يؤديه الفرد أو الجماعة في أوقات الفراغ بحافز تلقائي غير هادف، أو أنه أسلوب لشغل وقت الفراغ. وقد ينظر إليه البعض على أنه نشاط شبيه بالسكر، أو التسلية أو غير ذلك . وواقع الأمر أنه وحسب المفهوم الأجنبي لكلمة **Recreation**، والتي تتضمن معنى إعادة الخلق، أو التجديد، أو ما شابه ذلك من المعاني الإيجابية [١] .

وقد يندهش البعض إذا وضعنا النشاط الترويحي تحت اصطلاح النظم الترويحية . والحقيقة أن النشاط الترويحي يحتاج كما يحتاج غيره من أنواع الأنشطة

---

(١) د. حسن إبراهيم عيد — الدراسات الاجتماعية ، ص ٩٩ .

إلى تنظـــيم وتوجـــيه . فمثلاً – في مصر – ومع أننا حددنا ساعات العمل للعامل عـــلى أســـاس أن يعطـــي قســـط مـــن الراحة يستغله في تحسين مستواه العقلي والاجتماعي، ولكنه استغل هذا الوقت في تعاطي المكيفات والمخدرات، والجلوس على المقاهي، ولعب الميسر، وبعثرة المال فيما يفسد الصحة والعقل .

هـــذا ولقـــد تناولت كتابات كثيرة مفهوم الترويح وظهرت بينها بعض الاختلافات وإن كانت تتفق فيما بينها في جوانب كثيرة .

فـــيرى **"برايـــت بل"** أن الترويح نشاط اختياري يمارسه الأفراد في وقت الفراغ مدفوعين في ذلك بالرغبة في تحقيق نوع من الرضا أو السرور . كذلك يرى **برايت"** أن الترويح يشير إلى مزاولة أي نشاط في وقت الفراغ سواء أكان فردياً أم اجتماعياً بهدف إدخال السرور على النفس [١] .

وقـــد تعددت التعريفات ما بين التركيز على هدف الترويح أو على تنمية ملكات الفرد، أو على مجالات الترويح كالمجالات الرياضية، والاجتماعية، والذهنية وهناك من ركز على الأبعاد النفسية دون الاجتماعية، ومنهم من أكد على النشاط البنائي، الأمر الذي يشير في النهاية إلى أن معظم ما طرح في التراث السوسيولوجي من تعريفات للترويح يتكامل مع بعضه البعض .

وتـــبدو ملامـــح وخصائص النظام الترويحي من خلال استعراض عناصر وخصائص هذا النشاط :-

١- أنـــه نشـــاط متنوع الأشكال رياضي واجتماعي وثقافي وفني . ويبقى أن تحـــدد هل هو نشاط اختياري، أو نشاط بناء، أو نشاط ممتع . ولكل من هذه الأنواع خصائصها التي يوضحها منطوقها .

---

(١) عطيات محمد خطاب – أوقات الفراغ والترويح ، ص. ص ٢٦ – ٣٠ .

٢ - والترويح تلقائي بمعنى أنه نابع من الفرد أو الجماعة حيث يحسون برغبة أو ميل إلى ممارسته .

٣ - والترويح نشاط يمارس خلال وقت الفراغ فقط . ويمكن هذا العنصر من التميـــيز بـــين وقت ممارسته وبين العمل، وإلا كان ضاراً بأهداف العمل والإنتاج، وغايات المجتمع .

وفي ضـــوء كل ما سبق فإنه يمكن أن نقول أن الترويح هو ذلك النشاط الـــذي يمارســـه الفرد ضمن جماعة معينة في غير أوقات عمله، وعلى نحو يرتضيه المجـــتمع وتقـــره أعـــرافه وقيمة الأخلاقية والدينية وأنماط السلوك المقبول في ذلك المجـــتمع، وبحيث يكون الهدف من هذا النشاط بناء وينمي طاقات الفرد وملكاته ومواهـــبه، كما أنه يعتمد على الاختيار الحر للفرد سواء بالنسبة لنوع النشاط أو مكان ممارسته .

هذا ويمتد مجال النشاط الترويحي إلى كافة الهيئات والمؤسسات التي يعيش فـــيها الناس في مختلف سني حياتهم بالإضافة إلى الهيئات والمؤسسات المتخصصة في الترويح، مما يجعل من هذا المجال المتشعب فرصاً طيبة لتنمية الشعور الاجتماعي في أعداد غفيرة من الناس .

هـــذا ويتضمن الترويح أنواعاً مختلفة من الترويح العام الذي تهتم به الدولة لمقابلة احتياجات الشعب كالمنتزهات والحدائق العامة والمصيف والشواطئ والمشاتي والمكتـــبات العامة والمتاحف. أما النوع الثاني فهو الترويح الموجه وهو الذي تتولاه المؤسســـات والهيئات العامة الأهلية والحكومية والتي تقدم خدماتها في مجال الرياضة والـــثقافة والصـــحة وشـــغل أوقات الفراغ . ومن أمثلة هذه الهيئات والمؤسسات والأنديـــة الرياضـــية والاجتماعية والساحات الشعبية ومراكز الشباب والخدمات

العامـــة وغيرهـــا . أما النوع الثالث فهو الترويح التجاري وتعمل في ميدانية دور السـينما والمسارح وشركات السياحة والرحلات . وهي مؤسسات تجارية ينشئها الأفراد أو الشركات وتؤدي خدماتها الترويحية للجمهور مقابل أجر نقدي .

ولـيس معـنى ذلك أن كلاً من الأنشطة المتنوعة يعتبر نظاماً مستقلاً، بل الغالـب أنهـا متداخلة، فقد يضع مجتمعاً نظاماً ترويحياً يهدف إلى تحقيق الأهداف السابقة جميعاً .

هـذا ولا تختلف النظم الترويحية من مجتمع لآخر، بل تختلف كذلك داخل المجـتمع الواحـد من فرد إلى فرد آخر . فقد أدت ظاهرة تقسيم العمل إلى تنوع مـيول الأفراد وأمزجتهم . وأصبح النشاط الذي يعد ترفيها لشخص معين قد لا يعـد كذلك بالنسبة لآخر . فقراءة كتاب قد يعد نشاطاً ترويحياً لشخص يشتغل بالأعمـال الـيدوية أو الأعمال التي تتطلب جهداً جسمانيا، بينما لا تعد نشاطاً ترويحيا بالنسبة لشخص يشتغل بالأعمال العقلية والذهنية، إذ أن هذا الأخير يشغل وقـت فـراغه مثلاً بالألعاب الرياضية، كذلك فإن المدرب الرياضي لا ينظر إلى الألعاب الرياضية على أنها نشاط ترويحي، وإنما ينظر إليها على أنها عمل .

والنشـاط الـترويحي له وظائف أساسية في حياة الإنسان أهمها : الإعداد للحـياة المستقبلية جسمياً ونفسياً، وتحقيق التوازن بين قواه المختلفة، والتنفيس عن بعض الغرائز .

ومن الأنظمة الترويحية ما يهدف إلى تنظيم أوقات الفراغ والاستفادة منها في الـنهوض بالشباب من النواحي الجسمية والعقلية والروحية . وتؤدي الأنظمة الترفيهية إلى تنمية القدرات الحركية، فالحركة والنشاط دافع أساسي لدى الإنسان

بعامة، ولدى الصغار والشباب بخاصة، ذلك أنه ينمي كثيراً من الطاقات الكامنة في الفرد .

ويحقق الترويح وظيفة اجتماعية فالإنسان بطبيعته اجتماعي وعلى هذا فهو يتصـــل بالآخـــرين . وعن طريق هذا الاتصال تشبع رغبة الإنسان في تبادل الآراء والأفكـــار مـــن خلال القصص والمناقشات الجماعية وغيرها من الأمور التي تجعل الفرد ملماً بأفكار الآخرين وآرائهم في مختلف القضايا الاجتماعية والثقافية والدينية والسياسية .

ويحـــتاج الإنسان دائماً إلى الانتماء . وهذا ما يتحقق من خلال الترويح، ومشـــاركة الفرد لأقرانه، ويهدف الترويح إلى إيقاظ الوعي الاجتماعي وتنشيطه . فالفـــرد عن طريق ممارسته لهذا النشاط يشعر بالحاجة إلى التعاون مع الغير، ويتعود على الخضوع، وطاعة الرؤساء وإثارة المصلحة العامة، والتضحية في سبيل الجماعة التي ينتمي إليها، والمنافسة البريئة، واحتمال الهزيمة، والرحمة بالمغلوب .

ومـــن النظم الترويحية ما يهدف إلى إيقاظ الوعي القومي عن طريق ترديد الأغـــاني والأناشـــيد الجماعـــية والوطنية والقومية . ويؤدي التعليم كذلك وظيفة تعليمـــية . فهو يساعد الفرد على اكتشاف اهتماماته وربما تعديل رغباته، وكذلك اكتشاف الميول الجديدة، واكتشاف نماذج مقبولة للسلوك الاجتماعي .

ويمكـــن النشـــاط الترويحي الفرد من الابتكار والإبداع الفني، والتي يمكن تنميـــتها مـــن خلال الأحاسيس والعواطف والانفعالات التي يحس بها الفرد أثناء مشـــاركته في النشاط الترويحي . هذا فضلاً عن إشباع وتنمية اهتمامات يحس بها الفرد مثل سماع الموسيقى والتمثيل والنحت والرسم وكتابة القصص ونظم الشعر . ومن خلال ذلك يكتشف الفرد إمكانياته نحو هذه المجالات .

الترويح في المجتمع الريفي :

يحـــتاج المجـــتمع الريفي إلى خدمات ترويحية تتفق مع طبيعة الحياة الريفية وبساطتها، تلك الحياة التي تعتمد على النشاط الاقتصادي الزراعي وتتميز بعناصر ثقافية متمثلة في القيم والعادات والتقاليد والعادات الريفية.

ولقد بدأ الاهتمام بنشر الخدمات الترويحية في المناطق الريفية بعد أن قامت وزارة الشئون الاجتماعية بإنشاء المراكز الاجتماعية للنهوض بمستوى الحياة في هذه المـــناطق اقتصاديا واجتماعيا، وقد شملت هذه المراكز النشاط الترويحي حيث أنشئ في كل مركز اجتماعي نادى ريفياً .

هـــذا ويشـــرف عـــلى النادي الريفي مجلس إدارة منتخب وله لائحته. ويشـــرف على الأندية الريفية المجلس الأعلى للشباب والرياضة . فمثلاً في مديرية الشباب بالمحافظة، وتشرف المجالس المحلية الريفية (القروية) على خطة تنفيذ ومتابعة نشاط الأندية الريفية في القرى المصرية تنفيذاً لقانون الحكم المحلي رقم (٥٣) لسنة ١٩٧٥م .

وإذا أردنـــا أن نـــتحدث عـــن أهم أغراض النادي الريفي فيمكن القول بأنها:-

١ - تحـــاول جاهدة جذب الأعضاء الريفيين إلى الاشتراك فيها والانضمام إلى الفرق الرياضية والجماعات الثقافية وتقوية الروابط بين الأعضاء .
٢ - نشر الوعي الصحي والثقافي والاجتماعي بين الأعضاء وتوجيهم للمساهمة في حل مشاكل القرية والإقبال على تأدية الخدمات العامة .
٣ - التدريـــب عـــلى تعلم الصناعات والحرف الزراعية والريفية والاستغلال الخامات التي تتوفر في القرية مما يسهم في زيادة دخل الأسرة الريفية .

٤ - الاهتمام بإقامة الحفلات الترفيهية في المناسبات الدينية والقومية .

٥ - نشر الروح الرياضية والاهتمام بالحركة الكشفية وتنظيم برامج الرحلات والمعسكرات .

٦ - يعتـــبر النادي الريفي مركز إشعاع اجتماعي وثقافي في القرية فيعمل على محاربة البدع والعادات السيئة .

٧ - الفتاة الريفية تتيح لها فرصة العضوية بالنادي حيث تمارس نشاطها في مجال الثقافة والرياضة وتعلم الحياكة وأشغال الإبرة والتدبير المنزلي، مما يرفع من ثقافة الفتاة الريفية ويجعلها عضواً منتجاً عاملاً في المجتمع الريفي [١] .

---

(١) د. حسن همام . دراسات في علم الاجتماع الريفي ، ص. ص ٥٥ - ٧٣ .



الفصل السادس عشر

الصحة في الريف

الصـــحة هـــي خلو الجسم من الأمراض والعاهات . وهي سلامة أجهزة الجســـم، أو حالـــة من الكمال البدني والعقلي والاجتماعي . والمرض هو خلل في هذه الأجهزة .

والقطاع الريفي يتميز بصفات عامة سواء كان في ريف مصر أو الهند أو دول أمـــريكا اللاتينـــية أو غيرها من الدول النامية . ولهذه الصفات آثارها على المســـتوى الصحي للريفيين . ومن هذه الصفات انخفاض المستوى فالمهنة الرئيسية لســـكان الـــريف هـــي الـــزراعة . وفي البلاد النامية مازالت الزراعة تعتمد على الأساليب البدائية القديمة .

ومـــن ناحـــية فإن مساحة الرقعة الزراعية لم تزد زيادة تتناسب مع زيادة الســـكان . ولهـــذا فـــإن مستوى الدخل والمستوى الاقتصادي للمجتمع الريفي تـــنخفض انخفاضاً ملحوظاً عن المجتمع الصناعي، ويؤدي هذا إلى قصور إمكانيات الفلاح عن توفير المسكن الصحي والغذاء المتكامل والملبس المناسب .

وقد ترتب على ذلك مشاكل صحية نوجزها في الآتي :-

١ - تـــتعرض حـــياة الفلاح في الحقل، للهواء النقي الطلق والشمس الساطعة المضـــاءة ؛ ممـــا يضفي عليه صحة إضافية تعوضهُ عن مآسي الجب الذي

يسكنه، وهو المسكن . إلا أن هذه الحياة ذاتها التي يحياها الفلاح في الريف تزوده بمجموعة من الأمراض قد لا تتوفر لساكن الحضر .

فعمل الريفي، أو مهنته الأساسية، يجلب له بعض الأمراض، فهو يعمـــل في الحقـــل في العراء، متعرضاً لموجات البرد، ولفحات الحر على الســـواء، وهـــو ذو الجسم النحيل (غالباً)، والملابس المتواضعة لا تكسبه مـــناعة ضـــد الجو المتقلب . وبالإضافة إلى ذلك فهو يمارس عمله حافي القدمـــين خائضاً غمار مياه وطين الحقل والترعة والمصرف بما تحمله بين طـــياتها مـــن جراثيم وقواقع وديدان الكثير من الأمراض خاصة المتوطنة كالبلهارسيا والانكلستوما .

٢ - **فقر الفلاح وجهله :**

يخلـــق فقـــر الفـــلاح وجهله من الفرد شخصاً مريضاً، فهو يأكل أسوأ الأطعمـــة، وينتج الحليب والبيض، ولكنه لا يأكلها، بل يبيعها لأبناء المدن ليحصـــل مـــا يقسم بها أوَدَه . ويربي الفلاح الماشية، ولا يتذوق لحمها . ويزرع الخضار والفواكه فلا يناله منها إلا الرديء الذي لا يجد له سوقاً . إن غـــذاء الفـــلاح سيئ وغير متزن، جسمه منهوك، صحته متردية، مما يصـــيبه بأمراض سوء التغذية . ويجهل الفلاح أبسط قواعد الصحة، ولا يســـتطيع أن يصـــل إلى الطبيـــب والصيدلية إلا في أخطر الحالات وبعد تضحيات فاحشة .

٣ - ومسكن الريفي مبني في الغالب من الطوب النيئ، والذي لا تتمتع جدرانه بأي طلاء أو دهان أو بياض، مما يجعله سبباً أو مصدر للعديد من الأمراض الـــتي تنتشـــر في الريف وتخفض المستوى الصحي . والمسكن بما فيه من

شـــقوق يتـــيح الفرصـــة للحشـــرات الضارة كالبراغيث والبق والنمل والصراصـــير أن تجـــوب المســـكن كيفما شاءت، حاملة معها الكثير من الأمراض، وعلى رأسها الطاعون (الفئران) .

والمسكن الريفي ضيق، وسيئ التهوية، وإضاءته سيئة لعدم وجود الكهرباء مما يؤدي إلى انتشار أمراض الرذاذ وتولد الحشرات كالبراغيث . كمـــا تنتشـــر الحيوانات القارضة والتي تسبب موطناً للأوبئة وتؤدي إلى خسارة اقتصادية كبيرة فتأكل المحاصيل والأطعمة وتخرب المباني من خلال مخابئها. ويرجع انتشار الحشرات والحيوانات القارضة في الريف إلى امتلاء الأماكن حول المساكن بحظائر الماشية، ووجود البرك والمستنقعات .

وتخلو المساكن في الريف في الغالب من المراحيض ودورات المياه، وتجلب مـــياه الشرب وغيرها من الموارد العامة إن وجدت من الترع أو الطلمبات في أوعـــية فخارية . ويتم خزنها بطريقة بدائية غير صحية ويخزن الريفيون مواد الوقود فوق الأسطح . وإذا شب حريق فإنه يصل من منزل إلى آخر، وكثيراً ما يقضى على كل منازل القرية في وقت قصير .

ومســـكن الـــريفي بما ينقصه من أثاثات مريحة لا يعطي الفلاح المجهد قسطه اللازم من الراحة، وقد يعجل بشيخوخته مبكراً وقبل الأوان.

والزريبة قاسم مشترك أعظم لكثير من الأمراض في الريف . وهي ركـــن أساســـي في كل مسكن ريفي . وهي عادة ما تكون مرتعاً خصباً للجراثيم خاصة إذا ما استخدمها أهل البيت في قضاء حاجاتهم، وخلطوا فضـــلاتهم وبقاياهم الآدمية مع روث الحيوانات بالطين والتراب بأيديهم لاســـتعمالها كســـماد طبيعي للأرض، أو إذا ما صنعوا من روث البهائم والحيوانات أقراص الجلة واستخدموها كوقود .

٤ - شوارع القرية ضيقة، وبها أكوام السماد التي يتولد فيها الذباب والحشرات التي تنقل الأمراض .

٥ - الـــبرك والمســـتنقعات، وهي غالباً ما تنشأ نتيجة لاستعمال ترابها في صنع طوب البناء أو أثناء إنشاء الطرق أو في الأراضي المنخفضة . وهي مصدر هام لتوالد البعوض الذي ينقل بعض الأمراض المعدية كالملاريا .

٦ - الأســـواق ومذابـــح اللحوم، ويلاحظ عدم مراعاة الاشتراطات الصحية لحفظ الأغذية أثناء بيعها ؛ مما يعرضها للتلوث .

٧ - ارتفـــاع معدل المواليد، كما تعلو نسبة الوفيات خاصة في أطفال ما قبل السادسة .

٨ - الافـــتقار إلى توافـــر الاستعدادات اللازمة لحل مشاكل الرعاية الطبية في المـــناطق الريفـــية . وحـــتى لو توافرت المستشفيات فإنه يعوزها الإمداد بالأدويـــة والأجهزة . هذا بالإضافة إلى أن الطبيب الناشئ غالباً ما يحجم عن العمل في المناطق الريفية .

وقـــد أوصـــى " و. ك. كيلوج **W. F. Kellog** " في كتابه بعنوان مصادر المستشفيات واحتياجاتها **Hospitals Resources and Needs** أوصـــى فيه بأن المستشفيات يجب أن تشيد في المناطق المحلية ذات الحجم السكاني الكـــبير، والتي من الممكن أن يتحقق فيها كفاءة الإمداد بالأدوية والأجهزة، ويجب أن تصمم في المناطق الريفية لتعمل كمصدر ينبعث منها الخدمات الصحية. وتخدم

المستشفى عدداً من السكان لا يقـــــل عن (١٥,٠٠٠) ، وفيها ما لا يقل عن خمسين سريراً [١] .

التخطيط الصحي في المجتمع الريفي :

يعـــتمد إنجـــاز الأهـــداف الصـــحية في المجتمع المحلي اعتماداً كبيراً على التنظيمات الإدارية التي تؤدي إلى التخطيط وتنسيق الصحة في المجتمع المحلي . ومن ثم فإن الإدارة والصحة عضوان متكاملان لا يمكن فصلهما . وهما يعملان معاً على تحقـــيق الأهـــداف الطبيعية والصحية وتشمل وظائف الإدارة والتخطيط والتنظيم والإدارة والتقيـــيم . وهـــي تهـــتم بالعلاقـــة بين نسق الصحة وخصائص النسق الاجتماعي والإيكولوجي في المجتمع المحلي.

وللتخطـــيط لـــتوفير الخدمة الصحية للقطاع الريفي تقوم الوحدة الصحية الريفـــية . وهـــي تخدم (٥٠٠٠) من السكان يعيشون في دائرة محيطها (٣ كم) . وتتكون الوحدة الريفية من الأفراد الآتيين :-

١ - طبيب ممارس .
٢ - اثنان من القابلات (الدايات الحاصلات على شهادات رسمية) .
٣ - فني معمل .
٤ - الممرضات .
٥ - التو مرجيات .

(1) Mc Henry, Walter J. & Rider, Dunald C., Regionalization and Rural Health care, P. 16 .

وتقوم الوحدات الصحية بالخدمات الآتية :-

١ - خدمات رعاية الأمومة والطفولة، وتشمل :-

أ - رعايـــة الحوامــــل في المترل أو الوحدة الصحية أو العيادة، وتوفير وســـائل الإسعاف بالمستشفى، واجراء الفحوص المعملية البسيطة مثل تحليل البول، وتقدير هيموجلوبين الدم .

ب - الولادة سواء في البيت أو في المستشفى في الحالات المتعسرة .

ج - رعاية الأم بعد الولادة في المترل أو الوحدة .

د - رعاية الرضيع سواء في المترل أو الوحدة .

هـــ - رعاية الطفل في سن ما قبل المدرسة .

٢ - الوقاية أو السيطرة على الأمراض المعدية :

ويشـــمل البرنامج إجراءات لترقية الصحة بالتغذية السليمة وصحة المنازل والتربـــية الصـــحية، وإجراءات الوقاية النوعية " التحصين وصحة اللبن ومكافحة الحشرات وتصريف الفضلات وتوفير المياه النقية "، وإجراءات الاكتشــــاف المبكر والعلاج الفوري لمنع خطر العدوى عن الآخرين، مع تسهيل إجراءات التبليغ عن الأمراض المعدية والبحث الوبائي البسيط عن مصـــادر العـــدوى وانتقالها، وعزل الحالات، ومراقبة المخالطين، وتقوم بإجـــراءات إيجابية لاكتشاف الزهري، والدرن، والملاريا، والإنكلستوما، باستعمال الفحوص المعملية البسيطة .

٣ - صحة البيئة :

وتشـــمل صـــحة المـــياه، والمراحيض، وتصريف الفضلات، وردم البرك والمســـتنقعات، وصـــحة الأغذيـــة، ومكافحة الحشرات، والقضاء على القـــوارض، التي تتغذى على المحاصيل، وصحة المنازل مع التثقيف الصحي في هذه المجالات .

٤ - الســــجلات :

حفظ السجلات الصحية البسيطة ومنها الإحصاءات السكانية، مثل عدد الســـكان في المنطقة التي تخدمها الوحدة، وتوزيعهم بالنسبة للسن والنوع، والـــزواج والطلاق، والتعليم، والمهنة، والدخول، وذلك بمساعدة إدارات التعداد .

٥ - التربية الصحية :

ويعـــتمد في ذلك على طرق المواجهة والمقابلة أثناء أداء الخدمة، وكذلك اللجان الصحية [١] .

---

(١) أنظر د. فوزي على جاد الله - الصحة العامة والرعاية الاجتماعية ، ص ٥٢٣ .
وأنظـــر د. حســـين عبدالحميد أحمد رشوان - دور المتغيرات الاجتماعية في الطب والأمراض - دراسة في علم الاجتماع الطبي ، ص. ص ١٩١ - ١٩٧ .



الفصل السابع عشر

البناء الطبقي في المجتمع الريفي

الطـبقة الاجتماعـية مفهوم علمي حديث على درجة كبيرة من التعقيد، فالحقائق التي تعرف بها الطبقة الاجتماعية مختلفة ومتنوعة من حيث طبيعتها . ومن هـنا ظهـر عـدد كبيرة من التعريفات اعتمد بعضها على معايير ذاتية في تحديد ماهيتها، والتعريف بها . بينما اعتمد البعض الآخر على معايير موضوعية — أي من وجهة نظر المشاهد الخارجي .

ويعتبر " سنترز **Centers** " من المتحمسين لاستخدام المعايير الذاتية ؛ إذ يـرى أن الوعي الطبقي هو العامل الحاسم في تحديد مفهوم الطبقة، ويذهب إلى أن الطبقة ظاهرة سـيكولوجية أكثر مما هي شيء آخر .

وهـناك مفكـرون اهـتموا بموضوع الطبقة وفق خصائصها الموضوعية كالأساس السياسي، أو الاقتصادي، أو التعليم، أو الديني، أو الصفات البيولوجية، أو أسلوب الحياة، أو الأصول العائلية، أو التقارب والتشابه بين الناس .

ويطلق مصطلح **"الطبقة الاجتماعية"** في اللغة الإنجليزية كلمة **Class** ، وفي الفرنسية **Classe** . وتعني الصنف من الناس، أو الأشياء، وتعبر عن التفاوت بـين الـناس، فكمـا تتفاوت طبقات المجتمع وطبقات الأرض وما شاكلتها من الطبقات رأسياً وأفقياً، كذلك يتفاوت الناس ويختلفون في فرص الحياة .

فالمجـــتمعات الإنســـانية المعاصرة والقديمة يتمخض عن التفاعل فيها عدم المساواة بين الناس، واختلاف في مراتب ومراكز وهيبة الأفراد وأدوارهم في الحياة. ويـــنجم عـــن ذلك سلسلة من الترتيب الطبقي . ذلك أن أي مجتمع لا يمكن أن يســـتمر في الوجـــود دون طـــبقات متدرجة من القمة إلى القاع، ومن السمو إلى الانحطاط، مثله في ذلك مثل الأشخاص ذوي الأوزان والأطوال المختلفة، مكونين بذلـــك هـــرماً من اللامساواة الاجتماعية . وهذا البناء الطبقي ليس بناءاً ستاتيكياً ثابتاً، ولكنه بناء قابل للتغير والانهيار في معظم المجتمعات .

وقـــد اتجهت بعض النظريات كنظريات **"سبنسر وجمبلو فيتش"** إلى تفسير الوجـــود الطـــبقي، وتحديـــده في ضوء أحادية الأبعاد البيولوجية أو العنصرية أو النفسية.

وقســـم الـــبعض الطـــبقات الاجتماعية إلى طبقتين . فقد قسمها **"كارل ماركس، وفريدرك أنجلز"** في ضوء عامل واحد هو علاقات الإنتاج إلى طبقتين . والطبقات الاجتماعية في رأيهما جماعات من الناس تستطيع إحداهما استغلال عمل الأخـــرى تبعاً لتباين موقع كل منهما في النظام الاقتصادي القائم . واعتبر التاريخ والأحداث التاريخية هو تاريخ الطبقة والصراع الطبقي .

ففي العالم القديم انقسم الناس إلى نبلاء وعبيد . وفي عالمنا المعاصر ينقسم المجـــتمع إلى طبقتين : البورجوازية، وهي طبقة صغيرة من أصحاب رؤوس الأموال والأثرياء الذين تنمو ثرواتهم نمواً كبيراً . وهي ذات قوة وسلطة . أما الطبقة الثانية فهـــي البروليتاريا، وهي جيش جرار من العمال الصناعيين الفقراء الذين لا يملكون

شيئاً والذين يطرد نموهم . ويضيفا أن هناك صراعاً بين الطبقتين ينتهي إلى مجتمع لا طبقي [١] .

أمـــا أوبـــنهمير "**Oppenheimer**" فيرى أن هناك طبقتين قاما على أســـاس اقتصادي، ولكنه يختلف عن "**ماركس وأنجلز**" في أن الأساس الاقتصادي لديـــه هـــو ملكية الأرض، إذ توجد طبقة تملك الأرض الواسعة، وأخرى لا تملك شيئاً .

واعـــترض "**سوروكن**" على نظرية "**ماركس**" بقوله أن المؤثرات الأساسية في العالم الثقافي والاجتماعي لا ترجع إلى عوامل اقتصادية أو مادية، وإنما ترجع إلى مجموعة من العوامل يكون العامل الاقتصادي واحداً فيها .

والحق أن الثروة في حد ذاتها لا تكفي لتحديد الطبقة . فالوضع الطبقي لا يرتـــبط ارتباطاً كاملاً بالثروة والمال . فكم من أحياء غنية تضم فقراء كالخدم وما شـــابه ذلـــك . وأحياء فقيرة تضم أغنياء . كذلك فإن دخل الطيار أضعاف دخل أستاذ الجامعة، ومع ذلك فإنه يتمتع بمكانة اجتماعية أقل من أستاذ الجامعة . ودخل بعض رجال الدين أعلى من دخل ضابط الجيش، ولكن ضابط الجيش يحتل مكانة اجتماعية أعلى من رجل الدين .

إن الطـــبقة الاجتماعية تستند إلى أسلوب الحياة، فالغني المنتمي إلى طبقة عليا، ولديه قدر كبير من المال، ويستطيع شراء المترل، والسيارة، والملابس، ولكن أسلوب حياته قد يكون أسلوب حياة طبقة أدنى .

ومـــن العلماء والمفكرين من قسم الطبقات الاجتماعية إلى ثلاث طبقات، هـــي : **طـــبقة عليا، وطبقة وسطى، وطبقة دنيا** . فها هو أفلاطون تخيل سكان

(١) أنظر بوتو مور ت. ب . – الطبقات في المجتمع الحديث ، ص. ص ٤٤ – ٤٥ .

المديـــنة الفاضـــلة ينقسمون إلى ثلاث طبقات : طبقة الحكام، وقد مزجت الآلهة جيلـــتهم بالذهـــب، وطـــبقة الجند وقد مزجت جبلتهم بالفضة، وطبقة العمال والصناع والزراع وقد مزجت الآلهة جبلتهم بالنحاس والحديد .

ومـــيز " **أرسطو** " بين ثلاث طبقات في ضوء الثروة والإنتاج، هي: الغنية جداً، والفقيرة جداً، والمتوسطة .

ومـــن العـــلماء من قسم الطبقات الاجتماعية إلى ست طبقات، فكل من العليا، والوسطى، والدنيا تنقسم إلى عليا، ودنيا، وهي :

١ - **الطـــبقات العليا العليا** : وهي تتكون من العائلات الغنية القديمة والبارزة اجتماعياً، وتمتلك مالاً كثيراً لا يعرف الناس مصدره .

٢ - **الطـــبقة العليا الدنيا** : وهي تتكون من عائلات ليست بارزة اجتماعياً، ولديها مال كثير امتلكته منذ فترة وجيزة .

٣ - **الطـــبقة الوسطى العليا** : وهي تشمل رجال الأعمال الناجحين، والأفراد المتخصصـــين . وهم على وجه العموم من أصول عائلية طيبة، ويتمتعون بدخل مناسب .

٤ - **الطـــبقة الوسطى الدنيا** : وتشمل الكتبة والعمال ذوو الياقات البيضاء، والنصف متخصصين، ورجال الحرف الذين هم في القمة.

٥ - **الطـــبقة الدنـــيا العلـــيا** : وتشمل العمال الدائمين، وهم في الغالب لا يستريحون لاستخدام كلمة "**دنيا**" .

٦ – الطـــبقة الدنـــيا الدنـــيا : وتشمل العمال المهاجرين والعاطلين، والذين يعتمدون على مساعدة الآخرين [١].

ويقسم بعض العلماء الطبقات الاجتماعية إلى تسع هي :

١ – الطبقة العليا العليا .
٢ – الطبقة العليا الوسطى .
٣ – الطبقة العليا الدنيا .
٤ – الطبقة الوسطى العليا .
٥ – الطبقة الوسطى الوسطى .
٦ – الطبقة الوسطى الدنيا .
٧ – الطبقة الدنيا العليا .
٨ – الطبقة الدنيا الوسطى .
٩ – الطبقة الدنيا الدنيا .

وقد ذهبت نظريات معظم العلماء والباحثين إلى القول بأن الاقتصار على عـــامل واحد لا يكفي في تحديد الوضع الطبقي، أو في رسم صورة هرمية للترتيب الطـــبقي في المجتمع المحلي، وإنما تعود الطبقة إلى محددات ومعايير متعددة ومترابطة ومتماسكة، هي : البعد الاقتصادي، والتعليم، ومستوى المعيشة، والدين، وأسلوب الحياة .

البناء الطبقي في المجتمع الريفي :

يمكـــن وصـــف الطبقات الاجتماعية على أنها تكون أقسام المجتمع المحلي، وأنهـــا تجمع لأفراد يرتبط كل منهم بالآخر عن طريق علاقة المساواة، وينظرون إلى غيرهـــم على أنهم تابعين أو رؤساء، وتصبح المساواة هي الأساس في تكوين الطبقة حيث تختفي الفروق والتمايزات بين أعضاء الطبقة الواحدة، بينما تزداد الهوة بينهم – ككل – وبين أعضاء طبقة أخرى .

(1) Horton, Poul B. Hunt, Sociology, P.P. 234 – 235 .

وتـــتداخل العوامل والأبعاد في تحديد الوضع الطبقي، وعدم الاقتصار على عـــامل واحد، فالاقتصاد والمهنة والدخل والتعليم والحالة الاجتماعية جميعها تحدد الطـــبقة الـــتي ينتمي إليها الفرد . ويعطي درجات لقياس هذه الطبقات هي مائة درجة. وتوزع هذه المائة درجة على جميع هذه الأبعاد، بحيث يكون الفرد من أبناء الطـــبقة الدنـــيا إذا كان مجموع درجاته في المقياس أقل من الثلث، ويقع في الطبقة العلـــيا إذا حصل على أكثر من ثلثي الدرجات . أما إذا حصل على درجات تقع بين الثلث والثلثين فهو في الطبقة الوسطى .

ويـــندر وجود الطبقة العليا في المجتمع الريفي . أما الطبقة الوسطى فتعتبر أكبر الطبقات جميعاً، ويليها الطبقة بين الوسطى والعليا، وأخيراً الطبقة الدنيا .

ورغـــم القوى النفسية التي يمكن ملاحظتها بين الطبقات في المجتمع المحلي، إلا أن هـــناك عامل أساسي يربط بين أعضاء الطبقة، وهو العامل الاقتصادي . إذ يقســـم الـــناس أنفسهم إلى أغنياء وفقراء . ثم يأتي بعد ذلك الشعور بالدونية أو الســـمو مـــن الناحـــية الثقافية أو الفكرية أو النفسية، أو ما يمكن تسميته بالوعي الطبقي .

والملكـــية عامل أساسي في تحديد الوضع الاجتماعي، ووجود الطبقة . أما العمالـــة فهي تركز على ما تدره من ربح على الأسرة، ولذا فإن الدخل ومستوى المعيشة ومصادر الإنفاق من المصادر الاقتصادية التي تحدد الطبقة الاجتماعية . وفي وقتنا الحالي فإن أقل من نصف سكان القرى يعملون بالزراعة سواء امتلك أرضاً أو يعمـــل كـــأجير . وهذا يعني أن القرويين قد تحولوا إلى أعمال أخرى غير ما هو معهود بهم من العمل في الزراعة ومستلزماتها [(١)].

---

(١) أنظر د. محمد عاطف غيث – دراسة مقارنة لمظاهر التغير الاجتماعي في مديرية الدقهلية – رسالة دكتوراه / جامعة الإسكندرية ، ١٩٥٩م ، ص. ص ٣١٥ – ٣١٧ . وأنظر ص ٣٧٨ .

ومن خلال تحليل العلاقة بين المهنة كبعد طبقي واعتبارها محكاً للتفرقة بين الطـبقات في القرية المصرية، يتبين أن فئة المزارعين الذين يمتلكون أرضاً أو يعملون لـدى ذويهم بدون أجر تمثل أعلى الفئات . أما عمال الصناعة والخدمات فتتزايد نسـبياً في القـرى القريبة من المراكز ومن المدن الحضرية . وأنه عندما تتزايد فئة الـتجار أو أصـحاب المحال التجارية وفئة البائعون الجالون، تتزايد معها فئة عمال الزراعة الأجراء في نفس القرية .

هـذا وكلما ارتفع معدل المزارعين كلما انخفض المستوى الطبقي، وكلما ارتفع معدل الخدمات كلما ارتقى المستوى الطبقي في القرى .

ويعتبر متوسط دخل رب الأسرة أحد المحكات التي تفرض بين الطبقات . فدخـل رب الأسرة من الطبقة الوسطى (١٨,٠٨) جنيهاً شهرياً، بينما دخل رب الأسـرة مـن الطـبقة الدنيا يصل إلى (١٢,٢٩) جنيه شهرياً، مما يعني أن الطبقة الوسطى أكثر دخلاً من الطبقة الدنيا .

ونجـد كذلك أن دخل رب الأسرة من الطبقة الدنيا لم يتغير، مما يعني أن الأسرة من الطبقة الدنيا تعتمد في دخلها على رب الأسرة وحده. بينما يرتفع دخل الأسـرة مـن الطبقة الوسطى إلى (٢٠) جنيه شهرياً؛ مما يعني تنوع مصادر دخل الأسـرة . فأبناء وزوجات أعضاء الطبقة الوسطى يتزايد معدل من ساهم منهم في مصـروفات المـترل والإنفاق، بينما يقل المعدل بالنسبة للطبقة الدنيا . كما يتزايد معـدل مـن لهم دخل غير دخل رب الأسرة من مهنته فقط بالطبقة الوسطى عنه بالطـبقة الدنيا . ويتزايد معدل من لهم مترل ملك كمصدر إضافي للدخل بالطبقة الوسـطى عـنه بالطـبقة الدنيا . كما تتزايد معدلات من يعتمدون على الأبناء كمصدر إضافي للدخل بالطبقة الوسطى عنه بالطبقة الدنيا .

ويُعد حالة المسكن وطبيعته والإقامة المستقلة أو المشتركة في مسكن واحد مؤشـــراً للتمييز بين الطبقات في الريف . كما أن عدد حجرات المسكن يدل على المكانـــة الاقتصادية، وكلما زاد عدد الحجرات ارتقت المكانة . بالإضافة إلى مكان أو منطقة الإقامة تعد كذلك معياراً طبقياً .

فنسبة من يمتلكون مساكنهم من الطبقة الوسطى أعلى منه بالنسبة للطبقة الدنـــيا . كما ترتفع من يقيمون في مساكن مشيدة بالمسلح بالطبقة الوسطى عنه بالطـــبقة الدنيا . ويرتفع معدل من يقيمون في منازل من الطوب بالطبقة الدنيا عنه بالطـــبقة الوسطى . كما تتميز بيوت أبناء الطبقة الدنيا ببنائها من الطوب اللبن . وتتكون بيوت الطبقة الدنيا عموماً من طابق واحد أو طابقين .

ويفضـــل أبناء الطبقة الوسطى الإقامة المستقلة بالمسكن مع أسرهم، بينما تكاد تصل نسبة من يشتركون في الإقامة بالطبقة الدنيا إلى ثلث عدد الحالات [١].

ومـــع ذلـــك فـــإن العـــامل الاقتصادي وحده لا يكفي لتحديد الوضع الطبقي [٢].

وتســـعى الدولة عادة إلى نشر التعليم وإتاحة فرص التعليم لجميع المواطنين عـــلى الســـواء، وهو ما يعرف بمبدأ تكافؤ الفرص . بالإضافة إلى أن الأسر ترقى اجتماعياً واقتصادياً بعدد أعضائها المتعلمين . إذ عن طريق التعليم يشغل الفرد مهنة معينة تفوق في مركزها الاجتماعي تلك التي يشغلها أقل منه قسطاً من التعليم .

---

(١) د. حسن همام – دراسات في علم الاجتماع الريفي ، ص. ص ٢٤٠ – ٢٤٣ .

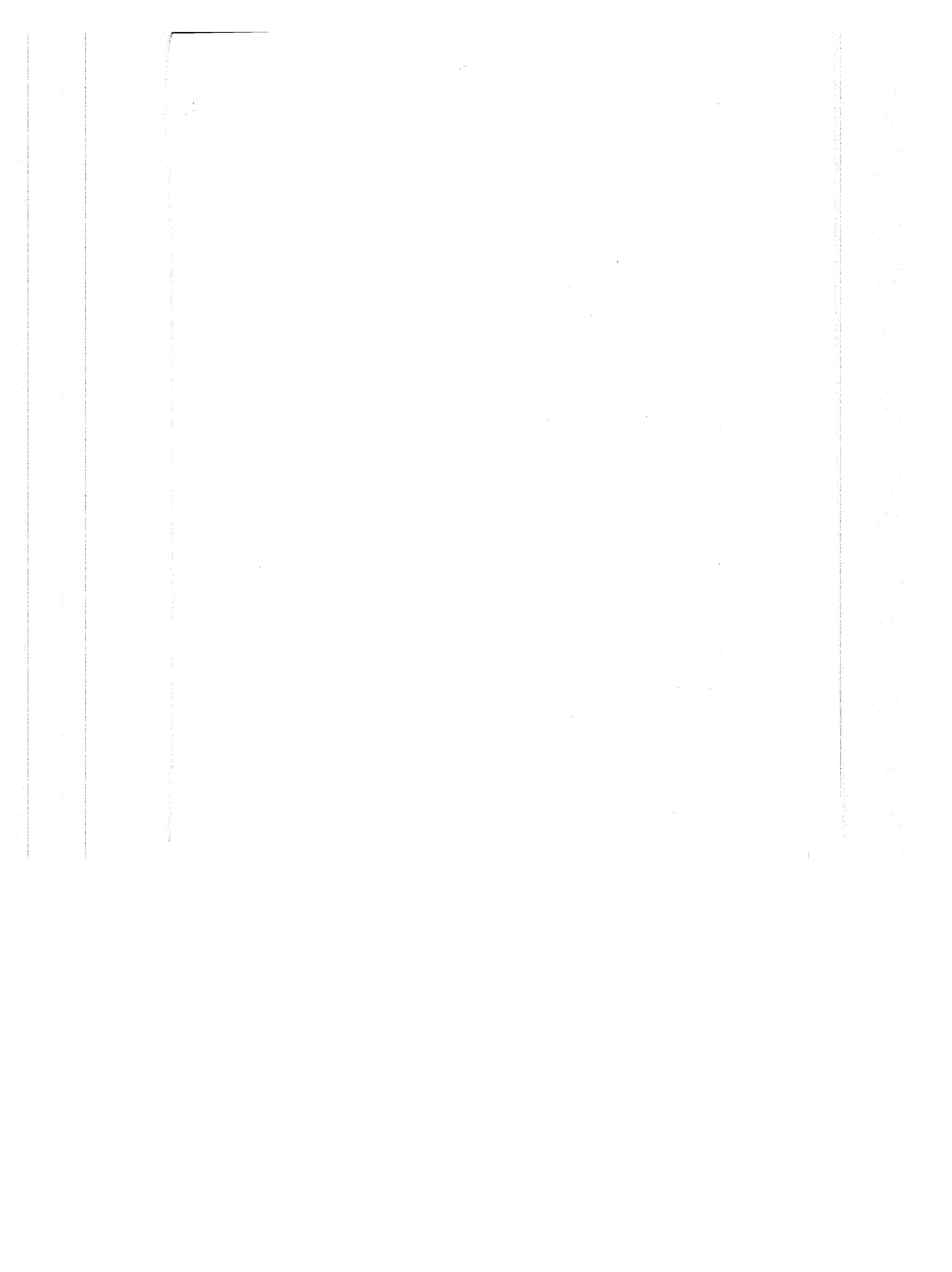
(٢) أنظر د. محمد عاطف غيث – دراسة مقارنة لمظاهر التغير الاجتماعي في مديرية الدقهلية – رسالة دكتوراه ، جامعة الإسكندرية ، ١٩٥٩م ، ص. ص ٣١٥ – ٣١٧ . وأنظر ص ٣٧٨ .

ويُعـــد التعليم أحد المحكات الرئيسية التي تميز بين الطبقات الاجتماعية . وإن كـــان ذلـــك يختلف باختلاف المجتمعات . ويستخدم هذا العامل على النحو الآتي:-

١ - أمي .
٢ - يقرأ ويكتب .
٣ - مؤهل ابتدائي .
٤ - مؤهل إعدادي .
٥ - مؤهل ثانوي .
٦ - مؤهل جامعي .
٧ - مؤهل فوق الجامعي .

وقـــد تبين أن الطبقات دون الوسطى ترتفع فيها معدلات الأميين، بينما تـــرتفع معـــدلات الذين يقرءون ويكتبون في الطبقة الوسطى وما يعلوها . أما من حصـــلوا عـــلى مســـتوى معين من التعليم فتتزايد معدلاتها بالطبقة الوسطى عنه بالطبقة الدنيا بالمرحلة الابتدائية والإعدادية . وفيما يتعلق بالمرحلة الثانوية والجامعية فلـــيس هـــناك من أرباب الأسر في الطبقة الدنيا وصل إليها . فكلما كان الوالدان متمتعين بمكانة اجتماعية عالية كلما تهيأت فرص التعليم العالي للأبناء . أما انخفاض المكانة الاجتماعية، فيعمل على حرمان الأبناء من التعليم العالي، وعدم تمكنهم من شغل المهن ذات المكانة العليا .

وتُعد الحالة الزواجية من محكات التفرقة بين الطبقات، إذ يرتفع معدل من يرتـــبط من أرباب الأسر بزوجة واحدة بالطبقة الوسطى عنه بالطبقة الدنيا . كما يرتفع معدل من يتزوج من اثنتين بالطبقة الدنيا عنه بالطبقة الوسطى ارتفاعاً قليلاً . ويزداد معدل الأبناء الذكور بالطبقة الوسطى عنه بالطبقة الدنيا .



الفصل الثامن عشر

التغير الاجتماعي في المجتمع الريفي

التغير الاجتماعي :

ازداد اهـــتمام العـــلماء بدراسة التغير في المجتمع ازدياداً كبيراً في السنوات الأخـــيرة، ومـــازال الاهتمام مستمراً حتى اليوم، في محاولة منهم للوصول إلى رؤية مستقبلية لمسار هذا التغير ومشاكله والتحديات التي يفرضها .. وليس من شك في أن فهم وتحليل التغير إنما يسهم في تجنب مشاكل محتملة من خلال تخطيط وتوجيه التغير في مسارات مدروسة لتحقيق أهداف تنموية .

ومـــن المعلـــوم أن موضوع **"التغير الاجتماعي"** لم يشغل العقول إلا بعد ظهـــور عـــلم الاجتماع، ووضع أسسه ونظرياته . أما الفلاسفة والمفكرون الذين تـــناولوا المجـــتمع قبل تأسيس علم الاجتماع، فكانوا يهدفون إلى إقامة مجتمعات مثالية، ومثل عليا، ومدن فاضلة أو اليوتوبوبيا ويأملون تحقيق هذه البرامج الفلسفية حتى تسود العدالة بين أفراد المجتمع، وتتحقق الرفاهية، وينتهي الظلم والحرمان .

ومـــع ذلـــك فـــإن المجتمعات سارت في طريق تطورها بعيداً عن أحلام الفلاســـفة ومثلهم العليا . إذ لم يدرك الفلاسفة أن التغير الاجتماعي لا يسير وفق إرادة فيلســـوف بعينه، وإنما يسير طبقاً لطبيعة المجتمع الذاتية، ويخضع لعدة عوامل مـــتداخلة ومتشابكة هي تيارات اجتماعية واقتصادية وسياسية . ويخضع في تغيره

لقوانـــين معينة شأنها في ذلك شأن ظواهر الطبيعة . ويحدث هذا التغير نتيجة حالة اللاتوازن التي يوجد فيها المجتمع . ورغبة الناس في إعادة هذا التوازن .

إن الإنســـان هـــو أكـــثر مخلوقات الأرض تعقيداً، فهو يسعى نحو تحقيق أغراض معينة، بينما يسعى إنسان آخر نحو تحقيق أغراض أخرى متناقضة للأول .. ففـــي العالم الغربي يسعى الإنسان نحو الحرية الفردية والأمن الاجتماعي، وفي نفس الوقـــت نجـــده محافظاً، كما نجده متطلعاً إلى التغير، تغير في الآلات، والتجارب، والخـــبرات . وهكذا فالإنسان يتحرك بوعي نحو التغيير . فقد يخترع، وقد يستثير عناصر ثقافية من مجتمعات أخرى .

وهكـــذا هـــناك حقـــيقة واقعـــية لا يمكن إنكارها . وهي أن المجتمعات والظواهـــر والنظم الاجتماعية تتغير دوماً تغيراً لا يمكن إيقافه . وهذه خاصية تميز عالم الإنسان عن عالم الحيوان . فالحيوانات لا تغير من نماذج أسلوب حياتها. وإذا حدث تغير فهو طفيف لا يقارن بما يحدث في العالم الإنساني . ومع ذلك فإن التغير في العـــالم الحـــيواني هـــو تغير بيولوجي فقط، والإنسان هو الكائن الوحيد الذي يستطيع لا أن يتكيف مع بيئته فقط، وإنما يستطيع أن يخلق بيئة جديدة .

وشـــأن المجـــتمعات في ذلك شأن الأفراد ومظاهر الكون، فكما أن هذه الأخـــيرة في تغـــير دائم ومستمر، كذلك المجتمعات في حالة من الحركة والتعديل والتغير، حتى أنه يمكن القول أن بقاء الجنس البشري يتوقف على هذا التغير، إذ أنه يحقق أنماط وقيماً جديدة تشعر الأفراد أن حياتهم متحركة ومتجددة .

التغير إذن حقيقة واقعة، وسنة من سنن الحياة . يقول عنه **"هيراقليطـــس"** (٥٤٠ — ٤٧٥ ق.م) أن : " الـــتغير قـــانون الوجود والاستقرار موت وعدم " . ومـــثل بذلـــك بفكره جريان الماء فقال : " أنت لا تنزل النهر الواحد مرتين، فإن

مـــياها جديدة تأتي من حولك " . ويقول عنه **"جون ديوي"** [1] : كما أن الحركة هي الحقيقة الفيزيقية الأولى، كذلك التغير حقيقة اجتماعية .

والدليل على ذلك التغير المستمر الذي لا يمكن إيقافه، ذلك التمايز الكبير بـــين الملابس التي كان يلبسها أفراد مجتمع من المجتمعات في عصر مضى، والملابس التي يلبسها أفراد هذا المجتمع في الوقت الحالي . والعادات والآراء الغريبة التي كانت سائدة في مجتمع ما، وتختلف اختلافاً كبيراً عن عادات وآراء ذلك المجتمع في العصر الحالي .

كذلـــك خضـــعت النظم الاجتماعية لعملية التغير خلال عصور التاريخ، واختلفـــت تبعاً لعقلية الجماعة وما يسودها من ظروف . فالنظام الاقتصادي تغير مـــن مرحلة جمع الثمار وصيد الحيوانات، إلى مرحلة الزراعة والرعي، إلى مرحلة التجارة، فمرحلة الرأسمالية، ثم الاشتراكية .

وعـــند الانـــتقال من النمط الإقطاعي إلى النمط التجاري، كان الفرسان ورجـــال الدين يمثلون قيمة المجتمع في النمط الأول، وكانت القيم السائدة وقتذاك مرتـــبطة بـــأخلاق هـــاتين الطبقتين . وهي قيمة الشجاعة والأرستقراطية بالنسبة للفرســـان، وقـــيم الزهد التي كان يبثها رجال الدين في نفوس عامة الشعب . و لم تكـــن الوظـــائف الاقتصـــادية تحظى بالتقدير، بالرغم من أهميتها . ولذلك كان المشتغلون بها في مرتبة أقل . أما في النمط الثاني، فقد كان الإنتاج الاقتصادي يمثل المقـــام الأول، والاشـــتغال به أمر يفاخر به المرء . كما كان القادة في هذا الميدان يحصلون على مراكز عالية .

---

(1) Bennett, John & Melvin, M. Social Life, Structure and function, An Introduction to General Sociology, P. 82 .

وفي مصر كان النظام الاقتصادي قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م قائماً على الإقطـــاع، والرأسمالية، والطبقية، ثم أصبحت اشتراكية، وحلت الصناعة الآلية محل الصـــناعات اليدوية البسيطة، ثم تحولت إلى مزيج من الاشتراكية والرأسمالية، فإلى جانب القطاع العام يوجد القطاع الخاص الذي تشجعه الدولة وتوليه أهمية كبيرة، وها هي في وقتنا الحالي تشجع القطاع الخاص مع الحفاظ على البعد الاجتماعي .

وتغير النظام السياسي عبر الزمن من نظام رئيس العشيرة إلى رئيس القبيلة أو ملكهـــا، إلى الـــنظام الملكي، ثم إلى النظام الجمهوري . ومن الحكم المطلق إلى الحكـــم الديموقراطي . وقد شهدت مصر — مثلاً — عصر الإمبراطوريات، وتوالت علـــيها فترات من الاحتلال الأجنبي والحكم الوطني، وكانت ملكية قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م، وأصبحت الآن جمهورية .

كذلـــك النظم القضائية قد خضعت هي الأخرى للتغير، فمنذ مائتي عام كانت تقوم على أساس ديني، فأصبحت الآن تقوم على أساس مدني. وحتى الدين المستمد من الكتب السماوية، فمع أنه ثابت لا يتغير فيما يتعلق بالمبادئ الأساسية الـــتي يقوم عليها الدين، فالصلاة عند المسلمين خمسة فروض في اليوم، وهي هي لم تتغير منذ ظهور الإسلام حتى الآن . إلا أن المعنى الذي يحمله الدين، والتفسير الذي يفهـــم منه، والتقاليد الدينية كل هذه تختلف من فترة زمنية إلى فترة زمنية أخرى . فمـــنذ ربع قرن كانت التقاليد الدينية تمنع المسلمين من الصلاة دون غطاء الرأس، أما الآن فالناس يقبلون على الصلاة ودخول المساجد دون هذا الغطاء .

كذلـــك فإن اللغات المختلفة تخضع لعملية التغير . فالكلمات المستخدمة للدلالـــة على معان منذ زمن بعيد دخلت عليها تعديلات إما بالزيادة أو النقص . كمـــا اســـتحدثت لغـــات حديـــثة، وانهـــارت لغات قديمة، كما دخلت ألفاظ

ومصـــطلحات جديدة على أي لغة من اللغات . هذا وتغير اللغة إنما يعني تغير في الأفكار، وتغير في نماذج السلوك .

ويـــتغير الســـكان بدورهـــم سواء من حيث الحجم أو الكثافة بالزيادة والنقصـــان . كما تتغير معدلات زيادة الذكور عن الإناث أو بالعكس، ويتغيرون كذلك من ناحية ارتفاع معدل فئة عمرية معينة عن بقية الفئات الأخرى .

وهكـــذا فالتغير الاجتماعي سمة أساسية من سمات أي مجتمع، والاختلاف هـــو في معدل سرعته وفي اتجاهه من مجتمع إلى آخر . فقد يكون سريعاً في مجتمع، وبطيـــئاً في مجـــتمع آخر . فقد أثبتت الدراسات العلمية أن المجتمعات البدائية قد خضـــعت في واقع الأمر لكثير من التغيرات، ولكنها تسير ببطء إذا قورنت بغيرها من المجتمعات .

وقـــد يكون التغير تقدمياً ارتقائيا مقصوداً يهدف إلى تحقيق أغراض قائمة على البحث والدرس، وذلك مثل التقدم المستمر في ميدان العلوم والمعارف وأعمال الكشـــف العـــلمي والمخترعات وما إليها . فقد نشأت العلوم في أحضان الدين . وكانت حقائقها خاضعة للأفكار الدينية والميثولوجية . ثم تلقفتها الفلسفة . وأخيراً اســـتقلت العلـــوم تـــباعاً، وخضعت لفكرة القانون العلمي . وتطورت كذلك المواصلات من القوارب إلى المراكب الشراعية، ثم أكتشف الإنسان البخار، وصنع الباخرة والسيارة والطائرة . وتقدم الكشف العلمي للأجهزة اللاسلكية من التليفون إلى التلغراف إلى الراديو فالطائرة .

وقـــد يكـــون الـــتغير عملـــية تراجعـــية **Involution** أو نكوصـــاً **Retraction** ويحـــدث ذلك في كثير من الأحيان . فبعد أن تقطع النظم تطوراً وتقدماً ارتقائياً يصاحبها انحلال فتبدأ في التراجع والنكوص . وقد أيد "**ابن خلدون**

وسبنســـر" حدوث هذه الظاهرة حينما قررا أن الاجتماع البشري لا بد أن ينتظر مشهد السقوط والانحلال، ويخضع لقانون الفناء .

والملاحظ بصفة عامة أن المدن تزدهر ثم يفوتها ركب الشباب، وأن الدولة ترتفع إلى أوج مجدها ثم تطيح بها الحروب إلى هاوية سحيقة، وأن كثيراً من مظاهر العمران تنكص إلى الوراء في حالات الأزمات السياسية والاقتصادية والاضطرابات الداخلية (١).

كذلـــك فإن التغير نسبي في عمقه، إذ قد لا يتأثر به إلا المظاهر السطحية للنســـق الاجتماعي، فمثلاً إدخال الأدوات الصحية في المجتمع الريفي، لم يؤثر في حياتها إلا قليلاً . كذلك قد يتغير نظام المهر في مجتمع من المجتمعات دون أن ينجم عن ذلك تغير في كل العلاقات التي تؤلف المجتمع . وقد يكون التغير شاملاً . وقد يقتصـــر عـــلى جانـــب واحد من جوانب الحياة الاجتماعية؛ وقد يكون تغيراً في الســـلوك الاجتماعي الصادر عن الأشخاص الذين يعيشوا في المجتمع، أو قد يكون تغيرا في المجتمع نفسه.

وفي ضـــوء هذا يمكن تعريف التغير الاجتماعي بأنه عملية حركية اطرادية مســـتمرة ومتـــتابعة، إنـــه الاختلافات والتعديلات التي تطرأ على أي ظاهرة من الظواهر الاجتماعية خلال فترة معينة من الزمن، والتي يمكن ملاحظتها وتقديرها . أو بمعنى آخر هو التعديلات التي تحدث في أنماط الحياة في مجتمع معين، أو في شعب مـــن الشعوب . ويحدث هذا نتيجة عدة عوامل متداخلة ومتشابكة يتداخل بعضها في بعض، ويؤثر بعضها في بعض، وهي :-

١ - العوامل البيئية والطبيعية .

---

(١) د. مصطفى الخشاب – دراسة المجتمع ، ص ٢٥٤ .

٢ - العامل الديموجرافي / السكاني .
٣ - العامل البيولوجي .
٤ - العامل الثقافي .
٥ - أي تغير يحدث في أي نظام من النظم الاجتماعية يؤدي بدوره إلى تغير في العلاقات والنظم الاجتماعية الأخرى .

التغير الاجتماعي في المجتمع الريفي :

إن دراســة الــتغير الاجتماعي في المجتمع الريفي مرتبطة بالماضي، والرؤية المســتقبلية وتوقعاتهــا، ذلك أن الماضي والمستقبل جزء من الحاضر . كذلك فإن الإنسان لديه المقدرة من خلال توجيه التغير في ضوء الإمكانات المتاحة، وفي ضوء الخصوصية المجتمعية أن يحقق أهدافاً تنموية .

والتغير في المجتمع الريفي هو محصلة عوامل داخلية، وعوامل خارجية تتمثل في : التكنولوجــيا، والــتغيرات السكانية . كذلك فهو نتاج تراكمات اقتصادية وسياســية واجتماعــية وثقافية، بل ونتاج سياسات تنموية طبقت خلال فترات متتالية. وقد اختلفت سرعات هذا التغير، إلا أنه يسير حالياً بمعدلات أسرع من أي وقت مضى .

وتتطلــب دراسة مسار التغير في المجتمع الريفي أن تتعدى مجرد الوصف، والاهــتمام بشــكل المسار، للتوصل إلى تحليل المسار، وإدراك مضمونه من خلال الــرجوع إلى الــتاريخ . ولاشك أن الحكم على مسار التغير إذا ما كان يتجه إلى التنمية أم لا يحتاج إلى وضع مؤشرات ومعايير للتنمية، وهذا هو ما سوف نبينه في الجزء التالي .

وينســـب بعـــض الدارســـين التغير إلى العوامل الداخلية، وبحيث لا تقوم العوامـــل الخارجية إلا بدور التعجيل . كذلك فإن العوامل الخارجية يرتبط تأثيرها بـــالعوامل الداخلـــية . وبوجه عام فإن عوامل التغير لا تحدث نفس الآثار في كل المجـــتمعات، بـــل تختلف نتائجها من مجتمع لآخر طبقاً لظروف كل مجتمع وللفترة الزمنـــية . وهذا ينطبق على المجتمعات القروية حيث تختلف درجة التأثير باختلاف نماذج القرى .

ونخلـــص من ذلك إلى القول بأنه يصعب في كثير من الأحيان الفصل بين العوامـــل الداخلـــية والخارجـــية، وذلك لصعوبة تتبع أثر كل منهما على حدة، فعمليات التغير في المجتمع الواحد متداخلة ومنتشرة .

والمجتمع المحلي الريفي هو جزء من المجتمع القومي، لذلك فإن تحليل التغير في المجتمع القروي ينبغي أن يتم في إطار منظور عام هو تغير المجتمع ككل، حيث لا يمكن دراسة الجزء إلا في ضوء الكل .

ويتبدى التغير في المجتمع الريفي فيما نسوقه من نقاط، هي :-

١ - أدت الـــثورة التكنولوجـــية التي حدثت باختراع الآلات ذات الاحتراق الداخلي، واستخدامها في العربات، والجرارات، والطائرات — إلى تغيرات عمـــيقة في المجتمعات التي استخدمتها . فقد كانت المجتمعات القروية في عـــزلة كاملـــة لسكانها أثناء معظم شهور السنة . وكان الاتصال بالعالم الخـــارجي يـــتم ببطء شديد وفي أضيق الحدود . أما الآن فقد أصبحت أغلـــب المناطق الريفية في أغلب المجتمعات على اتصال دائم وسريع ببقية أنحاء المجتمع .

٢ - أدى اخـــتراع الآلات والماكيـــنات الزراعية الحديثة إلى تقليل الحاجة إلى العمـــل الإنساني في إنتاج المحاصيل، ومهد هذا الطريق إلى الهجرة المتزايدة لعمال الزراعة، والتغيرات الطارئة على إدارة الأعمال الزراعية .

٣ - ومع دخول الكهرباء وأجهزة الاتصال الحديثة إلى القرية، أدخلت الأجهزة والماكينات التي غيّرت شكل الحياة الريفية، ومن أهمها : استخدام الكهرباء في الإضاءة، وفي تشغيل الثلاجات وأجهزة التبريد، والغسالات الكهربائية.

٤ - ونتـــيجة لـــتقدم البحـــث العلمي في مجال الاستزراع وتربية الحيوانات الزراعـــية، مـــنها : استحداث أساليب جديدة للتلقيح الصناعي للنبات والحـــيوان، وتقدم الاقتصاديات الزراعية، وتطور أساليب معالجة أمراض النـــبات والحيوان، ونمو علم الحشرات . كل هذا كان له أعظم الأثر في زيادة كفاءة المنتجين الزراعيين .

٥ - تمثل التغيرات السكانية عاملاً هاماً في التغير في المجتمع الريفي، وتبدو هذه الـــتغيرات في الآتي : الـــتغير الذي يطرأ على عدد السكان (العدد الكلي، وعـــدد الســـكان في المناطق الريفية) والتغير الذي يطرأ على تركيبهما أو عـــلى الهيكل السكاني . على أن الزيادة المستمرة في أعداد السكان، سواء في المناطق الريفية أو الحضرية، تميل إلى أن تزيد من مشكلات الحياة، ذلك لأن زيـــادة عدد السكان في مكان معين، يؤثر على المجتمع كله من عدة جوانـــب . حيـــث تـــتعادل النظم والمؤسسات الاجتماعية، كما تتأثر العمليات الاجتماعية صعوداً أو هبوطاً، وتزداد كثافة أو تخلخلاً كلما زاد السكان أو تناقصوا .

٦ - ويـــؤدي الـــتغير في تركيب السكان، إلى تغيرات اجتماعية . ففي المناطق المتمـــيزة بدرجة عالية من التصنيع، تظل الأقسام الحضرية والريفية تواصل

معدلاتها الفارقة أو المتباينة في النمو، فالقطاعات الريفية تفتقد فئة الشباب باستمرار نتيجة للهجرة إلى المناطق الحضرية .

وثمـــة مسألة أخرى تتمثل في أن إدخال الخدمات الطبية المتقدمة إلى المـــناطق النامية في العالم، سيؤدي بدوره إلى تزايد ملحوظ (وإن كان مؤقـــتاً) في معـــدل الـــنمو السكاني، ومع الوقت سيؤدي إلى زيادة عدد ســـنوات العمـــر الافتراضي للأشخاص . ومن ثم يتوقع أن تشكل الفئة العمرية للمسنين زيادة ملحوظة في سكان معظم بلدان العالم .

٧ - وتؤدي هذا التغيرات التكنولوجية والسكانية إلى ظهور الجماعات الثانوية الـــتي تتمـــيز بطابعها الرسمي والأكثر تعقيداً عن الجماعات الأولية ذات العلاقـــات الشخصية الوثيقة . ومن ثم فإن الاعتماد الذي كان سائداً قبل ذلـــك، في إشباع الإنسان لحاجاته الاجتماعية، على الجماعات الأولية : كالأســـرة، والجـــيران، يتراجع ليفسح الطريق أمام الاستقلال الاجتماعي الـــذي خلقـــته وسائل التكنولوجيا الحديثة، وخاصة السيارات، وأجهزة الإعلام ومختلف وسائل الحركة السريعة، والاتصال السريع . ومن ثم، فإن العلاقـــات الشخصـــية الوثيقة بين الجيران أو بين أعضاء الأسرة الواحدة، تصبح أقل عمقاً وحرارة كلما تحرر الفرد من الجماعة المحلية، واصبح قادراً على اختيار الصحبة التي يريدها من ذلك العدد الهائل من الأشخاص الذين يتعامل معهم .

٨ - تصـــبح الزراعة باستمرار، عملاً أكثر منها طريقة في الحياة . فهي مصدراً للـــربح، وهـــذا يعني السير قدماً نحو الاقتصاد النقدي الذي يعتمد على حساب التكاليف والعوائد، وبذلك تختفي الكثير من المجاملات الاجتماعية التي كانت سائدة من قبل ويصبح المزارع رجل أعمال .

الفصل التاسع عشر

مشكلات المجتمع الريفي

يعـــاني المجتمع الريفي من مظاهر التخلف . وهذه المظاهر ليست عابرة أو تغـــيير يتـــناول بعـــض أجزائه أو مظاهر حياته، وإنما ظهرت في المجال الاقتصادي والاجـــتماعي والثقافي والصحي والعمراني . فقد ترتب على زيادة التصنيع في عدد مـــن بلاد العالم أن طغت الحضرية بخصائصها على كل طابع آخر في المجتمع، حتى أن القـــرية كطابع آخر مميز للحياة أخذ في الزوال تدريجياً، وتعود هذه المشاكل في الغالب إلى الآتي :-

١ - الـــنظرة الســـطحية لمشاكل القرية واحتياجات السكان من حيث الرعاية الصحية أو التوعية أو الكفاية الإنتاجية .

٢ - عـــدم إدراك النـــتائج البعـــيدة المـــدى التي سوف تترتب على التغيرات الاقتصـــادية والاجتماعـــية الحتمية، والتي بدأت بوادرها تظهر تدريجياً، وخاصة فيما يتعلق بالهجرة أو ازدياد التعليم .

وقد حاولت الدول النامية أن تجد حلولاً لهذه المشاكل، وذلك بدفع الحياة في القطاع الريفي إلى مستوى الحياة الحضرية، وذلك عن طريق الآتي :-

١ - إدخال القوة الآلية بعمليات الزراعة المختلفة التي ظلت لقرون طويلة وقفاً على قوة الإنسان والحيوان، حيث تقوم الآلة في وقتنا الحالي بإعداد التربة وبذر البذور والري والحصاد .

٢ - الأبحاث العلمية الواسعة النطاق في مجال الإنتاج الزراعي وما يتبع ذلك من الاستعانة بالقيمة العلمية في الزراعة وما نتج عن ذلك من تغيير أساسي في الكم والكيف بالنسبة للزراعات التقليدية والمستحدثة .

٣ - التحسينات الضخمة التي تجرى الآن في كل بلاد العالم تقريباً في مجال الحياة الفردية كالإسكان ومياه الشرب والإضاءة والتعليم والرعاية الصحية والإدارة المحلية .

٤ - التناقص المستمر في عدد سكان المجتمعات القروية نتيجة للهجرة وارتفاع مستوى التعليم .

٥ - ظلت نسبة الأمية مرتفعة ارتفاعاً ملحوظاً، وكانت هذه الأمية أحد الأسباب التي عوقت كثيراً من مشروعات التنمية ومناهج التوعية في مجالات الحياة المختلفة .

٦ - ظلت المواصلات بين القرى والمدن في حالة من السوء، الأمر الذي ترتب عليه عدد من المشاكل المتعلقة بالصحة والأمن .

٧ - سوء الحالة الصحية نتيجة لانخفاض مستوى الرعاية الصحية لقلة المستشفيات والوحدات الصحية والهيئات العاملة في محيط الطب والتمريض، الأمر الذي ترتب عليه انخفاض متوسط العمر وارتفاع نسبة الوفيات على المواليد .

٨ - قيام العصبية كأساس في تنظيم العلاقات داخل القرى، مما ترتب عليه عدد من المشاكل عوّق كثيراً من خطط الإصلاح .

٩ - عـــدم فاعلية الحكم المحلي في القرية وعجزه عن القيام بدور آخر في تنمية القرية غير الإشراف الإداري .

١٠ - بقـــاء المشـــاكل الـــتي تعترض قيامه بدوره البنّاء في الميادين الاقتصادية والاجتماعـــية، دون حـــل، وأدى الأمر في كثير من الأحيان إلى استغلال القرويين .

١١ - ضـــآلة أنـــواع الـــرعاية التي تخص القرية عامة، وهذا يظهر من مراجعة الميزانيات التي كانت تخص المجتمع القروي عامة .

١٢ - عدم الإقبال من جانب المتخصصين على الخدمة في المناطق الريفية.

١٣ - المشاكل المتعلقة بتخطيط القرية الحالي والذي لا يتلاءم مع الصحة العامة، ويعترض فعالية الخدمات المختلفة كالمياه والكهرباء .

وتتمثل مشكلات الريف في الآتي :-

١ - المشكلات الاقتصادية :

أ - قلة الدخل :

حيـــث أدى انخفاض الأجور والإيجار المرتفع للأرض والبطالة الموسمية إلى قلـــة دخـــل الفلاح، إلى جانب عدم وجود مجالات أخرى للكسب غير الزراعة، وفرص العمل المحدودة وكثرة الإنجاب التي تزيد من عدد الأطفال كفـــئة مستهلكة غير منتجة مما يقلل باستمرار من نسبة الفئة الوسطى التي تقوم بالإنتاج .

ب - **ندرة رأس المال :**

فـــرأس المـــال الـــذي يملكه الفلاح ثابت يتكون من الأرض والأدوات والمواشي . والحصول على رأس مال سائل يستلزم من الفلاح الاستدانة، كمـــا أن عـــدم كفاية رأس المال أو عدم توفره يحول الاتجاه إلى الزراعة الكثيفة التي تحتاج إلى رأس مال كبير وعمالة أكبر وفترة انتظار أطول حتى يظهر المحصول .

ج - **ضعف الإنتاج :**

وهـــذه المشـــكلة ترتبط بعدة عوامل منها التمسك بإتباع طرق الزراعة التقلـــيدية القديمـــة وعدم استعمال الأدوات الحديثة، وكذلك عدم كفاية أســـاليب ووســـائل حماية النباتات والمحاصيل من الآفات والحشرات التي تفـــتك بجزء كبير من المحصول مما يجعل المحاصيل الزراعية تعطي إنتاجاً أقل مـــن الحد الأمثل . وكذلك الحال بالنسبة للحيوان والدواجن حيث أدى عدم تربية الأصناف التي تعطي إنتاجاً كبيراً في اللحم أو اللبن أو البيض أو عدم الدراية بوسائل التربية والتغذية السليمة إلى ضعف الإنتاج الحيواني إلى درجة كبيرة .

د - **الاعتماد على محاصيل معينة :**

فالاعـــتماد على محصول واحد خصوصاً إذا كان من المحاصيل التصديرية يجعـــل المنتج تحت رحمة المنافسة والمضاربة في السوق العالمية وتأثر أسعار المحاصيل بالأسعار العالمية .

هـ - **فرص العمل المحدودة ونقص الحرف :**

وهي تعود إلى تزايد السكان بسرعة أكبر من زيادة موارد الإنتاج وإتاحة فـرص عمـل جديدة، وإلى نقص في التخطيط والتدريب على الكثير من الحـرف الـتي تحـتاجها القرية ويمكن أن تستوعب الفائض من الأيدي العاملـة، مثل السمكرة والنجارة والميكانيكا وصيانة الآلات، إذ تعودت القرية أن تسد احتياجاتها من هذه الحرف من المدينة .

و - **قلة الاهتمام بنشر الصناعات الريفية والمنزلية :**

حيث عانى الريف كثيراً في الماضي من هذه المشكلة وكان من أهم أسبابها نقـص التخطـيط لإنـتاج الصناعات المتمشية مع حاجة السوق، وقلة المسـاعدات الماليـة التي تقدم لتطوير الصناعات الموجودة والحصول على المـواد الخـام وتسويق الإنتاج . وكذلك نقص الأبحاث الفنية اللازمة، وبـرامج التدريـب التي تؤدي إلى الإبقاء على الصناعات اليدوية بشكل مـتجدد قـائم عـلى تطور صناعي وفني يجعل لها طابعاً مميزاً يمكنها من الصمود أمام المصنوعات التي تنتجها المصانع الكبيرة الحديثة .

وتـتأثر المـرأة الريفـية بالمشكلات الاقتصادية، فهي تدير شئون المنزل بأسـلوب عشوائي أو بغير أسلوب على الإطلاق، وتترك الأمور للبركة، ويغلب على المرأة الريفية تسلط السلوك الاستهلاكي، والحد من الادخار، وفشل معظمهن في توظيف الفائض في نواحي استثمارية .

وتنصرف المرأة الريفية عن الأنشطة الإنتاجية التي كانت تتميز بها وتصـــدرها إلى المدينة، وتلجأ حالياً إلى التزاحم كي تحصل على احتياجاتها جاهزة من المدن .

٢ – مشكلة الإسكان الريفي :

تـــتفاقم مشكلة الإسكان الريفي في الوقت الحاضر نتيجة عدة عوامل من أهمها زيادة السكان المطردة والنمو التلقائي لحجم القرية مع بقاء الطرق القديمة في البــناء مـــن حيـــث الشكل والمضمون قائمة حتى الأبد وما يفرز هذا الاتجاه من الانخفــاض الواضـــح في مستويات المعيشة عند الغالبية العظمى من سكان المجتمع الـــريفي والقرية بصفة عامة عبارة عن مجموعة من المساكن التي لم تبنى على تخطيط معـــين بحيـــث لا تستطيع أن تتبين بها أي معالم لممارسة الحياة الجمعية أو النشاط الترفيهي أو الخدمة العامة، وعلى ذلك فهي مكان إيواء فقط .

٣ – المشكلات الاجتماعية :

أ – العادات والتقاليد السالبة :

حيـــث لا نقصـــد العـــادات والتقاليد عل الإطلاق فلكل مجتمع عاداته وتقالـــيده، والـــتي تعتـــبر جزءاً من تراثه الثقافي ولكن هناك من التقاليد والعادات ما يحد من التطور ويعتبر معوقاً للتنمية وعلى سبيل المثال:

- الإسراف والمبالغة في المناسبات كالأفراح والمآتم .
- التمسك ببعض الأمثال الشعبية التي تشجع على السلبية والتواكل وعـــلى سبيل المثال : "**إصرف ما في الجيب يأتيك ما في الغيب**" ممـــا يحطـــم مبدأ الادخار "**أسال مجرب ولا تسأل طبيب**" . مما

يفـــترض في الطبيـــب عدم الخبرة إلى جانب العلم ويشجع عدم الإقبال على العلاج الطبي .

- الـــثأر والقتل والأخذ بالثأر كتفسير خاطئ لحق القصاص الذي نص عليه الإسلام .

ب - سيطرة الأسرة وشدة المراقبة الاجتماعية وانعدام التأثير المتبادل بين الأفراد.

ج - ســوء فهـــم بعض تعاليم الدين خصوصاً فيما يتعلق بتنظيم الأسرة وعدم الإقـــبال عـــلى وسائله أو مقاومتها، وما يتصل بأمور الزواج بأكثر من واحدة، أو الزواج المبكر، والطلاق .

د - التمســـك بالقديم وعدم الإقبال على الجديد والحديث والتغير في مجالات الحياة المختلفة .

هـ - فقـــدان الريف لعناصر تجديده كنتيجة حتمية للهجرة المستمرة من الريف إلى المديـــنة، وخاصـــة هجرة المتعلمين والمثقفين وذوي الحرف والمهارات والصناع المهرة .

و - نقص وسائل الترفيه ومن ثم عدم الاستفادة الإيجابية من وقت الفراغ .

ز - إعاقـــة المـــرأة الريفية عن القيام بدورها الفعال في عملية التنمية والنهوض بالمجتمع وخاصة في مجالات الأسرة وتنظيمها والتربية ومجالاتها المجتمعية من خلال المؤسسات والجمعيات الأهلية .

٤ - المشكلات الثقافية :

أ - الجهـــل وانتشار الأمية التي تقف حائلاً أمام وصول مبادئ المعرفة والعلوم والثقافة العامة إلى الريفيين .

ب - ضعف الإلمام بجوانب الحياة في المجتمع ومشاكله .

ج - عـــدم معرفة الطريق الصحيح لأداء الأعمال المختلفة أو أنسبها وأصلحها لتحسين مستوى الحياة الريفية .

د - عـــدم معرفة دور المؤسسات الموجودة بالقرية وخدماتها وإمكانياتها حتى يمكن الحصول منها على الفائدة المنشودة .

هـ - عدم ملاءمة المناهج الدراسية — في الغالب — للحياة الريفية . نظام التعليم يعلم الفرد القراءة والكتابة، دون أن يلم بمعرفة البيئة الريفية، التي سيعيش فيها كمزارع أو صانع أو مثقف .

و - هجـــرة المتعلمين والمتعلمات من المدارس بعد أن أصبحوا غير قانعين بحياة الريف .

ز - تسرب الأطفال من المدارس للعمل بالحقول أو في مجالات أخرى لمساعدة أسرهم الريفية اقتصادياً .

ح - قلـــة مصـــادر الثقافة والمعرفة في القرية نسبياً إذا ما قورنت بما هو متاح بالمدينة . ومن هذه المصادر الجرائد والمجلات والكتب، خصوصاً تلك التي تناسب مستوى التعليم في القرية، وقدرات الذين محيت أميتهم .

٥ - المشكلات الصحية :

يعاني المجتمع الريفي من مشكلات الماء، والصرف الصحي، والسكن غير الصـــحي، والـــذي ينتج عنها انتشار الأمراض المتوطنة ووجود البرك والمستنقعات كمصدر لنشر أمراض البلهارسيا والملاريا والتيفود وغيرها، والتي تنجم عن التبول والتـــبرز في مجـــاري المياه مع استخدام مياهه في الشرب أو في الاستحمام وغسيل الخضر والملابس، وتكاثر الحشرات الناقلة للأمراض كالذباب والبعوض والبراغيث والفئران في أكوام السباخ والفضلات الآدمية في الطرقات والحظائر والمنازل . وفي

الريف تقل التهوية بالمساكن وتمتلئ بالدخان الناتج عن الأفران المترلية مما يؤدي إلى الإصابة بأمراض سوء التهوية مثل السل وأمراض الجهاز التنفسي والأنفلونزا .

ويجهـــل الريفـــيون الأمـــراض المختلفة وطرق الوقاية منها وهم لا يقبلوا التحصـــين ضـــد الأمراض، ولا يهتموا بها للوقاية منها . ويقل الوعي الصحي بين الفلاحـــين وهـــم لا يسرعوا في العرض على الطبيب حيث الشعور بالمرض، وإنما يلجأون إلى الوصفات البلدية وسبل العلاج البدائية.

ويقل حجم الخدمات الصحية الموجهة للريف مقارنة بما هو مقدم للمدينة في نفس المجال .

٦ – المشكلات العمرانية :

أ – عـــدم وجود تخطيط علم القرية ومساكنها وتوزيعها ومرافقها وانتشارها عشوائياً .

ب – ضيق الطرق مع عدم استقامتها مما يعوق حركة السير والنقل داخل القرية.

ج – تلاصق المنازل ووجود الحظائر بداخلها .

د – الافتقار إلى مياه الشرب النقية ومياه إطفاء الحرائق .

هـ – عدم توفر الكهرباء سواء بالطرق أو بالمساكن أو كمصدر للقوى المحركة.

الفصل العشرون

التنمية الريفية

يعـــد مصطلح التنمية الريفية من أهم القضايا التي يناقشها العلم في العصر الحالي، وبؤرة الاهتمام في كلا المجتمعين المتقدم والنامي . ومفهوم التنمية الريفية لا يخـــتلف كـــثيراً عن المفهوم العام للتنمية ؛ ذلك أن التنمية الريفية لا تتم بمعزل عن استراتيجية التنمية في المجتمع بوجه عام . وتنبع مشروعية التنمية الريفية من إسهامها المتميز في المعاونة على مواجهة مشاكل المجتمع ككل .

ويـــرجع الاخـــتلاف بين التنمية الريفية والتنمية القومية إلى إطار الواقعين الجغرافي والاجتماعي لسكان الريف، حيث يتصف الريف في هذا الإطار بالتخلف النســـبي في مجال الخدمات الأساسية . كما يختلف بواقع اجتماعي خاص يختلف في قيمه وعاداته وتقاليده عن غيره من المجتمعات .

ولقـــد تعرضـــت المجتمعات الريفية في العالم النامي للإهمال الشديد الذي تجســـد في عجز الخدمات والمشروعات ، سواء مشروعات الصحة أو التعليم ، أو المـــياه الصالحة للشرب أو الصرف الصحي ، وارتبط ذلك بمناخ التخلف وظروف التبعـــية والاســـتعمار والاســـتغلال على مستوى الفكر والواقع . كما ارتبطت السياســـات التنموية في ريف العالم الثالث بالخارج . وانفصلت عن توجيه مسار التغيير على المستوى الداخلي .

ولا تعـــني التنمية الريفية مجرد إدخال عدد من المتغيرات ، وإنما التنمية هي إرادة وإدارة التغير التي يسعى بها المجتمع الريفي للانتقال من وضع إلى وضع أفضل.

ولا يــتم هذا بغير تنمية واعية مدروسة قائمة على التخطيط . يضاف إلى ذلك أن التنمـــية تستلزم ضرورة توحيد الجهود الحكومية والأهلية التي تعمل على مستوى المجتمع المحلي الريفي .

ولقد تعددت تعريفات التنمية الريفية، واختلفت فيما بينها . ويرجع هذا إلى النظر إلى التنمية الريفية من منظور جزئي، وقطاعي . فهناك من يعتبرها عملية تعليمـــية تستهدف نشر التعليم باعتباره عاملاً على نشر الثقافة، والوعي، والفهم للظـــروف المتغيرة، ووسيلة للقضاء على الخرافات والجمود والإتكالية والتقاليد . ويتأتى ذلك بإنشاء فصول لمحو أمية الكبار، ونوادي للشباب والأطفال .

ومن العلماء من اعتبرها عملية تدخل في مجال الصحة العامة ونظافة البيئة، وذلـــك بتوفير الوسائل المؤدية إلى تحسين المستوى الصحي، ذلك أن تحسين صحة العمال يزيد من القدرة الإنتاجية للعمال، وفي إطالة عمر العامل . فمثلاً – تم إنشاء العديـــد من الحفر خارج القرية من أجل وضع الأسمدة والنفايات . وقد أصبح من المحـــتم عـــلى القرويين استخدام هذه الحفر من خلال القواعد التي وضعتها مجالس القـــرى وجعلـــت تنفـــيذها إجبارياً . ولكن معظم هذه الحفر ظل مهملاً وغير مستخدم نظراً لتعود النساء على وضع النفايات في مكان قريب من المترل [١].

وهـــناك من يعتبر أن التقدم الاقتصادي مكوناً أساسياً للتنمية، وأن التنمية هـــي عملـــية تنمية زراعية تستهدف زيادة الإنتاج الزراعي، والنمو التكنولوجي المـــادي، وإدخـــال تحسينات على مستوى الأداء . فقد ذهب **"شومبيتر"** إلى أن التنمية الاقتصادية تستند إلى دعامتين هما : المنظم، والاختراعات والتجديدات التي يقوم بها المنظم . ويبدو دور المنظم في العوامل السيكولوجية الموجودة في شخصيته،

---

(١) أنظر . د. عبد الرحيم أحمد – قراءات في علم الاجتماع الريفي والحضري ، ص ٦٨ .

والـــتي تدعوه باستمرار إلى العمل والجد والابتكار والتجديد، فهو يعمل من أجل النجاح ذاته، وليس للحصول على نتائجه .

وأشـــار "**شـــومبيتر**" إلى أهمـــية توفر المعرفة والفن والتكنولوجيا لإنتاج المنتجات الجديدة بجانب توفر رأس المال لمساعدة المنظم على تحقيق أهدافه.

ويؤخذ على "**شومبيتر**" أن نظريته غير تاريخية وتفتقر إلى العمومية كذلك فـــإن الابـــتكار أصـــبح من مهام المؤسسات الضخمة، و لم يعد من مهام المنظمين وحدهم، بل ويقوم به باحثون متعاونون وأكفاء [١] .

والواقع أن تنفيذ البرامج الاقتصادية وحدها لم يسفر عن مواجهة مشاكل الفقـــر، وســـوء التغذية، والإسكان، والبطالة المنتشرة في الريف، ذلك أن التنمية ليســـت فقـــط ظاهرة اقتصادية، ولكن ينبغي أن تتضمن ما هو أكثر من الجوانب المادية والمالية للأفراد .

وهكـــذا وبعد أن كان الدخل القومي هو المقياس الرئيسي للتنمية، أصبح المؤشـــر الحقـــيقي والموضوعي هو القدرة على سد حاجات الإنسان المادية وغير الماديـــة، مـــثل : الغـــذاء، والمسكن الصحي، والملبس، وخدمات النقل، والوقاية الصحية، والخدمات الصحية، والتعليم العام، والعمل الشريف، والخدمات الزراعية، والخدمات الدينية .. أي تتناول كل جوانب الحياة في نسق متكامل [٢] .

ومـــن العـــلماء من اعتبر التنمية عملية اجتماعية مستهدفة لمواجهة الفقر الـــريفي، وتدهـــور الغـــذاء الذي يعانيه سكان الريف، في العالم النامي، وكذلك

---

(١) د. حسن همام – دراسات في علم الاجتماع الريفي ، ص ١٣٤ .

(٢) أنظر د. صلاح العبد – الاتجاه التكاملي للتنمية الريفية بإفريقيا .

انخفـــاض مســـتويات معيشـــة الجماهير ذات الدخل المنخفض، وتفشي ظروف اللامساواة، وتدني الخدمات، وتخريب البيئة .

والواقع أن التنمية الريفية هي عملية تحسين في نوعية الحياة الريفية، وذلك بـــتوفير عنصـــر التكامل بين الجوانب الاقتصادية وغير الاقتصادية . ويتم ذلك من خـــلال تنمـــية زراعية داخل القرى، والتي هي جزء من التنمية الاقتصادية الشاملة للمجـــتمع الكلي . وذلك بإدخال تحسينات تقدمية ومستمرة على أساليب العمل الـــزراعي والحـــيواني الريفـــية السائدة، وكذلك تحسين الصناعات المتعلقة بالعمل الـــزراعي . ويـــتم ذلـــك مـــن خلال التركيز على المزارع الريفي من الناحيتين السيكولوجية والفنية من أجل تحقيق الزيادة في إنتاجيته، مما يعمل على رفع مستوى الدخل القومي، وذلك بزيادة متوسط إنتاجية الفرد، حتى يزيد استهلاكه من السلع والخدمات .

وبذلك تتلخص التنمية في زيادة القدرة الإنتاجية للمجتمع، وزيادة نصيب الفـــرد من الرفاهية الاجتماعية، وذلك بتوفير البيئة الأساسية، والخدمات المجتمعية المحلية والتسهيلات الممكنة، بالإضافة إلى المصادر البشرية في المناطق الريفية .

وتحقـــق هـــذه الرؤية الكلية المساواة، وعدم إغفال حقوق بعض الفئات والأفـــراد في الحصـــول على احتياجاتهم الضرورية، وترجمة طموحاتهم إلى برنامج عمـــل واقعي، ومحاولة تنفيذه في إطار خطة وأولويات لهذه الخطة، وذلك من أجل مستوى أفضل للإنسان [١] .

---

(١) أنظـــر د. منال طلعت محمود – التنمية والمجتمع – مدخل نظري لدراسة المجتمعـــــــات المحلية ، ص. ص ٤١ – ٤٨ .

وفي ضوء ذلك فإن التنمية الريفية هي عملية تغير شاملة ومتكاملة في كل جانـــب من جوانب الحياة، وفي نسق متكامل . إنها عملية تغيير مقصودة وموجهة يقوم بها الإنسان للتحكم في متضمنات واتجاهات وسرعة التغير الثقافي والحضاري بما في ذلك فكره ونظمه ومعتقداته، وكذلك البيئة المادية للإنسان، وكل قطاعات المجـــتمع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية، والتأثير المتبادل بينها . ويتم ذلك بطريقة متوازنة .

إن التنمـــية الريفـــية هي تدعيم التعاون بين الزراعي والطبيب والمهندس والمـــدرس والاجتماعي، وكذلك المواطنين، بهدف إحداث تغيرات مرغوب فيها، وذلـــك وفقـــاً لأهـــداف محـــددة نابعة من احتياجات الجماهير، وبغرض إشباع حاجاتهم.

وعَـــرَّف البنك الدولي [١] التنمية الريفية بأنها : استراتيجية مصممة بهدف تطويـــر الحياة الاقتصادية والاجتماعية لمجموعة من الناس هم فقراء الريف وتتضمن هـــذه الاســـتراتيجية توســـيع منافع التنمية لتشمل من هم أكثر فقراً بين الساعين لرزقهم في المناطق الريفية .

وعلى ذلك يُعرف **"J. K Nyerore"** [٢] التنمية بأنها : استراتيجية للتغلب على الفقر، وتحقيق مستوى أفضل في المناطق الريفية .

---

(١) البـــنك الـــدولي — التنمية الريفية — ورقة عمل قطاعية، إعداد بمجموعة من خبراء البنـــك، فبراير ١٩٧٥م، ص ٤ .

(2) Nyerre, julius K., Rural Development in IF. D. A., Dossier 11 Sept., 1979, P. P. 111 – 118

ويـــرى "روبـــرت شامبرز **Chambers**" (١) أن التنمية الريفية هي اســـتراتيجية مصـــممة ليكون في مقدور مجموعة من الناس، الرجل والمرأة الريفية الفقيرة للحصول على ما يريدونه وما يحتاجونه الناس لأنفسهم ولأطفالهم .

وتعـــرف التنمـــية الريفـــية كذلك بأنها عملية تطوير واستخدام المصادر الطبيعـــية والبشرية والتكنولوجية وعناصر البيئة الأساسية والمؤسسات والمنظمات السياســـية والـــبرامج الحكومية لتشجيع ودفع النمو الاقتصادي في المناطق الريفية للإمداد بالعمل وتحسين نوعية الحياة الريفية اللازمة للبقاء، فضلاً عن تغيير اتجاهات الناس، وتغيير العادات والتقاليد .

وترتـــبط التنمـــية بالتغير، فهي قد تكون سبباً وعاقبة له، إذ تؤثر التنمية وتتأثر بالتغير . فالتغير قد يكون فيزيقياً وتكنولوجياً واقتصادياً واجتماعياً واتجاهياً وتنظيمـــياً وسياسياً . فالتنمية تقود إلى التغير لكن في نفس الوقت لا يقود التغير في جميع الأحوال إلى التنمية فالتغير قد يكون حسناً (تنمية) وقد يكون سيئاً (التخلف والـــتدهور) وفي مضـــمون التنمية الريفية فإن التغير السياسي والتخطيطي ربما يعد نموذجاً يستخدم لحث ودفع التنمية .

أسس التنمية الريفية :

يرتبط المجتمع القروي الصغير بالمجتمع القومي الكبير إرتباطاً عضوياً، حيث يؤثر كل منهما في الآخر ويتأثر به . وفضلاً عن ذلك فإن بذور التنمية القومية تنبع مـــن الواقـــع الـــريفي . ولكي يضع المسئولون عن تصميم البرامج الإنمائية الريفية وتخطـــيطها خططـــاً للتنمـــية الريفية، فينبغي أن يتوافر عدد من الأسس والمبادئ، نوجزها في الآتي :-

(١) د. محمد نبيل جامع – دراسات في التنمية الريفية ، ص ــ ١٩ .

١ - يؤكـــد المسئولون عن تصميم وتنفيذ برامج التنمية الريفية أن تأتي مبادرة التنمـــية من جانب القرويين أنفسهم، وأن ينبع الواقع الأساسي للنمو من داخـــل عقولهـــم ؛ فالقرويون يشعرون بالاحتياجات بشكل عام داخل قـــراهم، وما يحتاجون إليه هو دفع هذه الاحتياجات إلى السطح، وجعلها ذات تأثير فعال ونشط .

ويجب أن يعبر عن هذه الاحتياجات بلغة محددة يفهمها الناس، وذلك من خـــلال بـــرنامج إنمـــائي ملموس، يوجه مسار الحوافز الكامنة في نفوس القـــرويين، ويهيـــئ القرويين المراد تطورهم لتقبل التغيير . ويمكنهم من الاســـتعداد لهذا التطوير، حيث أن استعداد أفراد المجتمع للتطوير يعد من الركائز الأساسية في التنمية الريفية والقومية [١] .

٢ - **إيقاظ الوعي الاجتماعي لدى القرويين :**

يعـــد الوعـــي الاجتماعي لدى القرويين من المتطلبات الأساسية في مجال التنمـــية الريفية . ويقف مستوى الكفاف عثرة في سبيل تحقيق هذا المبدأ، فالعيش في حالة تقرب من الموت جوعاً يواكبها نقص وضعف في الوعي الاجتماعي . كذلك فإن العوامل الجغرافية قد تحول دون اجتماع الناس، خاصـــة إذا كانـــت المسافة بين القطاعات كبيرة جداً لدرجة أن الناس لا يجـــتمعون معاً من أجل عمل مشترك . كما قد لا يكون هناك مركز أو مكان للاجتماع .

٣ - ضـــرورة الانـــتفاع بالحوافز الدينية في التنمية الريفية . فهي التي تحركهم وتحمسهم، وهي مصدر القوة والحركة في تطوير المجتمع.

(1) Sin h, Durganand, Indian Village in Transition, A Motivation Analysis, P. P. 200 – 209 .

٤ - يضــع خطط التنمية أخصائيون مدربون، بما يكفل مشاركة غالبية الناس، والاســتخدام الأمثل لرأس المال وللقوى البشرية ذات المستوى العالي من الكفايــة والتدريــب، وإدخــال نظم جديدة لاستغلال الأرض وطرق مســتحدثة في الــزراعة، وفــرض القوانين المحلية التي تمنع تجريف التربة الزراعــية. كما ينبغي العمل على تحسين الثروة الحيوانية بإدخال سلالات جديدة . وكل هذا بما يتفق والحاجات الأساسية لأهالي المجتمع المحلي، وبما يحقق الأهداف القومية من ناحية أخرى (١) .

٥ - تدريــب القــادة المحلــيين والقرويين في المجتمعات الريفية على المشاركة السياسية والممارسة الديموقراطية . وتهدف التنمية الريفية بصفة خاصة إلى خلــق واكتشاف القادة المحليين الذين يكونون بمثابة قنوات الاتصال بين المســئولين وأهالي القرية . كما تهدف إلى تدريب المواطنين في المجتمعات المحلية على ممارسة الديموقراطية . وذلك من خلال اشتراك الأهالي في اتخاذ القــرارات الــتي تتعلق بشئون مجتمعهم . وفي تخطيط وتنفيذ برامج تنمية مجــتمعهم المحــلي . فالممارســة الديموقراطية تساعد على تفجير الطاقات الكامنة في نفوس الأفراد، وتجعلهم قادرين على تحمل المسئولية والاعتماد على النفس .

٦ - دعــم الحــركة التعاونية وتشجيعها من خلال إقامة مشروعات تعاونية، وذلــك لمــا تلعبه الحركة التعاونية من دور هام في تدعيم موقف الفلاح ومساندته في مختلف المواقف الحياتية .

٧ - الــنهوض بالمــرأة الريفية لكي تضطلع بمسئولياتها في المجتمع : تمثل المرأة نصــف المجتمع، وهي المسئولة عن رعاية جميع أفراد الأسرة، كما تتوقف

(١) أنظر . د. السيد الحسيني — التنمية والتخلف — دراسة تاريخية بنائية ، ص ٣١٦ .

ســـعادة الأسرة ورفاهيتها على المرأة، حيث هي المسئولة عن إدارة شئون الأسرة . وقد ظلت المرأة المصرية في المجتمع الريفي، تعاني ردحاً طويلاً من الـــزمن مـــن التخلف، وظلت قابعة في المترل، لا تمارس أي نشاط سوى الوقوف إلى جانب زوجها ومساعدته في بعض الأعمال الزراعية . وتهدف بـــرامج التنمية الريفية إلى النهوض بالمرأة الريفية وتعليمها وتثقيفها ومحو أميـــتها، حتى تشارك الرجل في مختلف مناحي الحياة، وحتى تكون قادرة عـــلى تنشـــئة الأبناء وتربيتهم تربية تستند إلى العلم . ويجب على كافة الوســـائل الإعلامية أن تهتم بتطوير وتثقيف المرأة الريفية. كما ينبغي نشر الـــبرامج النســـائية وتدريب المرأة على العديد من المهارات التي تفيدها في مجـــال حياتها الأسرية، ولتحقيق هذا الهدف ينبغي تعميق فكرة التآخي بين الذكـــور والإناث في المجتمع القروي من خلال تحقيق فكرة المساواة بين الولـــد والبنـــت، والتخلص من القيم التقليدية البالية التي ميزت بين الولد والبنـــت، مما نتج عنه تخلف المرأة وعدم قدرتها على مواجهة الحياة الحديثة بسبب الأمية التي حالت بينها وبين إدراك كل متغيرات العصر .

٨ - يجـــب أن تسير التنمية الاقتصادية والتنمية الاجتماعية على المستوى المحلي في خطوط متوازية مع المستوى القومي .

٩ - **الشـــمول :**

ينبغي أن تكون الخطة متكاملة وشاملة لكافة المجالات في المجتمع (تعليمية، صـــحية، واقتصادية، واجتماعية، وثقافية، وأسرية...الخ). ويتطلب ذلك التعاون التفاعل الإيجابي بين الأجهزة العاملة في مجالات التنمية حتى يكون تأثيرها المتبادل إيجابياً لدعم بعضهم البعض .

ولا شك أن الاهتمام بعنصر من هذه العناصر، وإهمال بقية العناصر يؤدي إلى تحقــيق نــوع من النمو الجزئي وليس التنمية فقد يركز على الجانب التكــنولوجي وعــلى التنمية الزراعية، مع إهمال الجوانب المتصلة برفاهية المجتمع، كما حدث في مصر، وإيران، وباكستان، وسوريا .

ففي هذه البلدان حقق الاستثمار في أصناف المحاصيل مرتفعة الغلة وفي تنمية الثروة الحيوانية، وإقامة السدود الكبيرة، وتنفيذ مشروعات الري الهائلة بمعدلات مرتفعة في النمو الزراعي . ولكنه بالرغم من ذلك أدى إلى ظهــور القلق الاجتماعي، والشعور بخيبة الأمل بين سكان الريف الفقراء، نظــراً لارتفــاع قيمة الأرض وارتفاع القيمة الايجارية، مما يزيد من ثراء أغنــياء المزارعين، ويزيد من ضائقة فقراء الفلاحين المعدمين . لذلك كان النمو الزراعي شرطاً ضرورياً للتنمية المتكاملة، ولكنه لم يكن الشـــرط الوحيد [1].

١٠ - **التــــوازن :**

يــراعى أن يغطــي كل مجال القدر الملائم بالنسبة إلى غيره من المجالات الأخرى في المجتمع .

١١ - يجــب أن توضــع الصراعات الاجتماعية القائمة في الاعتبار عند تصميم بــرنامج التنمية الريفية . فبالرغم من تجانس المجتمع القروي، إلا أن هناك صــراعات كامــنة في قرى الدول النامية وتحدد هذه الصراعات موقف الأفــراد مــن برامج التنمية الريفية . ولقد أوضح ذلك بجلاء تقرير الأمم

---

(١) محمــد رباض الغنيمي – مفهوم التنمية المتكاملة – مجلة تنمية المجتمع، مؤسسة فردريس، إيبرت، القاهرة، ١٩٧٧م ، ص. ص ١- ١١ .

المتحدة . فعلى سبيل المثال لوحظ أن مشروعات الري والصرف والتحكم في الفيضـــان والتشجير كانت تتم أساساً لصالح كبار الملاك وأن الناس لا يقدمون على المشاركة في مشروعات التنمية الريفية إلا إذا أحسوا أنها من أجلهم ولصالحهم . كذلك أوضح التقرير كيف أنه من العسير التوفيق بين مصـــالح الدائـــن والمدين، أو بين المالك والمستأجر الذي يحصل فقط على نصف المحصول على الرغم من أنه يتحمل كل تكاليف الإنتاج .

وفضـــلاً عـــن ذلك فإن كل تغير ثقافي سوف يؤدي بالقطع إلى إحـــداث تغير في النظام الاجتماعي القائم، أي سيؤدي إلى إضعاف القيم الاجتماعـــية المـــتوارثة . أو اســـتبدالها بطائفة من القيم ومظاهر السلوك الجديـــدة التي قد لا تتلاءم والقيم وأساليب السلوك القديمة. ويؤدي ذلك بـــدوره إلى خلق صراعات وتعارض بين ممثلي القيم الجديدة، وممثلي القيم المـــتوارثة، كما يؤدي إلى فقدان وضوح الرؤية أمام مسيرة المجتمع، وخلق حالة من التخبط، وضعف القدرة على اتخاذ القرارات الحاسمة في المواقف التي تتطلب ذلك .

ومن الحقائق المسلم بها أن كل قرية من قرى البلدان النامية، تضم جماعـــات طبقية واجتماعية يكون لكل منها موقف محدد من رياح التنمية الـــتي تهـــب على مجتمعهم القروي . وقد يكون هذا الموقف موقفاً مناوئاً للتنمـــية الريفـــية، لأن التنمية ستضر بمصالحها، ولذا فهي تقاوم وتعارض الـــبرنامج التـــنموي، وتضـــع أمامه العراقيل للحيلولة دون تحقيق أهدافه المبتغاة. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فقد يكون الموقف موقفاً إيجابياً يعضـــد البرنامج الإنمائي، ويسعى من أجل العمل على إنجاحه، لأنه يتفق

ومصالحها وقيمها. ومن هذا المنطلق ينبغي على المخطط أن يتعرف بادئ ذي بدء على هذه المواقف المتباينة حتى يكون ملماً بها ومدركاً لطبيعتها .

١٢ - ضـــرورة الاهتمام بالمشروعات الإنمائية الأكثر أهمية، والتي يمكن أن تحقق نتائج سريعة وملموسة لأهالي القرية : لقد عانت المجتمعات المحلية القروية طويـــلاً مـــن مخـــتلف صـــنوف الظلم الصارخ من المستعمر الخارجي والإقطاعي، وقد نتج عن ذلك انعدام الثقة في الحاكم والدولة، والشك في كل ما تتخذه الحكومة من مشروعات قبل المجتمع المحلي . ولذا ينبغي على المخطـــط الذي يقوم بتصميم برنامج إنمائي للقرية أن يبدأ بتخطيط وتنفيذ المشـــروعات الـــتي تؤدي ثمارها بسرعة، وتكون نتائجها ملموسة يخبرها الـــناس جمـــيعاً، فمـــثلا - يبدأ بإقامة مشروعات إنتاجية مثل الجمعيات التعاونـــية الزراعـــية، وتعاونه في تسويق محصولاته وتخلصه من الخضوع لســـيطرة الاحتكاريين . كما يبدأ بجانب ذلك بإدخال الكهرباء ورصف الطـــرق وإقامـــة مراكز لتدريب الفتيات على أعمال الحياكة والتطريز، وبذلك تتغير اتجاهات القرويين حيال برامج التنمية، وتحل الثقة محل الشك والريبة في الحكومة .

١٣ - ضـــرورة توافـــر الموارد الطبيعية والمادية والبشرية اللازمة لتحقيق التنمية الريفـــية : لمـــا كانـــت البرامج الإنمائية الريفية تستهدف في المقام الأول استغلال الموارد الطبيعية والمادية والبشرية استغلالاً رشيداً، فإنه يصبح من الضـــرورة توافر الإمكانيات التي تمكننا من تنفيذ هذه الأهداف الإنمائية . فمـــثلا - إذا أردنـــا إقامـــة مصانع أو مدارس أو مستشفيات ووحدات اجتماعـــية، فلابد من توفر رؤوس الأموال اللازمة لإنشاء هذه المنظمات، كما لابد من وجود الأرض التي ستقام عليها هذه المشروعات، كما لابد

مـــن توافر الأفراد الذين سيقومون بالعمل داخل هذه التنظيمات . ومن الممكـــن أن تـــتوفر كل هذه الإمكانيات من خلال التعاون بين الجهود الأهلـــية والحكومـــية، فمـــثلا – توفـــر الحكومة المدرسين والمهندسين والأخصائيين الاجتماعيين . ويتبرع الأهالي بالأرض وجزء من المال اللازم للمشروع وفقاً لإمكانياتهم الماديـــــة المتاحة [١].

١٤- ضـــرورة أن تكون التنمية الريفية ثورية في طبيعتها : وذلك بتحقيق أكبر قـــدر مـــن التغييرات البنائية والوظيفية في مختلف مناحي الحياة الاقتصادية والاجتماعـــية والسياسية والثقافية ... الخ . تلك التغييرات التي يتغير من خلالها وجه الحياة الاجتماعية والثقافية تغييراً جذرياً، والتي ينبغي أن ينتفع جمـــيع أبـــناء المجـــتمع بنـــتائجها وثمراتها . لا سيما القطاعات والفئات الاجتماعية التي حرمت ردحاً طويلاً من الزمن من فرص النمو والتقدم .

١٥ – ضـــرورة التعمق في فهم تاريخ المجتمعات الريفية المراد تنميتها، إلى جانب الدراســـة الآنـــية لظروف هذه المجتمعات : حيث ينبغي ألا تقتصر على الدراســـة الإســـتاتيكية لظروف المجتمع الراهنة، بل لابد أن تتجاوز هذه الدراسة الحاضر وتتعمق في سير أغوار ماضي وتاريخ هذا المجتمع وحاضرة نستطيع أن نحدد المسار المستقبلي له، والذي نترجمه في خطة إنمائية [٢] .

معوقات التنمية :

تواجـــه التنمـــية بعض المعوقات، وهي المشكلات التي تحول دون تحقيق الأهـــداف الإنمائية، وتعوق التقدم، وتعترض العمل، بل وقد تقضي على أهداف

(١) محي الدين صابر – التغير الحضاري وتنمية المجتمع ، ص ١٦٧ .
(٢) أنظر د. كمال التابعي – المرجع السابق ، ص. ص ٧٨ – ٨٨ .

التنمية نهائياً . وهي تختلف في طبيعتها وعمقها وشدتها من مجتمع لآخر . وقد تنبع مـــن تداخـــل البـــناء الاجتماعي والإطار الثقافي للمجتمع، أو من داخل النماذج التخطيطية . ونستطيع أن نوجزها في الآتي :-

١ – معوقات اجتماعية :

وتتمـــثل في التواكلـــية والسلبية . فالتنمية لا تتطلب الجمود والسكون، والـــتواكل، والكســـل، والتفكير الخرافي . وإنما تتطلب النمو والتطور، وسيادة قيم الطموح، وروح المبادأة، والمخاطرة .

٢ – معوقات اقتصادية :

وهـــي قصـــور في أحـــد عناصر الموارد ومصادر الثروة الطبيعية، وهي: الأرض، والعمـــل، ورأس المـــال، ومستوى التقدم التكنولوجي، وكفاءة وســـائل الإنـــتاج المتاحة، وحجم وشكل المنافسات الخارجية، من أجل تحقـــيق الـــبرامج اللازمة للتنمية . كذلك فإن عدم التنسيق بين معدلات الاســـتثمار في قطاعـــات الاقتصاد القومي، وعدم قدرة أجهزة التسويق والـــنقل والتخزين على العمل بكفاءة تعوق التنمية، ويبدو فارق جوهري بـــين الـــتحديات الاجتماعية والمعوقات المادية، فالمعوقات المادية يستطيع المســـئولون التغلب عليها، وذلك على عكس التحديات الاجتماعية التي تجابـــه عمليات التنمية، والتي تتمثل في النمو السكاني، والاستهلاك، والتي تتراكم عبر الزمن . ومن ثم تصبح المعوقات الاجتماعية من أعقد العمليات أمام التنمية .

٣ - معوقات سياسية :

وهـــي تـــتعلق بالشكل الذي يكون عليه نظام الحكم في المجتمع، وشكل العلاقـــة بـــين الســـلطة التشريعية والتنفيذية والقضائية، ونوع السياسة الخارجـــية، وشكل الأمن، ومدى الاستقرار الخارجي، وشكل التنظيمات السياسية الحزبية، ودرجة الوعي والنضج السياسي في المجتمع .

٤ - معوقات تعليمية :

إن انخفاض مستوى التعليم، وانتشار الأمية، وضعف الوعي لدى الريفيين، وشيوع المعتقدات الخاطئة، والعزوف عن تعليم الفتاة، وعدم تثقيف المرأة لا يمكّـــن الريفيين من استغلال الموارد الاقتصادية المتاحة أحسن استغلال، والمشاركة الفعالة في مشروعات التنمية .

٥ - معوقات تخص التخطيط :

مازالـــت بعض السلطات المركزية تستأثر بالتخطيط والخطة . كذلك فإن نقص المعلومات يعوق التنمية .

٦ - معوقات تتعلق بالتنظيم :

حيث مازالت الحدود التنظيمية والإدارية غير محددة بين الأجهزة والهيئات المختلفة، وتعوق البيروقراطية الإدارية تنفيذ مشروعات التنمية .

٧ - معوقات تتعلق بالتنفيذ :

حيث مازالت نمطية تنفيذ المشروعات تجعل البرامج والمشروعات متشابهة في كافـــة المناطق، بالرغم من اختلاف البيئة . كذلك فإن ضعف مستوى

العـــاملين الفنـــيين في المشـــروعات نظراً لعدم تدريبهم وإعدادهم يعوق التنمية.

٨ - أغراض خيالية :

وهـــي ترتبط بقدرة الإنسان على التخيل، والتي قد تكون أكبر بكثير من قدرته على التنفيذ، مما يترتب عليه حدوث فجوة كبيرة بين الآمال المرجوة والأغـــراض التي تفرضها الإمكانيات المتاحة، مما ينجم عنه فشل في تحقيق الأهـــداف . وإذا لم ينجح الإنسان في تقليل هذه الفجوة، فسوف تصبح هياكل التنمية الضخمة عبئاً على كاهل الدولة ومعوقاتها لتقدمها .

ويـــبدو ذلك في بعض دول إفريقيا على وجه الخصوص، حيث ينشئون أجهزة وتنظيمات بيروقراطية ضخمة، وينزعون نحو إنشاء مصانع ضخمة، ويفتقرون إلى النظرة الكلية للمشكلات في بلادهم. كذلك فهم يتعلقون بشعارات ضخمة مثل : الرفاهية الاجتماعية، والتقدم الاجتماعي، والـــتقدم الاقتصادي، والكفاءة الإدارية، وغيرها، مما قد يوقعهم في مأزق فشلهم في تحقيق هذه الشعارات التي ينادون بها .

وقـــد يدفعهم ذلك إلى إقامة مشروعات خيالية ليست بلادهم في حاجـــة إلـــيها، مثل : الخطوط الجوية، وصناعة الصلب؛ مما يهدر الموارد الطبيعية، والطاقة البشرية .

٩ - الموارد البشرية :

يعتبر الضمور السكاني، وكذلك زيادة حجم السكان زيادة كبيرة بالنسبة لـــلموارد المتاحة من معوقات التنمية؛ مما ينجم عنه ظهور عقبة في سبيل زيادة مستوى رفاهية أفراد المجتمع .

١٠-التدرج الاجتماعي والبناء الطبقي :

يعتبر البناء الطبقي من أهم معوقات مشروعات التنمية في البلاد الفقيرة . ولعـل أبـرز مثال لذلك نظام الطوائف المغلقة Caster في الهند حيث يلعب دوراً واضحاً في مناهضة مشروعات التنمية .

١١-معوقات إيكولوجية :

وتتمثل في سوء توزيع المرافق والخدمات والصناعات وتركزها في العواصم والمـدن الكبرى . تزايد هجرة الشباب من القرية إلى المدينة ؛ مما يترتب علـيه استنزاف للطاقة الإنتاجية بالريف . كذلك فإن عدم وجود تخطيط بيئي متكامل يراعي مصالح الريف، يعوق التنمية . فالريف يفقد الأراضي الزراعية بواسطة المدينة التي تنمو عمرانيا على حساب الريف .

مقاييس التنمية الريفية :

تُعـد مقاييس التنمية الريفية الإحصائية والكمية مطلوبة للتقدم في التنمية الريفية . وهي تشير إلى مدى حدوث تحسين اجتماعي واقتصادي، وتراقب وتقيم برامج التنمية وتسهل عملية المقارنة مع الغير .

وتمدنـا مقايـيس التنمية الريفية بمؤشرات عن النوعية الفيزيقية للحياة في المناطق الريفية، وصورة توزيع الدخول بها، والأوضاع الثقافية والاقتصادية للحياة . ويسـتخدم هنا العديد من المؤشرات من جانب الاقتصاديين والاجتماعيين لتعكس وضعية صورة التنمية الريفية ونوجزها في الآتي :-

١ - متوسط الناتج الكلي القومي الحقيقي Per Capita Real Gross National Product (GNP) :

الـــناتج القومـــي الكـــلي الحقيقي هو القيمة السوقية لكل السلع النهائية والخدمـــات المنتجة في عام والناتجة من عوامل الإنتاج الموجودة عن طريق الأفراد الموجوديـــن في مجـــتمع مـــا . فالناتج الكلي القومي الحقيقي Real GNP هو GNP وفقـــاً للتغيرات في الأسعار وتحسب عن طريق قسمة GNP على مؤشر الأســـعار للعـــام.ويســـتخدم متوسط الناتج الكلي القومي الحقيقي بصورة واسعة للدلالـــة عـــلى التحسن الاقتصادي للأفراد . وإذا حسبناه للأفراد الريفيين بصورة منفصـــلة فإنـــه من الممكن أن يكون مقياساً فقط للمكون الاقتصادي من التنمية الريفـــية.وكلما زاد متوسط الناتج الكلي القومي الحقيقي للفرد فإن ذلك يعني في المتوســـط أن هناك تحسناً اقتصادياً قد حدث . ولكن هناك بعض أوجه الضعف في هذا المقياس عند قياسه للتحسن الاقتصادي .

- لا يقيس ولا يشتمل على قيمة الرضا الفيزيقي والعقلي (النفسي) للأفراد .
- لا يتضـــمن قيمة العمل غير المدفوع لخدمات ربات البيوت والعمل المترلي مـــثل تربـــية الحـــيوانات المترلية ورعاية الأطفال والحديقة المترلية ولذلك تتناقص قيمة الناتج القومي الكلي الحقيقي .

ولا يقـــيس الناتج القومي الكلي القيم الإنسانية للأنشطة الاقتصادية مثل (الـــتلوث مـــن المصانع أو المصارف أو غيرها أو تلوث المياه، الضوضاء) وبوضوح فإنه يمكن القول بأن GNP لا يشتمل على كل شيء يساهم في الســـعادة الإنســـانية أو يساهم في التعاسة الإنسانية . وبالرغم من أن Real GNP لـــيس مقياســـاً جيداً للرفاهية الاجتماعية إلا أنه المؤشر

الكمـــي الوحيد الذي يشير إلى التحسن الاقتصادي المتاح للأفراد داخل وخارج الوطن ومقارنة ذلك بغيره في الدول الأخرى عبر الزمان والمكان.

٢ - متوسط ما يخص الفرد من النفقات على الخدمات والتسهيلات داخل المجتمع المحلي Per Capita Public Expenditure on Community Facilities and Services :

إن مســـتوى التنمـــية للـــبلد يكون دالة للاستهلاك السكاني من السلع والخدمـــات فهناك خدمات مثل المدارس والمستشفيات والطرق وأماكن الانتظار وأقســـام الشـــرطة وإشـــارات المرور تمد عن طريق الحكومة مجاناً دونما تكلفة من جانـــب الأفراد والمتاح من هذه الخدمات والتسهيلات يمثل دخل حقيقي ولذا فإنه يمثل جزءاً من مستوى المعيشة .

ولذلـــك يعـــد مقياس متوسط ما يخص الفرد من الخدمات والتسهيلات داخـــل المجـــتمع المحلي مقياساً جيداً للرفاهية الاجتماعية . ويستخدم هذا المقياس بصورة مرضية للدلالة على التحسن بصورة عامة .

٣ - مؤشر أدلمان وموريس للتنمية Adleman and Morries Indicators of Development :

أســـتخدم أدلمـــان وموريس أربعين مؤشراً للتنمية الاجتماعية — الثقافية والسياســـية والاقتصادية لتحليل عملية التنمية في (٧٤) دولة نامية وهذه المؤشرات هي :-

١ - حجم القطاع الزراعي التقليدي .

٢ - مدى انتشار التريف .

٣ - مدى انتشار التحضر .

٤ - خصائص المنظمات الاجتماعية الأساسية .

٥ - أهمية الطـ ـة المتوسطة (حجمها) .

٦ - مدى انتشار الحراك الاجتماعي .

٧ - مدى انتشار الاتصال الجماهيري .

٨ - درجة التجانس العقائدي والثقافي .

٩ - درجة التوتر الاجتماعي .

١٠ - معدل الخصوبة الخام .

١١ - درجة التحديث .

١٢ - درجة الأمية .

١٣ - درجة الترابط القومي ودرجة الشعور بالوحدة القومية (الانتماء).

١٤ - مدى انتشار مركزية القوة الأساسية .

١٥ - قوة المؤسسات الديموقراطية .

١٦ - درجة حرية المعارضة السياسية والإعلام المضاد .

١٧ - درجة معارضة الأحزاب السياسية .

١٨ - درجة سيطرة الحزب الحاكم .

١٩ - قوة حركة العمل .

٢٠ - القوة السياسية للصفوة التقليدية .

٢١ - القوة السياسية للعسكريين .

٢٢ - درجة الكفاءة الإدارية .

٢٣ - مدى انتشار الالتزام القيادي للتنمية الاقتصادية .

٢٤ - درجة الاستقرار السياسي .

٢٥ - متوسط نصيب الفرد من GNP .

٢٦ - معدل النمو لنصيب الفرد الحقيقي من الناتج القومي .
٢٧ - وضعية المصادر الطبيعية .
٢٨ - معدل الاستثمار الكلي .
٢٩ - مستوى تحديث الصناعة .
٣٠ - التغير في درجة التصنع .
٣١ - خصائص المنظمات الزراعية .
٣٢ - مستوى التحديث في التقنيات في مجال الزراعي .
٣٣ - درجة التحسن في الإنتاجية الزراعية .
٣٤ - مدى ملاءمة النفقات الإدارية .
٣٥ - درجة كفاءة وفاعلية النظام الضريبي .
٣٦ - التحسن في النظام الضرائبي .
٣٧ - فعالية المؤسسات التمويلية .
٣٨ - معدل التحسن في المصادر البشرية .
٣٩ - بنيان التجارة الخارجية .

وقام أدلمان وموريس بترتيب الدول الأربعة وسبعون وفقاً لكل مؤشر من هـــذه المؤشرات ووضعوها كلها على مقياس عددي . وتبين دراستهم هذه أهمية العوامل غير الاقتصادية في النمو داخل وبين مختلف مراحل التنمية .

٤ - مؤشر أيهوف وإسمان للتنمية الريفية Uphoff and Esman Indicators of Rural :

أشـــار أيهـــوف وإسمان إلى سبع محاور للتنمية الريفية، وذلك من خلال دراســـتهم عن علاقة بين المنظمات المحلية والتنمية الريفية في ثمانية عشرة دولة وهي كالتالي :-

١ - الإنتاجـــية الزراعية وقيست عن طريق متوسط الناتج من الهكتار ومتوسط الإنتاج الزراعي الكلي لكل فرد .

٢ - التكنولوجـــيا المحســـنة وقيست عن طريق كمية المستخدم من المخصبات للهكـــتار والمساحة المروية كنسبة من المساحة المستصلحة ومستوى تبني الزراع للأرز والقمح على الإنتاجية .

٣ - الرفاهية الريفية وفق مستوى التغذية والصحة والتعليم .

٤ - الأمـــن حســـب ووفقاً للمخاطر الطبيعية والحماية من العنف والعدوانية ومقدار العدالة .

٥ - توزيـــع الدخـــل حســـب وفقاً لنسبة الدخل في (٢٠%) من الوحدات المعيشـــية الأعلى دخلاً مقارنة بـــ (٢٠%) من الوحدات المعيشية الأقل دخلاً .

٦ - معدل النمو السكاني ومستوى التشغيل .

٧ - المشـــاركة السياســـية وقيســـت عـــن طريق التصويت ودرجة التحكم الـــبيروقراطي والتأثير على سياسة التنمية الريفية وحالة المصادر والخدمات العامة . وقام الاثنان بعمل تقدير كمي لكل من هذه المحاور السبع للتنمية الريفية للعينة المكونة من (١٨) دولة وقاموا بترتيب هذه الدول وفقاً لهذه المحاور .

٥ - النوعـية الفيزيقـية لمؤشـر الحـياة Physical Quality of life Index (PQLI) :

وتتضـــمن ثلاثـــة جوانب هي معدل وفيات الأطفال الرضع، أمد العمر المتوقع والأمية وهذه المكونات الثلاثة تشير إلى إمكانية المقارنة مع مجتمعات أخرى أو بـــين مناطق داخل المجتمع الواحد فيما يتعلق بالتغيرات في توزيع فوائد التنمية،

ولكنه لا يعكس قيم أية ثقافات معينة وفي نفس الوقت فإنه يعكس النتائج وليست المدخلات. وفي حالة GNP فإن مختلف السلع والخدمات يمكن أن تترابط في شيء واحد وهو سعر السوق .

٦ - قياسات عدم عدالة الدخل Measures of Income Inequality :

إن مســـتوى الإنتاج الكلي (GNP) وتوزيعه كليهما له أهمية متساوية فيما يتعلق بمستوى الرفاهية الاقتصادية، فإن ارتفاع GNP وارتفاع عدالة توزيعه يعـــني مستوى عالي من التحسن الاقتصادي. والدولة ذات GNP العالي ولكن في نفـــس الوقت ذات درجة قليلة في توزيع الدخول ترتب طبقاً للرفاهية الاقتصادية المـــتجمعة أقل من دولة لها نفس المستوى من GNP ولكن ذات مستوى عالي في عدالة توزيع الدخول [١] .

(١) د. محمد نبيل جامع – دراسات في التنمية الريفية ، ص. ص ٢٦ – ٣٠ .



الفصل الواحد والعشرون

المجتمع الريفي في مصر

جغرافية مصر :

يعتبر الموقع الجغرافي في مصر من أهم المقومات . إذ تقع في الجزء الشمالي من إفريقيا، ويحدها شمالاً البحر المتوسط، وجنوباً السودان، وشرقاً البحر الأحمر . وفي الشـــمال الشـــرقي فلسطين، وغرباً ليبيا . وموقع مصر بمثابة القلب . وعلى فـــرعي النيل قامت الحياة بمدنها وقراها . وتطل مصر على بحرين الأبيض المتوسط والأحمر .

وقد أتاحت خصوبة الوادي، وتدفق المياه في النهر للمصريين منذ التاريخ القـــديم حياة يندر فيها التنقل وتميل إلى الاستقرار . وتبلغ مساحة الأرض الكلية في مصـــر حوالي (مليون كيلو متراً مربعاً) معظمها صحراء غير صالحة للزراعة، فيما عـــدا نســـبة تقـــدر بـــ (٣ – ٤%) من مجموع المســـــــاحة الكليـــة، تقدر بـــحوالي (٧,٢٠٠,٠٠٠) فداناً من الأراضي الزراعية.

ويتـــناقص في هذه المساحة نصيب الفرد عاماً بعد عام، نظراً لزيادة عدد السكان بنسبة تفوق كثيراً الزيادة في مساحة الأراضي الزراعية [١] .

وتمتاز أرض مصر بأنها مستوية، وتتدرج تدريجاً معقولاً ومتزناً في الانحدار مـــن الجـــنوب إلى الشمال؛ مما سمح بسريان الماء في مجرى النيل في سرعة مناسبة،

---

(١) حسن علي حسن – الريف والحضر ، ص ٧٤ .

تســـاعد على الملاحة النهرية، وقد بني على النيل عدة قناطر وخزانات للتحكم في مـــياهه، ويقف على قمتها السد العالي، مما أتاح فرصة للري المستديم الذي يعد من أحسن نظم الري في مصر .

ولقد ساعدت مهنة الزراعة في مصر على استقرار المجتمعات الريفية وعدم تنقـــلها ؛ مما أتاح استمرار وتقدم استغلال الأراضي الزراعية. وأفاد هذا الاستقرار كذلك في تطوير الثقافة وارتقائها، وظهرت العلوم والفنون في وادي النيل .

مقومات المجتمع الريفي في مصر :

المقومات الاقتصادية :

يعـــتمد الاقتصاد الريفي في مصر أساساً عل الزراعة . وهذه المهنة لا تعتبر مجرد صناعة إنتاج المحاصيل النباتية والحيوانية، بل هي أيضاً أسلوب حياة السكان، ومصدر دخولهم، التي يتوقف عليها درجة مستوى معيشتهم ، ولصفات وخواص هـــذه الأرض مـــن حيث المساحة ونوع التربة ودرجة الخصوبة وموقعها الجغرافي وظـــروفها المناخـــية ومدى توفر مصادر المياه بها . لكل تلك الصفات والخواص آثارها في بناء المجتمع الريفي ودرجة تقدمه ومستوى معيشة سكانه . هذا ومساحة الأرض محـــدودة بالنسبة لعدد السكان وتزايدهم المستمر، والذي أدى إلى تضاؤل نصيب الفرد من الزراعة .

ولقـــد عاش المصريون القدماء في واديهم الخصب حياة مستقرة ساعدت عـــلى قيام الحضارة المصرية القديمة . وعرفت مصر الفرعونية أنواعاً من الحاصلات الزراعـــية أهمهـــا القمح والشعير والذرة . وكانت الأرض ملكاً للأسرة الحاكمة

وكـــبار رجـــال الجيش وطبقة الكهنة . أما بقية الشعب فكان يُسخر في استغلال الأرض .

ووقعـــت مصــــر تحت الاستعمار في كثير من فترات التاريخ . وبعد أن ضـــعفت حدة الفتح العثماني وزيادة نفوذ المماليك، حدث كثير من الاضطرابات، وانـــتهز الفلاحـــون هـــذه الفرصة وتشبثوا بقطع الأرض التي يفلحونها . وكانت صلتهم بالمملوك أو شيخ البلد الملتزم بجباية الضرائب، صلة مراوغة ومقاومة .

ومـــع مضي الوقت أصبح الفلاح الذي يزرع الأرض ثابتاً فيها تنتقل منه إلى ذريـــته بـــالإرث، في حين أن الملتزم كان يتغير بالوفاة أو بتغير الحاكم . وثبت الفلاح في أرضه وترتب له حقوق، وكانت إيصالات الضريبة أو ما يحل محلها هي صكوك الملكية في القرنين السابع عشر والثامن عشر .

وتدرجت حقوق الملكية للفلاحين من التوريث إلى البيع مع إخطار الملتزم بمـــا يتم من تصرف، وأخذت حياة الفلاحين في هذه الفترة تستقر تدريجياً، وتخف تيارات العنف والظلم .

وحـــين تـــولى **"محمد علي"** حكم مصر أقسم أن لا يبرم أمراً ولا يفرض ضريبة بدون موافقة الشعب الذي كان يمثل البرلمان . وفي الفترة ما بين (١٨١٣ — ١٨١٨م) قسم **"محمد علي"** أراضي مصر إلى مساحات ثابتة وواضحة الحدود بين كل قرية وما يجاورها من القرى إلى أحواض وعين لكل حوض عدد من الفلاحين لزراعـــته وفي كـــل موســـم زراعي يعين لهم ما يزرعون ووضع للفلاحين النظام الآتي:-

أ - لا يحــق للفــلاح أن يتصرف في محصوله، وعليه أن يورده عند جمعه إلى شــون الحكومــة فيوزن أو يكال، ويقرر لكل وحدة السعر الذي تحدده الحكومة .

ب - يخصــم مــن هــذا التقدير، الضريبة المفروضة على الأرض وثمن المواشي والبذور والسماد التي أخذها الفلاح .

ومــا يتبقى للفلاح بعد ذلك لم يكن يسلم له نقوداً، وإنما يسلم له صكاً عــلى الحكومة و لم تجر العادة على أن تدفع الحكومة من هذا الصك شيئاً,وكانت حكومــة " ولي الــنعمة " أي (**محمــد علي**) تتذرع بشتى الحيل لكي تلغي هذه الصكوك أو تصفيها — فمثلا : -

١ - إذا لم يتمكن أحد أو بعض فلاحي القرية من دفع ما يطلب منه نظير عجز في محصــوله أو لســبب خَصْم ما عليه من صكوك الفلاحين الآخرين في القرية .

٢ - إذا تبقى بعد هذه التصفيات شيء قبل الحكومة، وزعت بقيمته على أهل القــرى ســلع مــن المنتجات الفائضة التي كان أفراد أسرة "**محمد علي**" يتاجرون فيها .

٣ - كــان يسمح للفلاحين بأن يشتروا من المبالغ المرصودة في هذه الصكوك كميات من الحبوب لا بالسعر الذي حددته الحكومة عند استلام المحصول مــن الفلاحين وإنما بسعر مرتفع جديد . فمثلاً، كان سعر شراء الأردب مــن القمح (٢٧ قرشاً) فإذا سمح للفلاحين باسترداد شيئاً منه كان السعر للبيع (٥٦ قرشاً)، وكان سعر الأردب من الأرز شراء من الفلاحين (٩٠ قرشاً) وسعر البيع لهم (١٤٠ قرشاً) .

وفي عـــام ١٨٨٢م احتلت إنجلترا مصر، وكان لذلك آثار سيئة وضارة، ذلك أن المستعمر كان يحرص على استغلال ثروة البلاد التي كانت تتمركز أساساً في إنـــتاجها الزراعي، الذي كان المستعمر يحاول الحصول عليه بأرخص الأسعار. وعلى ذلك لم يكن للزراعة دخل مجز للفلاحين فظل المجتمع الريفي فقيراً .. ولكي يظـــل المســـتعمر قابعاً على أرض مصر، فقد وضع لها نظاماً سياسياً يجعل الفلاح خاضعاً للملكية المستبدة، والإقطاع، وتحكم رأس المال المستغل .

وكانـــت ملكية الأرض في المجتمع المصري حتى مطلع القرن العشرين من شـــأنها ألا تجعـــل القروي مرتبط بالأرض كثيراً . فتارة تنزع ملكية الأراضي، ثم تـــوزع بلا قاعدة، وتارة تملك الأرض للفلاحين، ثم تنزع بعد ذلك . ولقد كانت ملكية الأرض عبئاً ثقيلاً في ظل نظام الملتزمين، حتى أن الدولة كانت تعرض ملكية أراضي شاسعة على بعض الفلاحين، فيتهرب هؤلاء منها خوفاً من الالتزامات على كاهلهم، وكاهل أسرهم نتيجة لذلك .

وفيما قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م كان توزيع الأراضي الزراعية ظالماً إلى أبعـــد الحدود . فالملكيات الزراعية تركزت في أيدي قلة من السكان، في حين أن الغالبية العظمى لا تملك إلا مساحات قليلة، أو لا تملك شيئاً على الإطلاق .

لقد كانت غالبية الأراضي الزراعية في أيدي فئة قليلة من الملاك لا تتعدى النصـــف في المائة تملك أكثرمما يملك (٩٤%) من الملاك . لذلك زاد عدد العمال الزراعيين، وكثرت البطالة، وساءت حالة صغار المستأجرين وقتئذ .

وخـــلال الفـــترة التي مرت بها مصر منذ ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م، وحتى بدايـــة الســـبعينات، خلصت مصر من الاستعمار، والإقطاع، وتحكم رأس المال، وصدر قانون الإصلاح الزراعي، وقامت الدولة بالاستيلاء على المساحات التي تزيد

عن الحد الأقصى، ووزعت هذه الأراضي على الفلاحين المعدمين، بحيث ينتفع كل منهم بما لا يقل عن فدانين، ولا يزيد عن خمسة أفدنه .

وخـــلال هـــذه المـــرحلة بدأ المجتمع الريفي يتطلع إلى المزيد من الرخاء والرفاهـــية، ونمت الصناعة سواء ما يتعلق منها بالإنتاج الزراعي، أو التي تقوم على اســـتخراج المعـــادن من باطن الأرض، ونشط البحث عن البترول، بالإضافة إلى الاتجـــاه نحـــو التصنيع عموماً والذي أوجد عملاً لعدد كبير من العمال الزراعيين الزائدين عن حاجة العمل الزراعي .

وعـــلى أثـــر حركة مايو ١٩٧١م استعاد كبار الملاك والرأسماليين أطيانهم الزراعـــية بعد طرد الفلاحين منها الذين كانوا يحوزونها بالإيجار أو التمليك .. وتم كذلـــك إلغـــاء قوانين أيلولة ملكية الأراضي الزراعية المستولي عليها للدولة بدون مقـــابل مع التزام الدولة بدفع تعويضات لملاك الأراضي تقدر بحوالي (ثلاثين مليون جنيه) .

ومـــنذ عام ١٩٧١م بدأت مصر تدخل في علاقات مباشرة مع غيرها من الـــدول العربية والأجنبية، حيث حدث تحول واضح في عمليات التبادل التجاري بـــين مصـــر وهـــذه الدول، وذلك عن طريق تصدير الفائض من خلال التبادل التجاري في مجالات الزراعة وصيد الأسماك وتغليفها وتعبئتها . واستمر هذا التبادل التجاري وحتى سنة ١٩٩٠م حسب سياسة الانفتاح الاقتصادي التي اتبعتها مصر خلال السبعينات .

وطـــبقاً للقانون ١٤٣ لسنة ١٩٨١م في شأن الأراضي الزراعية تقرر رفع الحـــد الأقصـــى للملكية الزراعية، والتي كانت لا تزيد عن (٥٠) فدان، إلى أربعة

أضـــعاف الحـــد الأقصـــى مع السماح بحق الانتفاع للأجانب في إطار الشركات المساهمة في حدود (٤٩%) من رأس مال الشركات المساهمة .

وتـــتجه الدولـــة حالياً إلى الإكثار من مشروعات التوسع الزراعي الأفقي والرأســـي لـــزيادة الإنتاج الزراعي لتغطية احتياجات المجتمع الذي يتضاعف كل ثلاثين سنة، ومحاولة معالجة الفجوة بين الصادرات والواردات .

ويســـتهجن أهل القرية عملية بيع الأرض الزراعية . وإذا حدث واضطر الـــبعض إلى بيع قطعة من أرضه، فإنه دائماً يحرص أحد أفراد العائلة من القادرين على شرائها حتى لا تخرج الأرض خارج حدود العائلة، بل وقد يضطر البعض إلى الاستدانة لشراء تلك الأرض .

ويصل الأمر في بعض الأحيان إلى الإخلال بقوانين الدين الخاصة بالميراث حفاظـــاً عـــلى الأرض، إذ يكتب بعض الآباء عقوداً صورية لبعض الأبناء الذكور بملكية قطعة من الأرض الزراعية في صورة (بيع وشراء)، وذلك لإحساس الأب أن الابـــن امتداد للعائلة، وذلك على عكس الابنة التي سوف تنتقل إلى زوج غريب تؤول إليه ملكيتها وميراثها .

واســـتثمر المال بكثرة في شراء الأراضي الزراعية . والواقع هذا الشراء لم يـــرجع إلى ما تضيفه الأرض من قيمة اجتماعية على صاحبها، وإنما يرد إلى قيمتها الاقتصادية والتي ترتفع بالارتفاع المستمر في سعر الأرض الزراعية مما يشجع البعض عـــلى شـــرائها كنوع من الاستثمار، ويزداد هذا الاتجاه بين غير المتعلمين أو من يمارســـون مهـــنة الـــزراعة سواء كمهنة أساسية أو مهنة إضافية حيث يستطيعون زراعتها واستثمارها بصورة أفضل .

وقـــد صـــاحب استثمار المال في شراء أرض زراعية واستثمار الأموال في بعض المشروعات التجارية مثل افتتاح بعض المحلات التجارية (السوبر ماركت) في القرية، أو افتتاح محلات لبيع الأجهزة والأدوات المختلفة، أو استثمار المال في شراء سيارة أجرة للعمل عليها، أو شراء بعض الآلات أو الأدوات الخاصة بالزراعة مثل شراء جرار أو ماكينة مياه (حيث تؤجر بالساعة) .. هذا فضلاً عن استخدام المال المدخـــر في بـــناء بيت بالطوب الأحمر أو شراء أثاث مترل حديث، كما ظهر في الفـــترة الأخيرة أيضاً اتجاه جديد هو استثمار المال عن طريق إيداعه في أحد البنوك للحصـــول عـــلى عائد شهري منه يساعد في تحمل أعباء المعيشة، ولقد كان هذا الاتجـــاه مرفوضـــاً من قبل، ونظراً لتشكك الكثيرين فيما إذا كانت هذه الأرباح **"حلالاً"** أم **"حراماً"** من الناحية الدينية لأنهم يعتبروها نوعاً من **"الربا"** المحرم .

وقـــد حـــدث تغير تدريجي في اقتصاد القرية نتيجة عدة عوامل . فظهر تـــناقص في عدد المشتغلين بالزراعة، في مقابل اتجاه الكثيرين إلى ممارسة العمل في مهن غير زراعية مثل التحاق معظم الشباب الذين نالوا حظاً من التعليم بالوظائف الحكومـــية في المجـــالات المختلفة . أما غير المتعلمين فقد عملوا في مهن أخرى غير زراعـــية، وهاجر بعضهم إلى الدول العربية، ليجمعوا بعض المدخرات التي حاولوا استثمارها عند عودتهم في مشروعات تجارية أو غيرها .

الإدارة والتنظيم :

يعـــود الفضـــل في التقدم الذي نشاهده في الزراعة الحديثة وفي الصناعة الحديثة إلى الإدارة والتنظيم . إلا أن هذا العنصر يُعد من أضعف العناصر في الزراعة المصرية . فقد اعتاد المزارعون أن يتبعوا طرق وأساليب الزراعة التقليدية .

المقومات العمرانية :

تـــتكون القرية عموماً من مجموعة من المباني المتجاورة المتلاصقة وطرقاتها المتعرجة . وبالقرية في الغالب طريق واحد رئيسي يربط بين أجزاء القرية ببعضها، ويســـمى **"دايـــر الناحـــية"**. ويوجد به عدد من الدكاكين للبقالة وبعض الحرف والخدمات .

وتشمل مؤسسة الخدمات بالقرية المدرسة الابتدائية والوحدات الاجتماعية والزراعـــية والصحية ومراكز الشباب، ويختلف توفر هذه المؤسسات من قرية إلى أخرى حسب عدد سكانها وموقعها من القرى الأخرى .

ومساكن القرية مبنية غالباً من الطوب الأخضر (النيء)، ماعدا القليل من المســـاكن المبنية من الطوب الأحمر أو الحجر، خاصة إذا كانت هذه القرى مجاورة لـــلمحاجر بالجـــبال، أو في المناطق غزيرة الأمطار في شمال الدلتا . ولا تقوم هذه القرى على أساس التخطيط العمراني غالباً .

الأســـــرة :

المرأة في القرية محرومة من حق اختيار قرينها، فأمر الزواج متروك للأسرة الـــتي يرأسها الأب (الذكر) . فالزواج في القرية — وإلى درجة واضحة — إنما يتم بين أسرتين أكثر منه بين فردين؛ وغالباً ما يتم بناء على مبررات اقتصادية اجتماعية ترتبط بملكية الأسرة وقدرتها الاقتصادية وهيبتها الاجتماعية .

وينتشـــر نظام تعدد الزوجات في ريف مصر . فقد اعتبره الرجل الريفي حقاً مطلقاً له، مع أن الدين الإسلامي وضع شروطاً لتعدد الزوجات هي : القدرة

والعـــدل . وقد أثر ذلك على سلامة الأسرة وحياتها تأثيراً سيئاً، وجعل المرأة تهتم اهتماماً خاصاً بزيادة عدد أطفالها تدعيماً لمركزها مع زوجها، وحماية لأسرتها .

وتدل الإحصاءات على التناقص المستمر في حالات تعدد الزوجات، وقد كانت :

١٩٠٧	٦٢	من كل ألف حالة زواج .
١٩١٧	٥٤	من كل ألف حالة زواج .
١٩٢٧	٤٨	من كل ألف حالة زواج .
١٩٣٧	٤٢	من كل ألف حالة زواج .

هذا ولا تزال هذه النسبة في الانخفاض [١] . إذ لا تتجـــاوز حاليـــــــاً (٩,٧%) مـــن المتزوجين بالريف . كما أن نسبة المتزوجين بأكثر من واحدة إلى المـــتزوجين عامـــة لا يزيد عن (٣٦%) [٢] ، إلاّ أن حالات الطلاق كثيرة، وهي تنجم عن عدد من المسببات، إحداها تعدد الزوجات .

وتقـــوم العائلة بإنتاج نوعين من المحاصيل : **الأول** : مطالبها واحتياجاتها المباشرة . **والثاني** : محاصيل السوق .

ويمثل الأولاد القدرة الإنتاجية في الاقتصاد الزراعي البدائي الذي لا يحتاج إلى تدريب أو مهارة أو تخصص، حيث يستطيع الطفل أن يقوم بجزء من العمليات نظـــير أجر زهيد [٣] . أو بدون أجر إذا عمل لدى أسرته . ويمثل الأولاد كذلك قـــوة اجتماعـــية للأسرة حيث يساعدون في تحقيق هيبتها ومكانتها . فكلما كبر

---

(١) د. السيد محمد بدوي – مبادئ علم الاجتماع ، ص. ص ٣٢٥ – ٣٢٩ .
(٢) د. إيمان شومان – المرجع السابق ، ص ٣٩٣ .
(٣) مورو بيرجر – العالم العربي اليوم ، ص ١١٨ ، ص. ص ١٨٧ – ١٨٨ .

حجـــم العائلـــة يقـــوى سلطانها في المجتمع القروي، وعلى ذلك ترتفع قيمة المرأة "**الولود**" عن قيمة المرأة "**العقيم**" . ونفس الشيء للرجل [١].

الســـــكان :

حـــدث انخفاض في تعداد السكان في قرى مصر. ففي عام ١٨٨٢م كان عـــدد الســـكان الريفيين حوالي (٥,٥) مليون نسمة، يمثلون (٨١%)، بينما كان عـــدد السكان الحضريين حوالي (١,٣) مليون نسمة يمثـــلون (١٩%) من جملة عدد السكان . وقد ارتفعت نسبة السكان الحضريين في مصر من (١٧,٢%) من جملـــة الســـكان ســـنة ١٩٠٧ إلى (٢٨,٢%) سنة ١٩٣٧، إلى (٤٠,٥%) عام ١٩٦٦ [٢].

وبصفة عامة كان عدد سكان قرى مصر عام ١٩٤٧ حوالي (٦٦,٥%)، وأصـــبحت عام ١٩٦٧ حوالي (٥٩,٥%)، وذلك على الرغم من حدوث زيادة مطلقة في الأعداد من (١٢ مليون و٦٠٣ ألف نسمة) إلى (١٧ مليون و٦٩١ ألف نسمة) .

وفي عـــام ١٩٩٦م بلغ عدد السكان الريفيين في مصر (٣٤ مليون نسمة) يمثلون (٥٧%)، وعدد السكان الحضريين حوالي (٢٥ مليون نسمة) يمثـــــلون (٤٣%) من جملة عدد السكان [٣].

---

(١) د. محمد عاطف غيث – دراسات في علم الاجتماع القروي ، ص ٥٧ .

(٢) الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء – الزيادة السكانية وتحدياتها للتنمية الاقتصادية والاجتماعيـــة ، ص ١١٥ .

(٣) أنظر حسن علي حسن – الريف والحضر ، ص. ص ٧٦ – ٧٨ .
ود. أسامة أبو المكارم شاكر – المرجع السابق ، ص ٨٣ .

ويعــزي انخفــاض النســبة المئوية لسكان الريف، وارتفاع النسبة المئوية لســكان الحضر إلى الهجرة الداخلية من الريف إلى المناطق الحضرية . وقد اتجهت الهجــرة الداخلــية في مصر من الريف إلى المدن الكبرى أكثر من اتجاهها إلى المدن الصــغرى، وذلــك للعمل في مجالات النشاط الصناعي والتجاري والاجتماعي .. لذلك فإن الميكنة الزراعية واستخدام الأساليب التكنولوجية في الزراعة سوف توفر نســبة كبيرة من الأيدي العاملة الزراعية، والتي تتجه إلى المناطق الحضرية للعمل بها في مجالات نشاط العمل المختلفة .

وتلعــب الهجرة دوراً هاماً في موازنة الأجور في المناطق المختلفة وهي تحد من البطالة، وأداة أساسية في نمو الاقتصاد وزيادة الدخل وبالتالي زيادة الثروة .

وللــتوزيع الجنسي للمجتمع، وهو نسبة جملة عدد الذكور إلى نسبة جملة عدد الإناث آثاره الاجتماعية بالنسبة لمعدلات المواليد والوفيات والزواج والطلاق ونــوع وعدد المنظمات والمرافق والخدمات الصحية والترويحية، وكذلك الخدمات التعليمــية من حيث عدد ونوع وسعة المدارس، وما يحتاجه التلاميذ أو الطلاب أو الطالبات من هذه المدارس .

وتؤثر هذه النسبة على الحالة الاقتصادية للمجتمع من حيث حجم القوى العاملة المتاحة، وحالة العمال والبطالة وأنواع المهن التي يعمل بها السكان . وكما تؤثــر كذلــك على أنواع السلع والمنتجات والخدمات التي يجب إنتاجها وتوفرها لمقابلة استهلاك الأفراد تبعاً لكونهم ذكوراً وإناثاً .

وحســب أرقــام التعداد السكانية في الفترة من ١٨٨٢ -١٩٩٦م يتبين تقــارب عــدد الذكــور مع عدد الإناث . ففي عام ١٨٨٢م كانت نســـبة الإنــــاث (٥١,١%)، وفي عام ١٩١٧ و١٩٣٧م كانت (٤٩,٩%)، وفي عام

١٩٨٦م كانـــت (٤٨,٨٪)، وفي عام ١٩٩٦م (٤٩٪) . وتعتبر ظاهرة تقارب العدد بين الذكور والإناث ظاهرة مرغوب فيها . هذا وإن بدت بعض الفروق في بعـــض السنوات، فهي بسيطة، وقد تعزي إلى الفروق بين عدد المواليد والوفيات لكل من الجنسين [١] .

أما إذا كان التفاوت بين عدد الذكور وعدد الإناث كبيراً فهنا تنشأ بعض المشاكل الاجتماعية والاقتصادية، كظاهرة عدم توفر القوى العاملة اللازمة لمختلف المهـــن، أو عـــدم توفر الأعداد المناسبة من الذكور للتجنيد، أو ظاهرة نقص عدد الشباب في سن الزواج بالنسبة لعدد الشابات .

وبالمقارنـــة بين فئات العمر في المحافظات الحضرية والمحافظات التي يغلب علـــيها الطابع الريفي الزراعي تبين أن نسبة فئات العمـــــر لأقل من (١٢ سنة) أعـــلى في المحافظـــة الريفية منها في المحافظة الحضرية . وقد يعزي ذلك إلى ارتفاع معـــدل الـــزواج والـــزواج المـــبكر وارتفاع معدل الخصوبة والاتجاه الاجتماعي والاقتصادي نحو الإنجاب بدرجة أكبر في الريف عنها في الحضر .

كما تبين أن فئة السكان في سن العمل (١٢ — أقل من ٦٥ سنة) نسبتهم في المحافظات الحضرية أعلى منها في المحافظات الريفية . وقد يعزي ذلك إلى الهجرة الداخلـــية للشـــبان الريفيين إلى المناطق الحضرية للعمل في الأنشطة الاقتصادية غير الزراعـــية في مجالات الصناعة والتجارة والخدمات أو للالتحاق بمؤسسات التعليم بمراحله المختلفة لا سيما مرحلة التعليم العالي والجامعي .

أما فئة العمر (٦٥ سنة فأكثر) فتكاد أن تكون النسبة متساوية بين الريف والحضر رغم أنه كان من المتوقع أن تكون هذه النسبة أعلى في المحافظات الريفية لما

---

(١) نفس المرجع ، ص ٨٠ .

يســـود الحـــياة الريفـــية من الهدوء النفسي والاجتماعي وقلة مخاطر العمل والحياة والاهتمام المتزايد حالياً بالتنمية الاجتماعية والاقتصادية في المناطق الريفية [١].

التعـــــليم :

كـــان التعليم في مصر دينياً حتى مطلع القرن التاسع عشر، وعندما كانت مصـــر تحـــت السيطرة العثمانية، وكان يؤدي في دور العبادة وعلى رأسها الجامع الأزهـــر، وكـــان الغرض منه تخريج فئة من المثقفين في أمور الدين، لتعليم الناس وإرشـــادهم في أمور دينهم، و لم تكن هناك مدارس بالمعنى المعروف للتعليم العام أو الفني سوى نظام الحرفيين الذي كان يقوم فيه المتمرس على مهنة أو حرفة بتدريب بعض الصبية ليأخذوا منه أصول هذه الحرفة أو تلك .

وعـــندما استولى "**محمد علي**" على الحكم في مصر في بداية القرن التاسع عشر كان هدفه الأساسي تكوين إمبراطورية مركزها مصر، وهذا الهدف يحتاج إلى جيش قوي وحديث طبقاً لمستويات ذلك العصر، وهذا الجيش يحتاج إلى مهندسين وأطباء وعلماء، لهذا أنشأ بعض المدارس المؤقتة لتخريج هذه الفئات [٢].

ولقـــد مرت على مصر بعد ذلك بعض العهود التي كان حكامها يؤمنون بـــأن الشـــعوب الجاهلة أسهل قيادة من الشعوب المتعلمة فأغفلوا ما كان قد بقي قائماً من المدارس وبدت من (**الخديوي إسماعيل**) أثناء توليه الحكم رغبة في اللحاق بركـــب الحضارة الغربية فأعاد فتح بعض المدارس بل وابتدع في ذلك الوقت تعليم الفتاة فأنشأ أول مدرسة للفتيات، إلا أن سقوط "**الخديوي إسماعيل**" في هُوَّة الدين

---

(١) د. حسن علي حسن – الريف والحضر ، ص ٨٤ – ٨٥ .
(٢) أنظر د. أحمد كمال وآخرون – دراسات في علم الاجتماع ، ص ٢٢٠ .

والإفـــلاس والاحتلال الإنجليزي لمصر أدى إلى إغلاق هذه المدارس بحجة الوفر في الميزانية .

الديـــــن :

يســتغرق الديـــن في مصر حياة المصريين قديماً وحديثاً . فالقروي يبجل الصـــلاح والتدين، ويجعلها مقياساً مهماً في الحكم على الآخرين . وقد لا يكون القـــروي في أعماقـــه متديناً، ولكنه يحرص على أن يظهر بهذا المظهر حتى لا يفقد مركزه القيمي في نظر الآخرين . وكلما ازداد تعبد القروي وإقامته للشعائر الدينية كلما زادت قيمته .

واحتُلّت مصر، وعمد الاحتلال إلى إنشاء بعض المدارس لخدمة أهدافه في إعـــداد الموظفـــين اللازمـــين لأعمـــال الدواوين في الوزارات والمصالح الحكومية والتفاتـــيش الزراعـــية والمنشـــآت الهندســـية . وكان التعليم في مراحله المختلفة بمصـــروفات بحيث لا يستطيع إلا القادرون على دفعها، فحرم بذلك عامة الشعب من التعليم .

وفي عـــام ١٩٥٠ فتحت بعض المدارس الابتدائية المجانية، ولم تتغير النظرة إلى التعلـــيم كحق أساسي وفق قدراتهم، واستعداداتهم لكل مرحلة من مراحله، إلا بقيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ (١).

الخدمات الترفيهية :

بـــدأ الاهتمام بنشر الخدمات الترفيهية الريفية بعد أن قامت وزارة الشئون الاجتماعـــية بإنشـــاء المراكز الاجتماعية والنهوض بمستوى الحياة في هذه المناطق

---

(١) د. حسن همام — دراسات في علم الاجتماع الريفي ، ص ٦٩ .

اقتصـــادياً واجتماعياً وقد شملت هذه المراكز النشاط الترويحي حيث أنشئ في كل مركـــز اجتماعي نادياً ريفياً . وبعد إنشاء الوحدات المجمعة في الريف المصري عام ١٩٥٣م أصبحت كل وحدة مجمعة تضم نادياً ريفياً يؤدي رسالته في مجال الترويح الريفي في نواحي النشاط الرياضي والثقافي والتربوي .

هـــذا ويشـــرف على النادي الريفي مجلس إدارة وله لائحته التي يعمل في حدودها كما يشرف على الأندية الريفية المجلس الأعلى للشباب والرياضة ممثلاً في مديرية الشباب والرياضة بالمحافظة، وتشرف المجالس المحلية القروية على خطة التنفيذ ومتابعة نشاط الأندية الريفية في القرية المصرية تنفيذاً لقانون الحكم المحلي رقم ٥٣ لسنة ١٩٧٥م .

وتتلخص أهم أغراض النادي الريفي فيما يلي :-

١ - تحـــاول جاهدة جذب الأعضاء الريفيين إلى الاشتراك فيها والانضمام إلى الفرق الرياضية والجماعات الثقافية وتقوية الروابط بين الأعضاء .

٢ - نشـــر الوعـــي الصـــحي والثقافي والاجتماعي بين الأعضاء وتوجيههم للمساهمة في حل مشاكل القرية والإقبال على تأدية الخدمة العامة.

٣ - التدريـــب عـــلى تعـــلم الصناعات والحرف الزراعية والريفية واستغلال الخامات التي تتوافر في القرية مما يسهم في زيادة دخل الأسرة الريفية .

٤ - الاهتمام بإقامة الحفلات الترفيهية في المناسبات الدينية والقومية .

٥ - نشر الروح الرياضية والاهتمام بالحركة الكشفية وتنظيم برامج الرحلات والمعسكرات .

٦ - يعتــبر الــنادي الريفي مركز إشعاع اجتماعي وثقافي في القرية فيعمل إلى محاربة البدع والعادات السيئة .

٧ - يهــتم النادي الريفي بالفتاة الريفية فيتيح لها فرصة العضوية بالنادي حيث تمــارس نشــاطها في مجال الثقافة والرياضة وتعلم الحياكة وأشغال الإبرة والــتدبير المترلي، مما يرفع من ثقافة الفتاة الريفية ويجعلها عضواً منتجاً في المجتمع الريفي .

ولكن على الرغم من ذلك فإن هذا لا يكفي في ظل التطورات والتغيرات الجديــدة إذ أصبح الترويح ضرورة اجتماعية ملازمة للحياة الإنسانية خاصة الحياة الحديثة التي نعيشها الآن [١].

الخصائص النفسية والاجتماعية لسكان الريف في مصر :

يتمــيز سكان الريف في مصر ببعض الخصائص النفسية والاجتماعية من أبرزها : -

الكـــــرم :

الفــلاح المصري معروف بإكرامه للضيف . ويتباهى الفلاحون المصريون عــادة بمغالاهم للضيوف بالكرم والترحاب . وقد يتمادى الفلاحون في إكرامهم لضــيوفهم إلى درجــة قــد تضر بماليتهم . ولا يحب الفلاح أن يتهم أو يوصف بالــبخل، فهــو أحد الصفات الكريهة في المجتمع الريفي . والكرم سمة من سمات الــثقافة الســائدة في المجــتمع الــريفي المصري، فالمجتمع الريفي منعزل نسبياً عن

(١) د. إيمان شومان – المرجع السابق ، ص. ص ٤١٠ – ٤١١ .

المواصلات، إذا قورن بالمدينة . والزائر للقرية ليس من السهل عليه أن يجد فندقاً أو مطعمـــاً . وقـــد أدى ذلـــك إلى انتشار صفة الكرم بين سكان الريف حتى يتيسر للتجار والمسافرين وغيرهم من المارة على القرية أن يقوموا بأعمالهم .

ولذلك يلاحظ أنه بعد تحسن المواصلات أن بعض القرى القريبة من المدن قد قلت فيها هذه الصفة بشكل ملحوظ .

احترام السن :

يحـــترم المجتمع الريفي، ويقدر كبار السن، فهم بحكم سنهم لهم تجاربهم في الحـــياة؛ ممـــا يعينهم على القيادة ولنصح والتوجيه . ويرجع هذا إلى عدم انتشار التعلـــيم، فحيث يقل التعليم تزداد الخبرة في الحياة العامة . ومن المعروف في الأمثلة الشـــعبية مـــا يقال : **"أكبر منك بيوم يعرف أكثر منك بسنة"** . وفي لغة الريف كلمة شائعة مؤداها : **"احترام الشيبة"** .

وفي المجتمع الريفي يعتبر مخالفة الصغير لما يكبر عنه سناً مخالفة خطيرة تقابل بالحـــزم والنقد الشديد . كما يعتبر أي احتداد أو مناقشة أو إهانة من صغار السن لكبارهم مخالفة خطيرة تقابل بالنقد الشديد .

التأثر بالعلاقات الشخصية :

يـــتأثر الفلاح المصري بالأحاديث الودية، والعلاقات الشخصية، فإذا زاره شـــخص في مترله لأمر من الأمور، وجد نفسه لا يستطيع رفض طلبه . وهناك من الجمـــل الشـــائعة مـــا يستعملها الفلاحون للتأثير على بعضهم، مثل : **"علشان خاطري"** . وهناك من المواقف المعقدة ما عالجها علاقة شخصية أو توسط أو زيارة مترلية ودية .

النظرة غير المحددة للوقت والمسافات :

يتمـــتع الفـــلاح المصـــري بوقت فراغ كبير، فمواسم العمل الزراعي لا تـــتجاوز نصـــف العام، وفي نفس الوقت فإن أوقات العمل غير متصلة . فهو يعد الأرض للزراعة، ثم يبذرها، ويرويها من آن لآخر . كما قد يحتاج إلى القيام ببعض الخدمـــات الأخرى كالتسميد، وتنقية الحشائش، أو مقاومة الآفات إلى أن ينضج المحصول فيحصده . وهذه العمليات يتخللها أيام لا عمل فيها .

وقد أثر ذلك على الفلاح وجعله لا يحدد بالضبط مواعيده بنفس التحديد الـــذي يفهمه سكان المدن . فالري لا يهم أن يحدث اليوم أو غداً، والحرث يصلح في أي يوم خلال أسبوع .

وللفـــلاح نفـــس الـــنظرة عن البعد المكاني، فنظرته للبعد المكاني نظرة فضفاضة . وكثيراً ما يعبر عن طول مسافة قد تصل إلى كيلومترين أو أكثر بكلمة **"خطوتين"** أو **"دقيقتين سيراً على الأقدام، أو فركة كعب"**. ويرجع هذا إلى عدم توفر وسائل المواصلات المنتظمة والكافية في القرية، وذلك عكس المدينة .

احترام القوة والشجاعة :

يحترم الفلاح ويقدر الجرأة والشجاعة إذا توفرت في أي فرد، فالفرد القوي والشـــجاع يكون محل تقدير واحترام من المجتمع القروي . فقد لوحظ أن معاملة الفلاحين لكبار المجرمين الذين يشتهرون بالجرأة تتسم بالتقدير والاحترام، لا خوفاً منهم، ولكن اعتماداً على التقدير الخفي .

التأثر العاطفي :

لا يـــتحكم الريفيون في عواطفهم كأهل المدن . فهم يندفعون في غضبهم أو حزنهم أو ضحكهم دون تحكم واضح في إخفاء هذه العواطف. ويعبر عن ذلك بقولهم "راجل قلبه أبيض اللي في قلبه على لسانه" .

المعتقـــــدات :

يشـــعر أفراد المجتمع الريفي أن المعتقدات الشعبية ملزمة لهم، وهي تضغط علـــيهم، ويـــأخذون بها . ومن المعتقدات الشعبية الشائعة لدى الريف المصري أن المريض بالحمى إذا عطس بالنهر أو بالترعة سبعة مرات ساعة الغروب قائلاً في كل مـــرة الشمس عطست والحمى غطت فإنه يشفى تماماً من مرضه . كما أنه يعتقد في أن رش المـــاء وراء المـــتوفى في ساعة حمله وخروجه إلى مثواه الأخير يمنع موت غيره من أفراد الأسرة [(١)].

مشكلات المجتمع الريفي في مصر :

يقـــع المجتمع الريفي في مصر تحت وطأة عدد من المشكلات المعقدة، والتي لم تـــبرز إلا عندما اختل التوازن بين إنتاج الأرض وزيادة السكان المستمرة، وقد أســـهمت هـــذه المشكلات في تخلف ريف مصر، وجمدت أوضاعه الاجتماعية، وجعلت الفلاح المصري رغم اشتهاره بالكدح والدأب والذكاء، من أشقى فلاحي العالم .

---

(١) أنظر د. حسن همام – مدخل لعلم الاجتماع الريفي ، ص. ص ٣٥ – ٥١ .
وأنظر د. حسن همام – دراسات في علم الاجتماع الريفي ، ص. ص ١٥١ – ١٦٧ .

وتعـــددت مشـــكلات المجتمعات الريفية في مصر، الأمر الذي يدعو إلى حتمية مواجهتها للتغلب عليها أو الحد منها وصولاً إلى النهوض بتلك المجتمعات .

وتبدو هذه المشكلات في الآتي :-

المشكلة الاقتصادية :

تتمـــثل المشـــكلة الاقتصادية في قلة الدخل، والبطالة، وندرة رأس المال، كذلـــك فـــإن إنتاجـــية الفـــلاح المصري أقل بكثير من إنتاجية الفلاح في الدول المـــتقدمة.. ويـــرجع هـــذا إلى عدم قدرة الفلاح في مصر على استعمال الآلات والأســـاليب الحديـــثة في الزراعة، واعتماده على الجهد العضلي في الإنتاج، وعلى الطـــرق التقلـــيدية في الـــزراعة؛ ممـــا جعل الحاصلات الزراعية المصرية لا تكفي الاستهلاك المحلي، فاضطرت الدولة إلى الاعتماد على الاستيراد من الدول المتقدمة التي تأخذ بالأساليب العلمية في كل ما يتصل بالعمل الزراعي .

ويعتمد الفلاح المصري على محاصيل معينة، كذلك يقل في الريف المصري الاهتمام بنشر الصناعات الريفية والمنزلية .

انخفاض مستوى المعيشة :

يبلغ دخل المواطن المصري عموماً حوالي (٢٤٠ دولاراً) في السنة. ولذلك فإن حياة الفلاح المصري لا تتفق وكرامة الإنسان . وهو في الواقع يعيش حياة أقل مـــن غيره في كثير من فلاحي العالم . ومع ذلك فهو قانع لأن وعيه بحقوقه غطى عليه انشغاله بمشاكل تحصيل القوت له ولأسرته المتزايدة .

مشكلات اجتماعية :

يعـــاني المجتمع الريفي في مصر من الكثير من المشكلات الاجتماعية، فهو يضـــم مجموعـــة من العادات والتقاليد البالية التي مازالت تعوق تقدمه وتدفعه إلى الخلف . فهي تسيطر على معظم سلوكياته مثل : كثرة الإنجاب، وقلة تعليم الفتاة، والزواج المبكر للفتاة، ووضع التمائم، والإيمان بالبخت، والزار، وزيارة الأضرحة .

ومن مشكلات المجتمع الريفي في مصر التواكل، والتمسك بالقديم، وعدم المشاركة الاجتماعية، ونقص وسائل الترفيه، وعدم الاستعانة بوقت الفراغ .

ولا تعـــترف المجتمعات الريفية بدور المرأة كعنصر فعال في عملية التنمية والـــنهوض بمستوى الأسرة . كما أن الكثيرات من نساء الريف لا يتبعن الخطوات الصـــحية اللازمة في حالة المرض أو في حالة الحمل أو الوضع كما أنهن يتبعن طرق غير صحية وغير علمية في رعاية الطفل وتغذيته ووقايته من الأمراض وعلاجه منها.

وقد نتج عن استخدام الأجهزة المترلية زيادة مساحة أوقات المرأة الريفية، والـــتي لا تحرص على الاستفادة منها . كذلك فهي تتبع طرق غير سليمة في إعداد الوحدات الغذائية أو طرق الطهي سواء من ناحية الكم أو الكيف .

المشكلة السكانية :

يتمـــيز الـــريف في مصر بزيادة حجم السكان، وزيادة الكثافة السكانية ويرجع ذلك إلى :-

١ - ارتفاع معدلات الخصوبة في العالم الثالث .
٢ - ارتفاع متوسط سن الزواج للفتيات في العالم الثالث .
٣ - التخلف الاقتصادي .
٤ - انخفاض مستوى أداء المرأة في النشاط الاقتصادي .

ويـــرجع كثرة الإنجاب في ريف مصر إلى اعتبار الطفل شكلاً من أشكال الاســـتثمار، قصـــير الأجل، خاصة إذا شارك الأطفال في العمل في سن الطفولة . وهـــم بعـــدون كذلـــك استثمار طويل الأجل إذا ما أعالوا آبائهم حين عجزهم وشيخوختهم .

ويرتفع في ريف مصر نسبة الوفيات من الأطفال . ويرتبط ذلك بعدم توفر الـــرعاية الصـــحية الكافية ، وعدم التثقيف والوعي الصحي، والتمسك بالعادات والأفكار والآراء الاجتماعية والوصفات البلدية، بالإضافة إلى سوء التغذية في هذه المجتمعات .

وتعـــاني المجتمعات الريفية في مصر من شكل الهجرة الريفية إلى المدن، إذ تفقد القرى شبابها، خاصة المتعلمين .

انخفاض مستوى التعليم :

لا يهتم الفلاح المصري بالتعليم . فأكثر من (٢٥%) من القرويين أميون، وأكثر من (٣٥%) يكتبون أو يقرءون فقط . ومعنى هذا أن أكثر من (٦٠%) من القرويين لم يحصلوا على أي مؤهل .. وهكذا يتسم القرويون بالجهل .

والفلاح المصري قلما يقتني جهاز إذاعة يحصل عن طريقة على ثقافة عامة؛ ممـــا جعله قليل الحظ من المعارف العامة، ضعيف الإلمام بجوانب الحياة في المجتمع أو مشـــاكله، ثابـــت الاعتقاد بالقيم التقليدية، عَزوفاً عن التغير . وهو يخضع للتفكير الخرافي، يهمل المستقبل، قانع بقدره ونصيبه .

وقد ساعد على ذلك الهجرة المستمرة للفلاحين من القرية إلى المدينة، بعد أن أصبحوا غير قانعين بالحياة، وقلة المصادر الثقافية والمعرفة في القرى .

وتمثل أمية المرأة عقبة أساسية أمام التنمية الاقتصادية التي تعتمد على قواعد علمـــية لابـــد من استيعابها، ومن وجود حد أدنى من العلم من أجل زيادة الإنتاج والتنمية الاجتماعية وهذا لا يتم إلا من خلال مؤسسات ومشروعات وبرامج يتم عـــن طريقها تغيير المفاهيم السلبية وتعميق القيم الأصلية وربط حلقات تاريخ هذه الأمة .

كذلـــك تقـــوم التنمـــية السياسية على تحقيق مفاهيم أساسية مثل ترشيد الســـلطة وتباين الوظائف السياسية والمشاركة الديموقراطية، وهذه المفاهيم لا يمكن الوصـــول إليها إلا من خلال فهم واعي لها يعتمد على التحليل والتغيير والربط بين الأحداث وهذا لا يتم إلا من خلال كم معين من المعرفة والثقافة [(١)].

المشكلات الصحية :

عانـــت المجتمعات الريفية فترة تاريخية من التخلف الصحي . وهي محصلة عوامـــل ثقافـــية وبيئية واقتصادية . فالبيئة السكنية الريفية غير صحية، ومساكن القـــرويين أنشـــئت على أساس تلبية احتياجاته المتعددة مثل الإقامة، وتربية الماشية والدواجـــن، وتخزين البذور والمحاصيل والأسمدة، بالإضافة إلى سوء التغذية وعدم توفـــر المياه الصالحة للشرب في القرى، وانتشار العادات الصحية الضارة . كما أن المنازل سيئة التهوية .

وينتشـــر الجهـــل، وانعدام الوعي الصحي، مما أدى إلى انتشار الأمراض المتوطنة، كالبلهارسيا، والانكلستوما، والرمد، والدرن، والملاريا؛ وارتفعت بذلك معدلات الوفيات .

---

(١) مصطفى حجاج — التعليم والتنمية ، مجلة تنمية المجتمع ، مؤسسة فريد بشر ، ١٩٨٣ ، ص ٣٨ .

وتنتشر كذلك الأمراض الناجمة عن سوء التغذية، فالفرد الريفي لا يحصل عـــلى السعرات الحرارية التي يحتاجها أساساً . إن الطفل الريفي يولد بوزن وطول طبيعي، ولكن نمو الأطفال يسير ببطيء ابتداء من الشهر الثالث بسبب نقص وسوء الـــتغذية . وعلـــيه فإن وزن الطفل يقل عن المعتاد في السنة الثانية حوالي (٢,٥) كيلوجراماً، وينقص طوله عن المعتـــــاد حتى (١٢) سنتيمتراً .

ويـــنجم عن نقص وسوء التغذية أمراض كثيرة كالبلاجرا والبكم والعمى والخلل العقلي والكساح .

يضـــاف إلى هـــذا ما تفقده المواد الغذائية نتيجة لطبخها وطرق إعدادها وتجهيزها، إذ مازالت المرأة الريفية تصر على حشوها بالتوابل والبهارات، ويشترط أن يكون الطعام محبكاً ومسبكاً، حتى ولو فقد قيمته الغذائية في النهاية .

ويقاس المستوى الصحي في أي بلد بنسبة وفيات الأطفال . ونسبة وفيات الأطفـــال عندنا حوالي (١١٥) في الألف، وهي نسبة مرتفعة إذا قيست بمثيلاتها في كثير من دول العالم المتقدمة . ففي السويد تبلغ النسبة حوالي (١٧) في الألف، وفي هولندا (٢٠) في الألف، وفي بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية حوالي (٢٥) في الألف .

معوقات التنمية في الريف المصري :

أصـــبح المجتمع الريفي المصري ومشكلاته عبئاً على عملية التنمية الشاملة للمجتمع المصري بدلاً من أن يكون عوناً لها، ويرجع ذلك إلى الآتي :-

١ - تـــناقص الأرض الزراعـــية في مصر بسبب امتداد العمران إليها، بدلاً من الصـــحراء في الســـنوات الأخيرة بحوالي (٦٠) ألف فدان، وبهذه النسبة

المـــتزايدة تكون الأرض الزراعية المتوقع إنقاصها حتى سنة ٢٠٠٠م حوالي (مليون ونصف فدان) .

٢ - تفتيـــت الملكيات في الأرض الزراعية جعلها عبارة عن شرائح صغيرة من القطـــع الزراعـــية الـــتي تحول دون اقتدار الفلاح الفقير الذي يملكها هو وأســـرته مـــن اصطناع الوسائل الحديثة في الزراعة والاعتماد على الجهد العضلي مما يقلل من إنتاجيته . ويزيد من تكاليف الإنتاج .

مع ملاحظة أن التفتت مستمر ولن يتوقف عند حد، وستكون نتيجته في الســـنوات القادمة أن يتحول كثير من صغار الملاك الزراعيين إلى أجراء لا يملكون سوى قوتهم . وفي الغالب سينضم معظمهم إلى حركة الهجرة إلى المدن .

٣ - ارتفـــاع إيجـــار الأرض الزراعية وأثمانها في السنوات الأخيرة، حتى وصل إيجـــار الفدان إلى أضعاف الإيجار الرسمي الذي كانت حكومة الثورة قد حددته بسبعة أمثال الضريبة، ثم عادت ورفعته بسبب التناقص بين الإيجار الواقعي والإيجار الرسمي .

٤ - إســـراف الفـــلاح المصري في الري بسبب إتباعه نظاماً تقليدياً في الري والـــزراعة ممـــا يجعل مقداراً كبيراً من المياه يضيع دون الانتفاع به، كما يعمـــل على تدهور التربة الزراعية، ويؤدي إلى مشاكل عدم وصول المياه إلى نهايات الترع، فكان من الضروري تجديد نظام الري وتوعية الفلاحين بأهمـــية الالتزام بمقننات الري الاقتصادية، وتجربة الري بطريقة الرش بدلاً من طريقة الترع والقنوات .

٥ - تفـــاقم أخطار سوء الصرف بدرجة تهدد الإنتاج وتجعل قيمة ما تفقده من المنتجات الزراعية أكبر من المنتجات التي نتوقعها من الأراضي المستصلحة حـــتى أن خســـارتنا بسبب سوء الصرف تصل إلى (٣٠%) من الإنتاج الزراعي أي ما يعادل إنتاج مليونين من الأفدنة .

٦ - اعـــتمادنا على عراقتنا في الزراعة وعلى مثابرة الفلاح المصري وقناعته مما جعلنا لا نعطي الأبحاث العلمية في الزراعة أهميتها التامة فكانت النتيجة أن تخلفـــنا عن الدول المتقدمة في الإنتاج الزراعي، حتى أصبحت هذه الدول الأحـــدث مـــنا بكثير هي المصدر الرئيسي لسوق المواد الغذائية في العالم بجانب تقدمها الصناعي، وذلك بسبب وفرة ما تنفقه على البحث العلمي الزراعي .

٧ - لم يؤدي النظام التعاوني في الزراعة المصرية إلى النجاح الذي كان معقوداً عليه وذلك بسبب بقاء علاقات وقوى، الإنتاج كما هي، فإنه على الرغم مـــن تحديـــد الحد الأقصى للملكية بخمسين فداناً، فإن طبقة الأغنياء التي تمتلك الفئة (٢٠ — ٥٠) فداناً ، مازالت تستحوذ على الكلمة المسموعة، وبذلك وجهت الجمعيات التعاونية إلى خدمة أغراضها الشخصية . وبحكم قدرتها المالية، استطاعت أن تتحول إلى إنتاج الخضر والفاكهة ذات العائد الكـــبير، بعكس الفلاح الصغير الذي أضطر تحت ضغط إمكاناته المحدودة إلى الاســـتمرار في زراعة المحاصيل الحقلية وبذلك زادت الفوارق الطبقية، وعـــاد هؤلاء الأغنياء إلى مكانتهم الإقطاعية من النظام الطبقي في الريف المصري .

٨ - لهذه الأسباب ظهر بوضوح في السنوات الأخيرة تناقص المحاصيل المصرية التقلـيدية، مما اضطر الحكومة إلى استيراد كثير من المحاصيل الزراعية التي كانت لها شهرة عالية في الأرض المصرية مثل الفول والعدس والأرز .

٩ - لم تعـد الزراعة المصرية قادرة على الوفاء بحاجة المجتمع إلى المواد الغذائية حـتى بلغ ما رصدته الحكومة في ميزانية (١٩٧٥) لخطة التنمية الانتقالية مبلغ (٦٠١,١) مليون جنيه للسلع الاستهلاكية التي تشكل السلع الغذائية مـنها الجزءِ الأكبر . مع أن توفير المواد الغذائية في المجتمع يضمن الطعام للعاملين سواء في الزراعة أم في الصناعة أم في الخدمات والوظائف، ويقلل مـن اسـتتراف الـنقد الأجنبي ويعمل على توجيهه نحو استيراد الآلات والأدوية والخبرات. كما أنه يوفر المواد الخام للصناعات الغذائية .

وإذا زادت المحصـولات الزراعية عن حاجة المجتمع فمن الممكن تصديرها للحصـول عـلى النقد الأجنبي . واستيراد وسائل التنمية الحديثة، بالإضافة إلى أن توفير المواد الغذائية بأسعار مناسبة يجعلها لا تستنفذ نسبة كبيرة من أجر العامل مما يسمح باقتطاع جزء من الدخل للادخـــار المحلي [١].

---

(١) د. عبد المجيد أحمد – علم الاجتماع الريفي ، ص. ص ١٤٠ – ١٤٣ .

المراجـــــع

أولاً : المصـــادر

١ - البـــنك الدولي . التنمية الريفية – ورقة عمل قطاعية – إعداد مجموعة من خبراء البنك . فبراير ١٩٧٥م .

٢ - الجهـــاز المركزي للتعبئة والإحصاء . الزيادة السكانية وتحدياتها للتنمية الاجتماعية . د. ت.

٣ - منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ، ١٩٧١م .

ثانياً : المراجع العربية

٤ - د. إبراهيم مدكور . معجم العلوم الاجتماعية . القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥م .

٥ - د. أحمـــد أبوزيد . البناء الاجتماعي – مدخل لدراسة المجتمع – الجزء الأول، المفهومـــات، الإســـكندرية، الـــدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٥م .

٦ - د. أحمـــد كمال وآخرون . دراسات في علم الاجتماع . الجزء الثاني . القاهرة، دار الجيل للطباعة، ١٩٧٤م .

٧ - د. أســـامة أبو المكارم شاكر . مدخل لدراسة علم الاجتماع الريفي . كلية الزراعة، جامعة المنيا، ١٩٩٩/٢٠٠٠م .

٨ - د. إسماعـــيل حســـن عبدالباري . أسس علم الاجتماع . القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٠م .

٩ - د. الســـيد الحسيني . التنمية والتخلف . دراسة تاريخية بنائية . الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٨٠م .

١٠ - د. الســـيد حـــنفي عوض . علم الاجتماع التربوي . القاهرة، مكتبة وهبة، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م .

١١ - د. الســـيد عـــبد العـــاطي السيد . علم الاجتماع الحضري . مداخل نظرية. إسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٤م .

١٢ - د. الســـيد محمـــد بدوي . مبادئ علم الاجتماع . الإسكندرية، دار المعارف بمصر، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م، الطبعة الثانية، ١٩٧٦م .

١٣ - د. إيمـــان شومان . دراسات في علم الاجتماع الريفي . كلية الآداب، جامعة طنطا، د. ن ، ٢٠٠١م .

١٤ - د. جمال المحاسب . علم الاجتماع الريفي . دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، بسوريا، ١٩٥٥م .

١٥ - د. حسن إبراهيم عيد . الدراسات الاجتماعية، د . ن ، ١٩٨٨م .

١٦ - د. حســـن شـــحاته ســـعفان . أسس علم الاجتماع . القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية، ١٩٥٥م .

١٧ - حســـن عـــلي حســـن . المجـــتمع الريفي والحضري - دراسة مقارنة (مبسطة)، المكتب الجامعي الحديث، ١٩٨٩م .

١٨ - حســـن علي حسن . الريف والحضر - دراسة مقارنة مبسطة، د . ن، ٢٠٠١م .

١٩ - د. حســـن همـــام . دراسات في علم الاجتماع الريفي . المعهد العالي للخدمة الاجتماعية، دمنهور، د . ت .

٢٠ - د. حسن همام . علم الاجتماع الريفي وقضاياه . المعهد العالي للخدمة الاجتماعية، دمنهور، د . ت .

٢١ - د. حســـن همام . مدخل لعلم الاجتماع الريفي . المعهد العالي للخدمة الاجتماعية، دمنهور، ٢٠٠٠م .

٢٢ - د. حســـن همـــام . دراسات في الأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية، القاهرة، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان، ١٩٩٠م .

٢٣ - د. حســـن همام ود. غريب عبدالسميع . دراسات في المجتمع الريفي، القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٩٢م .

٢٤ - د. حسين عبدالحميد أحمد رشوان . المدينة - دراسة في علم الاجتماع الحضري . الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ١٩٨٩م .

٢٥ - د. حسين عبدالحميد أحمد رشوان. المجتمع - دراسة في علم الاجتماع. الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م .

٢٦ - د. حســـين عبدالحميد أحمد رشوان . تطور النظم الاجتماعية وأثرها في الفرد والمجتمع . الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، الطبعة الثالثة، ١٩٩٣م .

٢٧ - د. حسين عبدالحميد أحمد رشوان . دور المتغيرات الاجتماعية في الطب والأمـــراض - دراسة في علم الاجتماع الطبي . الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٩م .

٢٨ - د. حسين عبدالحميد أحمد رشوان . السكان من منظور علم الاجتماع، الإسكندرية، المكتبة الجامعية، ٢٠٠١م .

٢٩ - ابـــن خلـــدون / عبدالرحمن . مقدمة بن خلدون . الجزء الأول، دار الشعب .

٣٠ - د. زيدان عبدالباقي . علم الاجتماع الريفي . د . ن ، ١٩٧٣ م .

٣١ - د. سامية علي حسنين . القرية المصرية، المنصورة، الأستاذ للطباعـــة، د. ت .

٣٢ - د. ســـامية محمد جابر . القانون والضوابط الاجتماعية — مدخل علم الاجـــتماع إلى فهـــم الـــتوازن في المجتمع . الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٢م .

٣٣ - د. ســـامية محمد جابر وآخرون . دراسات في علم الاجتماع الريفي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠١م .

٣٤ - د. سعد الدين إبراهيم . مقولات نظرية جديدة في التنمية — بحث مقدم إلى المؤتمـــر الـــدولي الثالـــث للإحصاء والحاسبات العلمية والبحوث الاجتماعية، القاهرة، ١٩٨٧م .

٣٥ - د. سناء الخولي . الزواج والعلاقات الأسرية . الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٧٩م .

٣٦ - د. ســـناء الخولي . الأسرة في عالم متغير . القاهرة، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ١٩٧٤م .

٣٧ - د. سوســـن عثمان . سياسات التنمية الريفية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٨م .

٣٨ - د. صـــلاح العـــبد . مبادئ علم الاجتماع . القاهرة، مكتب الأنجلو المصرية، ١٩٥٤م .

٣٩ - د. صــــلاح العــبد . عـــلم الاجتماع التطبيقي وتنمية المجتمع المحلي . القاهرة، مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر، ١٩٧٢م .

٤٠ - د. صــــلاح العبد . الإتجاه التكاملي للتنمية الريفية بإفريقيا . القاهرة، ١٩٧٦م .

٤١ - د. عـــادل حســـن . العلاقات العامة . الإسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٦٣م .

٤٢ - د. عبدالباسط محمد حسن.. التنمية الاجتماعية . القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٧٧م، الطبعة الثانية، ١٩٨٢ .

٤٣ - د. عبدالباسط محمد حسن . علم الاجتماع (المدخل) . القاهرة، مكتب غريب، ١٩٨٢م .

٤٤ - د. عبدالحمـــيد لطفـــي . عـــلم الاجتماع . القاهرة، دار المعـــارف، ١٩٧٨م، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م .

٤٥ - د. عـــبدالعزيز رفـــاعي . التطور الاجتماعي للشباب المصري . مطبعة المعرفة، ١٩٧٣م .

٤٦ - د. عبدالمجيد أحمد عبدالرحيم . علم الاجتماع الريفي . القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الأولى، ١٩٧٥م .

٤٧ - د. عبدالمجـــيد أحمـــد عبدالرحـــيم . قراءات في علم الاجتماع الريفي والحضري . د. ن ، ١٩٨٩م .

٤٨ - د. عبدالمـــنعم شوقي . تنمية المجتمع وتنظيمه . القاهرة، مكتبة القاهرة الحديثة، الطبعة الثانية، ١٩٦١م .

٤٩ - د. عبدالمـــنعم شـــوقي . محاضرات في التنمية الريفية . القاهرة، مكتبة القاهرة الحديثة، ١٩٧٠م .

٥٠ – د. عبدالمنعم شوقي . تنمية المجتمع الريفي . دار الكتب، ١٩٧٦م .

٥١ – د. عبدالمـــنعم شوقي . تنمية المجتمع الحضري – دليل عملي، القاهرة، أمانة الحكم المحلي، مكتبة التنمية الحضرية، ١٩٧٨م .

٥٢ – د. عبدالمنعم محمد بدر . مجتمعنا الريفي – دراسة تحليلية مقارنة في علم الاجتماع الريفي، دار المعارف بمصر، ١٩٧٣م .

٥٣ – د. عبدالمـــنعم محمـــد بدر . دراسات في التنمية الريفية . دار المعارف بمصر، ١٩٧٩م .

٥٤ – د. عبدالهادي أحمد الجوهري . معجم علم الاجتماع . القاهرة، مكتبة نهضة الشرق بحرم جامعة القاهرة، ١٩٨٠م .

٥٥ – د. عـــبدالهادي أحمد الجوهري . أسس علم الاجتماع . الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ١٩٨٣م، ٢٠٠٠م .

٥٦ – د. عـــبدالهادي محمـــد والي . مجتمع القرية – دراسة في علم الاجتماع الريفي، كلية الآداب، جامعة طنطا، ٢٠٠٠م .

٥٧ – د. عطـــيات محمـــد خطاب . أوقات الفراغ والترويح . القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٢م .

٥٨ – د. عـــلي فـــؤاد أحمـــد . علم الاجتماع الريفي . دار الثقافة والعلوم للطباعة والنشر، ١٩٦٠م، مكتبة القاهرة الحديثة، ١٩٦٦م .

٥٩ – د. غريب سيد أحمد . علم الاجتماع الريفي . الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، طبعات ١٩٨٥، ١٩٩٨،١٩٩٦، ١٩٩٩، ٢٠٠٠م .

٦٠ – د. غريب سيد أحمد . مجتمع القرية – دراسات وبحوث . الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٤م .

٦١ - د. غريـــب ســـيد أحمد ود. السيد عبدالعاطي السيد . علم الاجتماع الريفي والحضري . الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٨م .
٦٢ - د. غريـــب عبدالســـميع وآخرون . المجتمع الريفي والحضري (مدخل تنموي) . القاهرة، مذكرات غير منشورة، ١٩٩٠م .
٦٣ - د. فـــاروق مصطفى إسماعيل . الأنثروبولوجيا الثقافية . الإسكندرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م .
٦٤ - د. فتحـــية دياب . القيم والعادات الاجتماعية . القاهرة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦١م .
٦٥ - د. كرم حبيب برسوم . علم الاجتماع الريفي . القاهرة، ١٩٨٣م .
٦٦ - د. كمال التابعي . دراسات في علم الاجتماع الريفي . دار المعارف . د.ت
٦٧ - د. كمـــال ســـعيد وآخـــرون . عـــلم الاجـــتماع الريفي والحضري والصناعي. كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان، ١٩٨٠م .
٦٨ - د. ماهـــر عـــبدالوهاب الملاح . تنمية المجتمعات المحلية . المعهد العالي للخدمة الاجتماعية، دمنهور، ٢٠٠٠م .
٦٩ - د. محمـــد الغريـــب عبدالكريم . سوسيولوجيا القرية . القاهرة، المعهد العالي للخدمة الاجتماعية — مذكرات غير منشورة، ١٩٨٩م .
٧٠ - د. محمـــد عـــاطف غيث . دراسة مقارنة لمظاهر التغير الاجتماعي في مديـــرية الدقهلية . رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٩٥٩م .
٧١ - د. محمـــد عاطف غيث . التغير الاجتماعي في المجتمع القروي — دراسة في محافظـــة الدقهلـــية — القـــيطون وهلا وكفر الشيخ . الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٥م .

٧٢ - د. محمد عاطف غيث . علم الاجتماع الحضري . دار الكتب الجامعية، ١٩٧٢م .

٧٣ - د. محمد عاطف غيث . دراسات في المجتمع القروي المصري، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٧٧م .

٧٤ - د. محمد عاطف غيث . علم الاجتماع . الإسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٧١م، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥م .

٧٥ - د. محمد عبده محجوب . الضبط الاجتماعي في المجتمعات القبلية - دراسات في الأنثروبولوجيا السياسية . الإسكندرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م .

٧٦ - د. محمد فتح الله هلول . قراءات في علم المجتمع الريفي . غير منشورة، الإسكندرية، كلية الزراعة، جامعة الإسكندرية، ١٩٦٦، ١٩٨٩/١٩٩٠م .

٧٧ - د. محمد محمود الجوهري . دراسات في علم الاجتماع الريفي الحضري. دار الكتب الجامعية، ١٩٧٣م .

٧٨ - د. محمد محمود الجوهري . المدخل إلى علم الاجتماع . الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٣م .

٧٩ - د. محمد محمود الجوهري ود. علياء شكري . علم الاجتماع الريفي والحضري . القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٠م .

٨٠ - د. محمد نبيل جامع . دراسات في التنمية الريفية . الأسكندرية، الشاطبي، مركز الدراسات العلمية، ١٩٩٩م .

٨١ - د. محمد نبيل سعد سالم . تنمية المجتمعات المحلية . المعهد العالي للخدمة الاجتماعية، دمنهور، ١٩٩٩م .

٨٢ - د. محمـود أبوزيـد . الشـائعات والضـبط الاجـتماعي - دراسة سوسـيومترية في قـرية مصـرية، الإسـكندرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م .

٨٣ - د. محمود عودة . القرية المصرية بين التاريخ وعلم الاجتماع . القاهرة، مكتبة رأفت، ١٩٧٢م .

٨٤ - د. محـي الديـن جابر . التغير الحضاري وتنمية المجتمع . مركز تنمية المجتمع في العالم العربي، سرس الليان، ١٩٦٢م .

٨٥ - د. سعد الفاروق حمودة . تنمية المجتمع الريفي الحضري . الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث . د. ت .

٨٦ - د. مصـطفى الخشـاب . الاجتماع العائلي . القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٦م .

٨٧ - د. مصـطفى الخشـاب . علم الاجتماع ومدارسه - الكتاب الثاني . دعائم علم الاجتماع وحقائقه . الطبعة الثانية، ١٩٥٦م .

٨٨ - د. مصطفى الخشاب . دراسة المجتمع . القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٤م .

٨٩ - د. منال طلعت محمود . التنمية والمجتمع . الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ٢٠٠١م .

٩٠ - د. ناديـة جمال الدين . الظروف الاقتصادية والاجتماعية وانعكاساتها على شكل الأمية بين النساء في الريف . القاهرة، ١٩٨٥م .

٩١ - أعضـاء هيـئة الـتدريس - قسـم الاجـتماع - قطاعات العمل الاجـتماعي- قطاعـات نظـرية ودراسات ميدانية . الجزء الأول . الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، د. ت .

ثالثاً : المجـــلات

٩٢ - مجلة تنمية المجتمع . مؤسسة فريد ريش . إيبرت، القاهرة، ١٩٧٧م .
٩٣ - المجلـــة الاجتماعـــية القومـــية . المجلد السادس، العدد الثالث، سبتمبر ١٩٦٩، والمجلد السابع، العدد الثالث، سبتمبر ١٩٧٠م .
٩٤ - مجلة العربي، عدد أكتوبر، ١٩٧٠م .
٩٥ - المجلة القومية، المجلد الحادي عشر، العدد الأول، يناير ١٩٧٤م .

رابعاً : الكتب الأجنبية (مترجمة)

٩٦ - بوتومور . ت. ب. الطبقات في المجتمع الحديث . ترجمة وهيب مسيحه. القاهرة، مكتبة الإنجلو المصرية، د. ت .
٩٧ - رد فيلد / روبرت . المجتمع القروي وثقافته . ترجمة د. فاروق العادلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م .
٩٨ - ماكـــيفر / ر. م. الجماعة - دراسة في علم الاجتماع . ترجمة د. محمد علي أبودرة ولويس إسكندر، دار الفكر العربي، ١٩٦٨م .
٩٩ - وبستر / أندرو . مدخل إلى علم اجتماع التنمية . ترجمة د. عبدالهادي محمد والي ود. السيد عبدالحليم الزيات، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م .

خامساً : المراجع الأجنبية

100 - Bennett, john & Melvin, M., Social Life, Structure an function, An Introduction to General Sociology, New York, Alfred A. Knopf, 1949 .

101 - Desai, A. R., Rural Sociology in India, Popular Parkashan Bombay, 1969 .
102 - Falk, paradigms, Theories and Methods in contemporary Rural Sociology, A Partial Replication and Extensions, Rural Sociology, Vol. 54. No, 4, 1989 .
103 - Green, Arnold W., Sociology, An Analysis of Life in Modern Society, Mac Grow Hill Book Company, Fourth Edition, 1964 .
104 - Horton. Paul B. Hunt, Chester, Sociology, Japan, Mac Grow Hill Book Company, Six Edition, 1984.
105 - Hoselitz, Bert & More, Wilbert, L., (Eds), Industrialization and Society, The International Science, Unisco Mooto, Fourth Edition, 1970 .
106 - Maclver, R., Community, Sociological Study, N. Y., 1914 .
107 - Mc Henry, Walter, J. & Rider, Donald, C., Regionalization and Rural Health care, The University of Michigan, An Arbor, 1962 .
108 - Morgan, D. H., Social Theory and Family, Routledge & Kegan Paul, London, 1975 .
109 - Neiewenhuge, C. A. O. Van, Development A Challenge To Whom, The Hague, Mouton, Nether Lands, Institute of Social Studies, 1969 .
110 - Nyerere, Julius K., Rural Development in IFDA., Dossier 11, Sept., 1979 .
111 - Redfield, Robert, The Little community and Peasant Society and Culture, the University of Chicago Press, Chicago, 1956 – 1960 .
112 - Sanderson, Diwight, Rural Sociology and Rural Social Organization, Second Printing, John Wiley & Sons, New York, 1946 .

113 - Secomski, Kazimierz, Factors of Social Development and Economic Growth, Warszawa, I.R.D.C., Central School of Social planning and Statics, 1970 .

114 - Sinha, Durganand, Indian Village in Transition, A Motivational Analysis, Fourth Publishing Association Publishing House, New Delhi, 1969 .

115 - Southwich, Charles, H., Ecology and the Quality of our environment, New York, D. Van yostrand Company, Second Editions, 1970 .

116 - Tannous Atif, Extension work among The Arab Fellaheen Farmers of The World, N. Y., Colombia University Press, 1946 .

للمؤلـــــف

١ - الاســتعمار في القــرن العشــرين . الإسكندرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥م .
٢ - الادعاءات الصهيونية والرد عليها . الإسكندرية، الهيئة العامة للكتاب، الطبعة الثانية، ١٩٧٥م .
٣ - المديـــنة — دراســـة في علم الاجتماع الحضري . الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، الطبعة الخامسة، ١٩٨٩م .
٤ - دور المـــتغيرات الاجتماعـــية في التنمـــية الحضـــرية — دراسة في علم الاجتماع الحضري . الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ١٩٨٨م.
٥ - بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور عبدالهادي الجوهري — دراسات في علم الاجتماع الحضري . د. ن ، ١٩٩٤م .
٦ - بالاشـــتراك مع الأستاذ الدكتور عبدالهادي الجوهري — علم الاجتماع الحضري — مفاهيم وقضايا . دار الشروق، جامعة القاهرة، ١٩٧٧م.
٧ - مشكلات المدينة . دراسات في علم الاجتماع الحضري . الإسكندرية. المكتب العربي الحديث، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م .
٨ - بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور عبدالهادي الجوهري — دراسات في علم الاجتماع الحضري . مشكلات المدينة . الإسكندرية، المكتبة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠١م .
٩ - علم الاجتماع وميادينه . الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٠م .

١٠ - ميادين علم الاجتماع ومناهج البحث العلمي . الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، الطبعة الثانية، ٢٠٠١م .

١١ - العلم والبحث العلمي . دراسة مناهج العلوم . الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، الطبعة السادسة، ١٩٩٦م .

١٢ - أصول البحث العلمي. الإسكندرية. مؤسسة شباب الجامعة، ٢٠٠٣م.

١٣ - في مناهج العلوم . الإسكندرية . مؤسسة شباب الجامعة، ٢٠٠٣م .

١٤ - المجتمع - دراسة في علم الاجتماع . الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٢م .

١٥ - المجتمع والتصنيع - دراسة في علم الاجتماع الصناعي . الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ١٩٩٥م .

١٦ - الأسرة والمجتمع - دراسة في علم اجتماع الأسرة . مؤسسة شباب الجامعة، ٢٠٠٣م .

١٧ - التربية والمجتمع - دراسة في علم اجتماع التربية . الإسكندرية، المكتب العربي الحديث، ٢٠٠٣م .

١٨ - الاقتصاد والمجتمع - دراسة في علم الاجتماع الاقتصادي . الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ٢٠٠٢م .

١٩ - السكان من منظور علم الاجتماع . الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ٢٠٠١م .

٢٠ - علم الاجتماع الأخلاقي . الإسكندرية، المكتب العربي الحديث، ٢٠٠٢م .

٢١ - علم اجتماع المرأة . الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ١٩٩٨م .

٢٢ - الفلســفة الاجتماعيــة والاتجاهــات الــنظرية في عــلم الاجتماع . الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، الطبعة الثالثة، ١٩٩٣م .

٢٣ - تطور النظم الاجتماعية وأثرها في الفرد والمجتمع . الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، الطبعة الثالثة، ١٩٩٣م .

٢٤ - التطرف والإرهاب من منظور علم الاجتماع . مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م .

٢٥ - الجــريمة - دراســة في علم الاجتماع الجنائي . الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ١٩٩٥م .

٢٦ - الــتغير الاجتماعي والتنمية السياسية في المجتمعات النامية - دراسة في عــلم الاجــتماع السياسي . المكتب الجامعي الحديث، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م .

٢٧ - العلاقــات الاجتماعية في القوات المسلحة - دراسة في علم الاجتماع العسكري . الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ١٩٩٩م .

٢٨ - العلاقــات العامــة والإعلام من منظور علم الاجتماع . الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، الطبعة الثالثة، ١٩٩٧م .

٢٩ - العلاقــات الإنســانية في مجــالات:علم النفس، علم الاجتماع، علم الإدارة. الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ١٩٩٧م .

٣٠ - مشــاكل وقضــايا معاصرة . الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديت، ١٩٩٧م .

٣١ - أضواء على الحياة الاجتماعية . الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ١٩٩٩م .

٣٢ - سلوكيات . الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ٢٠٠١م .

٣٣ – الطفــل – دراســة في علم الاجتماع النفسي . الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٠م .

٣٤ – الأســس النفســية والاجتماعية للابتكار – دراسة في علم الاجتماع النفسي . الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ٢٠٠٠م .

٣٥ – الفلكلــور والفــنون الشعبية من منظور علم الاجتماع . الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ١٩٩٣م .

٣٦ – دور المــتغيرات الاجتماعــية في الطــب والأمراض – دراسة في علم الاجتماع الطبي . الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م .

٣٧ – علم الاجتماع الطبي لشعب التمريض بالمعاهد الفنية الصحية – وزارة الصحة بالاشتراك مع منظمة الصحة العالمية . القاهرة، ١٩٩٧م .

٣٨ – الأنثروبولوجــيا في المجــال الــنظري . الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م .

٣٩ – الأنثروبولوجــيا في المجــال التطبــيقي . الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ١٩٨٩م .

٤٠ – بالاشــتراك مــع الأستاذ الدكتور/ عبدالهادي الجوهري، دراسات في الأنثروبولوجــيا، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، الطبعة الرابعة ٢٠٠٢م، الطبعة الخامسة ٢٠٠٣م .

٤١ – مشاهد من الحياة .... جاري تأليفه .

رقم الإيداع	٢٠٠٢/٥٤٢٠

الترقيم الدولى I. S. B. N.
977 - 5125 - 23 - 5

